

القسم الأول

المجاهدون المهاجرون

في العام ١٩٧٣، وبعد ثلاث سنوات من زواجنا، قررنا السفر إلى العراق للقاء مع والد زوجي (الإمام الخميني) الذي كان ارتبطانا معه

تقرير السافاك حول طلبنا الحصول على جواز السفر



خالي الإمام موسى الصدر

خلال تلك السنوات عن طريق تبادل الرسائل.. إلا أن المشكلة الرئيسية التي كانت تحول دون تحقق ذلك هي أن السيد أحمد كان قد مُنْعِنَ من مغادرة البلاد، لذا بدأنا بالبحث عن سبيل لحل هذه المعضلة.

قررنا فيما بعد أن نسافر إلى لبنان لنلتقي خالي (الإمام موسى الصدر) لكي نحصل على تأشيرة دخول العراق بمساعدته، وكان ذلك يستلزم دقة خاصة وبراعة معينة حتى لا تثير حساسية السافاك..

وبعد إنجاز الإجراءات المطلوبة وبدعم بعض الأصدقاء، غادرنا طهران جواً نحو بيروت.

ولصعوبة الاتصال آنذاك مع لبنان، وصلنا بيروت دون أن نخبر أسرة خالي مسبقاً واستقرينا في أحد الفنادق.. اتصل السيد أحمد هاتفياً بأحد أصدقائه الذي كان قد هاجر من إيران إلى لبنان، وسألته عن عنوان بيت الإمام موسى الصدر، إلا أنه أنكر معرفته به ولم يظهر رغبة في إرشادنا إليه..

فقال السيد أحمد: «أظن أنه مرتبط مع فصائل ذات علاقات غير جيدة مع الإمام موسى الصدر».. وأخيراً اتصلنا بالسيد محمد

منتظري^(١)؛ الذي جاءنا إلى الفندق وسارع إلى إعداد طعام لنا بعد أن عرف أننا لم نتناول الطعام منذ أن وصلنا إلى بيروت، وبعد ذلك أخذنا إلى مقر إقامة الإمام موسى الصدر.

تحدث السيد أحمد عن ما يتميز به هؤلاء الشباب، المجاهدون، أمثال السيد محمد منتظرى من معنويات عالية وروح ثورية وإيثار كبير لا يوصف وقال: «إن هذا الشاب الذي أعد لنا الطعام ورفض أن يأخذ قيمته متنًا لا أشك أنه لم يتناول وجبة طعام كاملة منذ عدة أيام.. إن هؤلاء هم المجاهدون المسلمين الذين لا يمتلكون أماكن سكن مناسبة ولا حتى طعام أو ملابس تليق بهم، إلا أنهم ينشغلون دوماً بحل مشاكل المهاجرين ويعملون من أجل إنقاذ الشعب الإیرانی من الظلم والجور واللاعدالة».

الحازمية

توجهنا نحو مقر إقامة الإمام موسى الصدر في «الحازمية» برفقة السيد محمد منتظرى. وهي منطقة يقطنها أكثريّة مسيحيّة في شرق بيروت. المبني الذي كان يقيم فيه خالي بخمسة طوابق وهو بناء جميل ورائع، تم تخصيص ثلاثة طوابق منه للمكاتب الإدارية التابعة للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان والطابق الرابع خصص لسكن خالي مع أسرته وفيه شرفة واسعة وكبيرة تشرف على مدينة بيروت الجميلة. وكنا نجتمع هناك أحياناً في بعض الأمسىيات مع استباب الهدوء في المدينة.. أما الطابق الخامس فكان يضم المكتبة الخاصة لخالي فضلاً عن غرفة كبيرة وعدة غرف صغيرة لعقد الاجتماعات وبعض اللقاءات الخاصة.

(١) محمد منتظرى (١٩٤٤ - ١٩٨١): هونجل آية الله العظمى حسين علي منتظرى ومن المجاهدين الشوريين المناوئين لنظام الشاه البائد. للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهاشم رقم (١) في نهاية الفصل.



المبني الإداري للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان ومحل سكن خالي، في منطقة الحازمية (بيروت)

اعتقد بعض الناس تبادل الكثير من الأقاويل حول هذا المبني.. مثلاً كان البعض يصفه ببيت الأرواح وسوء الطالع؛ والبعض الآخر كان يصفه بأنه مركز لقاءات الجن.. حيث كان خالي يجتمع بهم باستهزاء ويقول: أنا بنفسي رئيس الجن!!.. وكان يتعامل مع هذه الأقاويل بأنها خرافات وأساطير.

وبسبب هذه الأقاويل والأحاديث، فإن المبني لم يكن مرغوباً من الآخرين ورفض الكثيرون شراءه، مما سهل عملية شرائه من قبل خالي بسعر زهيد قبل أن يرممه تلبية لاحتياجاته العملية.. وهكذا فإن المجمع كان مزوداً بعدد من الحرس وسائق وطباطخ يسكنون في نفس المبني. ومع وجود الطباخ إلا أن بروين خانم (زوجة خالي) كانت تفضل أن تقوم بنفسها بمهمة الطبخ لأسرتها وضيوفها.

وهناك شاهدت لأول مرة منظاراً يتميز بقدرة كبيرة على تقرير المشاهد البعيدة، حيث أتاح ابن خالي حميد فرصة الإستفادة منه لأنظر من خلاله إلى مناظر بعيدة بكل سهولة وروعه.

المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

خلال تلك المرحلة كانت جميع الطوائف اللبنانية ممثلة من خلال كبار شخصياتها ومنتخباتها، في مجالسها الخاصة التي كانوا يهتمون من خلالها بتنظيم شؤون طوائفهم وتحقيق مصالحها فضلاً عن إيصال مقرراتها المختلفة إلى ممثليهم في البرلمان اللبناني.

كان الشيعة اللبنانيون قبل دخول الإمام الصدر للساحة السياسية اللبنانية، محرومين من هذا الامتياز المهم، واستمر ذلك حتى أثمرت الجهود الحثيثة الواسعة والمتابعة المتواصلة التي بذلها الإمام موسى الصدر، عن تأسيس «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان» في العام ١٩٦٩ م.

ففي النظام الحكومي اللبناني آنذاك، كانت ست عشرة مجموعة صغيرة وكبيرة تلعب بشكل ما دورها المطلوب في إدارة البلاد؛ ولأن الفرق الرئيسية الثلاث المتمثلة بال المسيحيين الموارنة وال المسلمين السنة وال المسلمين الشيعة، كانت تميز بأنها تضم بالترتيب أكبر عدد من السكان، لذلك، فإن المناصب الحكومية الأصلية تم تقسيمها طبقاً لذلك حيث أصبح رئيس الجمهورية مارونياً ورئيس الوزراء سنياً ورئيس البرلمان شيعياً. وقد تم تثبيت هذا التقسيم الحكومي بين الطوائف اللبنانية بتوافق وطني وسمى الميثاق الوطني، من خارج النص الدستوري، له قوة الدستور اللبناني الذي كتبه الفرنسيون خلال مرحلة استقلال لبنان من الإستعمار الفرنسي ولم يلحظ هذا التوزيع الطائفي.. وخلال ذلك كان عدد المسلمين أكثر من المسيحيين إلا أن تقسيمهم إلى سنة وشيعة وفي المقابل تحقيق الإتحاد بين الطوائف المسيحية المارونية والارثوذكس والكاثوليك وغيرهم، جعل المسيحيين يشكلون الأكثريّة السكانيّة في لبنان.

نظرة جديدة

لفت نظري كثيراً الأجواء التي كانت سائدة في بيت خالي وأنواع الضيوف والزوار الذين كانوا يتربدون عليه بمختلف الملابس والأزياء.

حيث كانت أحياناً تأتي إلى مبنى المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى نساء غير محجبات وفي الوقت ذاته يُمتدحن من قبل الحاضرين ويُوصفن بالإثمار والاستقامة والوطنية والصمود أمام العدو (الإسرائيلي)، كما تتم الإشادة بخدماتهن في هذا المجال. بل ويطلق عليهن صفة (البر والإحسان).. بينما كنت حتى ذلك الوقت أظن أن النساء المحجبات فقط يمكن أن تصدق عليهن مثل هذه الصفات الحميدة. وقد سمعت آنذاك أن إحدى السيدات المطربات وهي «فirooz» كانت تُمتدح وتُذكر بخير لأنها من خلال تقديمها لحفل موسيقي في جنوب لبنان، كانت تثير مشاعر الناس وأحساسهم للصمود بوجه إسرائيل.. وهناك أدركت أن الحجاب وظواهر الشريعة تمثل أحد الآداب والمظاهر الدينية والإلتزام الديني وليس جميعها، وبهذا تغيرت نظرتي للأشخاص وتقييمي وإصدار الأحكام فيما يخص الدين والإلتزام الديني..

جهود الإمام موسى الصدر

البعد الفقهي

كان خالي يقول، عندما قدمت إلى لبنان لأول مرة كانت المجالس الدينية عديمة الجاذبية، ولا يرتادها إلا عدد قليل من الناس.. لذلك سعينا من أجل تنظيم برامج متنوعة وجاذبة لهذه المجالس. ففي أحد أيام شهر رمضان المبارك وجهنا دعوات لأعداد من الناس لحضور مأدبة إفطار.. وفي تلك المراسيم طلبنا من أحد القراء أن يتلو ما تيسر من

القرآن الكريم، فقرأ المقرئ آيات مباركة من القرآن المجيد بصوت جميل رائع، ثم تحدثنا للحاضرين حول مختلف الحوادث التاريخية والقصص الأخلاقية وتفسير لإحدى الآيات القرآنية وبيان لمسألة فقهية، وأشارنا، كذلك، لأحدث أخبار العالم الإسلامي فضلاً عن إشارات مختصرة للعقائد الإجتماعية قبل أن نفتح المجال لطرح الأسئلة من قبل الحاضرين بحيث قدمنا الإجابات الواافية عنها. واستغرق كل ذلك ساعتين فقط.. وتميز برنامج تلك الأمسية بجاذبية خاصة إلى درجة بحيث طلب المشاركون فيها أن تتواءل مثل هذه الأمسيات.. لذلك قمنا بشراء أرض على ساحل البحر القريب من العاصمة بيروت وشيدنا عليها مركز ثقافي - رياضي باسم (هيئة الشباب المسلم) ليقضي الشباب المسلم والمسيحي على حد سواء، أوقات الفراغ هناك.. بعد ذلك بذلت جهوداً حثيثة حتى تمكنا من تأسيس الحوزة العلمية الدينية في بعلبك، ودار إفتاء الفقه الجعفري المرتبط بالمجلس.

البعد الثقافي

سمعت هناك أن خالي أنشأ مركزاً لرعاية الأطفال واليافعين اللبنانيين الفقراء والمساكين بإشرافه وقام بتحسين أوضاعهم الحياتية؛ وفي الوقت ذاته بادر إلى تأسيس مراكز خاصة للشيعة المحروميين، بينما كان المسيحيون يتمتعون بإمكانات واسعة على هذا الصعيد؛ ومنها تأسيس مدارس نهارية ومسائية لرفع المستوى التعليمي للأطفال واليافعين الشيعة وكذلك تأسيس مركز باسم (النهاية العامة) لتحسين الأوضاع المعيشية والحياتية للشيعة اللبنانيين.

كذلك حدثني بعض الأصدقاء أن مركز جبل عامل كان يضم عدداً من المساكين الذين كانوا يستجدون المساعدة المادية من الناس؛ فبادر

خالي إلى تفعيل جمعية (البر والإحسان) التي كانت قد تأسست في زمن آية الله شرف الدين في المنطقة وأحدث فيها عدة لجان للتفتيش والتخطيط والبرمجة والإشراف المالي والإعلامي.. وقام من خلال اقتدائـه بالآئمة المعصومين (ع) (الذين كانوا يقولون إن أتباعنا يموتون ولا يستجدون أحداً أبداً، أو تحريمـهم تقديم الصدقة المالية لكل من يتمتع بسلامة في الجسم والحواس والطاقات البدنية)، بالطلب من الناس أن يحذروا عند تقديم أي نوع من العون المادي والمالي لمثل هؤلاء الأشخاص، وفي المقابل كلف هذه اللجان التعرف على الفقراء والمحتاجين وتقسيمـهم إلى عدة مجتمعـ حسب حاجاتهم ومعالجة وضعـهمـ الحيـيـ والمعـيشـيـ من خلال تقديم دعم مالي أو رواتـب شهرـيةـ بشكل منظم لهم.. ولم يكن يتم التـفـرـيقـ فيـ هـذـاـ البرـنـامـجـ بينـ الشـيـعةـ والـسـنةـ، ولـذـلـكـ تركـ ذـلـكـ التـصـرـفـ والـسـلـوكـ الإـلـسـانـيـ أـثـرـ الإـيجـابـيـ فيـ المـجـتمـعـ بـحـيثـ بـادـرـ عـدـدـ مـنـ الـأـثـرـيـاءـ غـيرـ الـمـسـلـمـيـنـ بـتـقـدـيمـ تـبـرـعـاتـهـمـ لـلـجـمـعـيـةـ.

وسمعت من خالي أن أحد أصحاب معامل الثلج من المسيحيـين أوقف نصف عوائـدـ معـملـهـ لهـذـهـ الجـمـعـيـةـ.. ثـمـ قـامـ بـتأـسـيسـ (دارـ العـجزـةـ) لـرعاـيـةـ الـمـعـاقـينـ وـكـبارـ السـنـ وـفـاقـديـ الـمـعـيلـ.

كـماـ تمـ تـأـسـيسـ مـراـكـزـ تـعـلـيمـ وـتـدـريـبـ الـبـنـاتـ بـإـسـمـ (بيـتـ الفتـاةـ) وـ(مـدـيـنـةـ الزـهـراءـ) لـتـقـدـيمـ درـوسـ فـيـ التـمـريـضـ وـالـخـياـطـةـ وـالـتـطـريـزـ وـحـيـاكـةـ السـجـادـ وـالـبـسـاطـ وـغـيرـهـاـ مـنـ الـمـهـنـ وـالـحـرـفـ لـلـفـتـيـاتـ. بـعـدـ ذـلـكـ تـطـورـتـ الـأـعـمـالـ وـالـنـشـاطـاتـ وـتـضـاعـفـ التـعاـونـ بـيـنـ الـمـجـمـوعـاتـ وـالـفـصـائـلـ وـالـفـئـاتـ إـلـجـتمـاعـيـةـ وـالـخـيـرـيـةـ وـانـتـشـرـتـ الـمـجـالـسـ وـمـرـاسـمـ الـخـطـابـةـ وـالـوـعظـ وـالـإـرـشـادـ بـيـنـ النـاسـ..

وقد سمعت هناك أن خالي كان يقول: «أحب أن أرتبط مع الناس من خلال القلب بدل أن يكون ارتباطنا معهم من خلال القلم والورق؛ لذلك عقد الكثير من مجالس الدروس والوعظ والإرشاد وكان يقوم بنفسه بإلقاء الدروس والمواعظ فيها.

البعد الدفاعي

خلال تلك الرحلة اندھشت عندما عرفت أن الجيش اللبناني لا يحرك ساكناً حيال ما يتعرض له الجنوب اللبناني من اعتداءات الجيش الإسرائيلي. لذا فإن إهمال الحكومة لأوضاع شيعة الجنوب دفع خالي لأن يطلب من الشيعة الساكنين في المناطق الجنوبية اللبنانية ليقوموا من خلال تعبئة قواتهم الشعبية بمهمة حراسة الحدود اللبنانية مع الدولة الإسرائيلية.

فقد التقيت في أحد الأيام مع عدد من الأسر الشيعية في مدينة صور الجنوبية، حيث نقلوا لي العديد من الحكايات المرة التي تفضح الجرائم الإسرائيلية والإعتداءات الصهيونية ضد القرى الجنوبية، فقد حكوا لي أن الإمام الصدر بادر خلال الهجوم الإسرائيلي إلى الطلب من الناس والحكومة لتجهيز القرى الحدودية ب مختلف الإمكانيات الدفاعية اللازمة بل وقام بشراء بعض تلك الإمكانيات والأسلحة من سوريا وجهز شباب الجنوب بالأسلحة ليتصدوا بأنفسهم لأي عدوان إسرائيلي غاشم. كما دعا العائلات اللبنانية لتأسيس (هيئة دعم الجنوب) وطلب من الحكومة والبرلمان أن يخصصوا ميزانية خاصة ويضعوها تحت تصرف هذه الهيئة لتحقيق هذا الهدف.

الأَخْلَاقُ الْحَسَنَةُ وَالْجَدَالُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

عرف الإمام موسى الصدر بعلاقاته الواسعة مع جميع الفصائل اللبنانية، وكان يبذل جهوداً كبيرة لتحقيق التضامن والتعاون بين مختلف هذه المجموعات، وقد نجح إلى حد ما في نشر أجواء المحبة والألفة والمودة بين الطوائف اللبنانية.. وكانت الأجهزة والمؤسسات الحكومية اللبنانية المتشكلة من جميع الفصائل والمجموعات القومية والمذهبية مختلفة مع بعضها البعض؛ إلا أن خالي كان موفقاً في تمتين علاقته مع هذه الفصائل. وكان يشارك في صلاة الجمعة لأهل السنة وفي المقابل يدعوهم للمشاركة في صلاة الجمعة للشيعة، بل ويدعو علماءهم لإلقاء خطب الجمعة في هذه الصلوة. كما كان يشارك في احتفالات المسيحيين ويلقي خطاباته هناك، وكانت هذه الجهود تهدف إلى تحقيق التقارب بين أتباع المذاهب والأديان. وقد تطورت علاقاته معهم بحيث وجهت الدعوة له لإلقاء (خطبة الموعظة) في كنيسة (الكبوشيين) في عام ١٩٧٥ تزامناً مع بدء أيام الصيام الخاصة بالمسيحيين الكاثوليك في لبنان.. وهناك أعجب الكاردينال كونينغ الأسقف النمساوي الأعظم، الذي كان ينوب عن الفاتيكان في تلك المراسيم، بما سمعه من الإمام الصدر في خطبته وخطابه قائلاً: «يا حضرة السيد لقد سمعت عنك الكثير إلا أنني أقول بكل ثقة إن التاريخ اللبناني يجب أن يقسم إلى مرحلتين الأولى قبل موسى الصدر والثانية بعده»!!.

وهناك شاهدت عن كثب تطبيقاً عملياً لمبدأين أخلاقيين إسلاميين هما (الخلق الحسن) و(الجدال الطيب وبالتالي هي أحسن) متجلسين في سلوك ونهج الإمام موسى الصدر في تعامله مع الفصائل والمجموعات الدينية وغير الدينية في لبنان.



خطاب الإمام موسى الصدر في إحدى الكنائس اللبنانية

العلاقة مع النخب الإيرانية

ارتبط الإمام الصدر بعلاقة طيبة للغاية مع عدد من المفكرين والنخب المثقفة الإيرانية آنذاك من أمثال الدكتور محمد بهشتی^(١) والأستاذ مرتضى مطهري والمهندس مهدي بازرگان^(٢) والسيد جلال آل

(١) الدكتور السيد محمد بهشتی (ولد بطهران عام ١٩٢٨ واستشهد بتاريخ ٦/٢٨/١٩٨١). يعتبر من الشخصيات العلمائية السياسية. وقد جمع بين الدراسة الجامعية والدينية، وكان رئيساً للمركز الإسلامي في هامبورغ بألمانيا خلال الفترة ١٩٦٤ - ١٩٧٠.

تقلد بعد انتصار الثورة الإسلامية منصب رئيس ديوان القضاء الأعلى وترأس الحزب الجمهوري الإسلامي. استشهد مع ٧٢ من أبرز الشخصيات السياسية والعلمية في انفجار مقر الحزب بطهران، وقد نعاه الإمام الخميني (رض) قائلاً: «لقد كان بهشتی أمة، حيث عاش واستشهد مظلوماً وكان شوكة في عيون الأعداء».

(٢) المهندس مهدي بازرگان (١٩٠٧ - ١٩٩٤م): أستاذ جامعي وباحث قرآنی، وهو من الشخصيات الوطنية - الدينية المناضلة المعروفة في إيران. قام في عام ١٩٦١ مع آية الله السيد محمود طالقاني والدكتور يدالله سحابي بتأسيس (نهضة حرية إيران). تقلد السيد بازرگان منصب أول رئيس وزراء لإيران بعد انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩.

أحمد. وقد سمعت من أخي صادق، أن خالي (الإمام الصدر) في لقائه مع الدكتور بهشتی والأستاذ مطهری والدكتور محمد مفتح وعدد آخر من النخب الإيرانية، تطرق إلى آثار ونتائج الهجوم الوحشی الذي قام به جلاوزة النظام الملكي البائد في الخامس من حزيران عام ١٩٦٣ ضد طلاب الحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة داعياً إلى الإستفادة من تجربته في لبنان، مضيفاً: «ينبغي أن نأخذ الدروس وال عبر من الأحداث السياسية التاريخية مثل الحركة الدستورية وثورة الغابة التي قادها المیرزا کوچک خان^(١)، وحركة الكولونيل بسیان^(٢) في خراسان، وأن نقوم بتوسيع جهودنا لتشمل مختلف الأبعاد الفقهية والسياسية والدفاعية.. وهو ما بدأته في لبنان وحققت فيه نجاحاً نسبياً».

(١) المیرزا یونس المعروف بالمیرزا کوچک خان جنکلی (١٨٧٨ - ١٩٢١م) نجل المیرزا بزرک (الكبير)، ولد في مدينة رشت (شمال إیران) وكان قائداً لحركة الغابة النهضوية ونجح بتاريخ ٦ حزيران ١٩٢٠ بعد نضال استمر لعدة سنوات، في إعلان الحكومة الجمهورية في مدينة رشت. وكانت حركته تهدف إلى تحقيق استقلال إیران ومنع أي تدخل أجنبي في شؤون البلاد الداخلية، وتحقيق إصلاحات أساسية، والقضاء على الفساد الإداري والحكومي، ودعم الوحدة الإسلامية. وقد طلب دعم كل الإيرانيين لتحقيق هذه الأهداف.. وقد دخلت القوات الحكومية مدينة رشت لمحاربة ثوار الغابة، فاستسلم عدد منهم وقتل البعض الآخر.. وغادر المیرزا المدينة نحو الغابة لإعادة تنظيم صفوف رجاله، إلا أنه توفي بسبب البرد الشديد.

(٢) الكولونيل محمد تقی بسیان (١٨٩١ - ١٩٢١م): التحق في الخامسة عشرة من عمره بمدرسة (نظام) العسكرية في طهران. وبعد تخرجه انضم إلى قوات الدرک وغادر إلى ألمانيا لإكمال تعليمه العسكري واتقن علوم الفضاء والطيران في القوة الجوية الألمانية، وهو أول طيار إیراني.. وقد شارك في قمع أشرار خراسان. قتل في إحدى المعارك مع أكراد قوجان.

إثارة العقبات في طريق الإمام الصدر

كان السافاك الإيراني غاضباً كثيراً على الإمام موسى الصدر بسبب دعمه للفصائل الفلسطينية المناضلة، وكانت السفارة الإيرانية في بيروت غير راضية عن نشاطاته هناك، لذا كانت تثير العقبات دائماً في طريقه.. بالإضافة إلى ذلك، فإن بعض الناشطين السياسيين الإيرانيين مثل السيد جلال الدين فارسي^(١)، لم تكن له علاقة جيدة مع خالي ويقوم دائماً بنشر البيانات المناوئة للإمام الصدر ويرسلها إلى الإمام الخميني في النجف الأشرف.. بعد أن تعرف السيد أحمد على خالي عن كثب، طلب منه أن يرد على هذه الإتهامات من خلال رسالة يبعثها إلى الإمام الخميني، فرفض خالي ذلك قائلاً: «لا أرغب في الدفاع عن نفسي، وأظن أن الإمام الخميني يعرف الحقيقة تماماً لأنه لم يقطع عنني مساعداته ودعمه حتى الآن».

هجرة الإمام موسى الصدر

سمعت خلال هذه الرحلة الكثير من الأمور حول هجرة خالي من إيران إلى لبنان، فالبعض في إيران والنجف الأشرف، كانوا يأسفون على ذلك ويقولون: «إن السيد الصدر إن لم يذهب إلى لبنان وظل في حوزة قم العلمية لأصبح بلا شك أحد كبار العلماء المعاصرین وأبرزهم، ولا استفادت منه الحوزات العلمية والأوساط الدينية كثيراً».

(١) جلال الدين فارسي (ولد عام ١٩٣٣م)، من الشخصيات السياسية الناشطة في إيران وكان مرشحاً من قبل الحزب الجمهوري الإسلامي لأول انتخابات رئاسية في إيران (أواخر عام ١٩٧٩) إلا أنه انسحب من الانتخابات بعد أن تبين أنه من أصول أفغانية. كان عضواً في مجلس خبراء تدوين الدستور الإسلامي، ولجنة الثورة الثقافية، وممثل الشعب في الدورة الثانية لمجلس الشورى الإسلامي.

وخلال هذه الرحلة وبعد اطلاعي عن كتب، على الجهد الحثيثة والواسعة والمتعددة التي كان يبذلها هناك، عرفت أسرار ودافع هذه الهجرة إلى لبنان؛ لا سيما عندما سمعت أن الإمام الصدر كان قد قال: «كنت أشعر أن واجبي هو إكمال المشروع الذي بدأه السيد جمال الدين أسدآبادي^(١)، على أن لا أكرر أخطاءه، حيث كان السيد جمال يعتقد أن الإصلاح الاجتماعي ينبغي أن يبدأ من المسؤولين، بينما أعتقد أنه يبدأ من جماهير الناس. ومن خلال رفع المستوى الفكري والإجتماعي للناس نتمكن من فرض مصالح المجتمع وتطلعاته على المسؤولين».

التعرف على الدكتور مصطفى شمران

في هذه الرحلة رأيت لأول مرة الدكتور مصطفى شمران، فقد كان يمتلك شخصية ودية ورحيمة وفي الوقت ذاته صلبة وقوية، حيث لفت أنظارنا إليه.

سمعت أن الدكتور شمران كان أحد تلامذة المهندس بازركان ومن الأصدقاء القدامى للمهندس سحابي^(٢) والدكتور شيباني والدكتور

(١) السيد جمال الدين أسد آبادي (١٨٣٨ - ١٨٩٦م): ولد في مدينة أسد آباد الإيرانية، ويعتبر من الشخصيات الفكرية والسياسية والإصلاحية، وكان يدعو إلى وحدة المسلمين، ويعرف أنه رائد نهضة الصحة الإسلامية في القرون الأخيرة وهو معروف بـ (الأفغاني).

(٢) المهندس عزت الله سحابي (١٩٣٩ - ٢٠١١م): هو نجل الدكتور يد الله سحابي، متخصص وأستاذ في الهندسة الميكانيكية بجامعة طهران، فضلاً عن كونه من السياسيين البارزين، قضى عدة سنوات في سجون النظام البائد بسبب هذا النشاط. أصبح بعد انتصار الثورة الإسلامية، عضواً في مجلس قيادة الثورة ورئيس منظمة التخطيط والميزانية في حكومة المهندس بازركان، ثم أصبح ممثلاً للشعب في الدورة الأولى لمجلس الشورى الإسلامي، والأمين التنفيذي لحركة تحرير إيران قبل أن ينفصل عنها.

شريعي. وكان قد التحق بحركة المقاومة الوطنية بعد الإنقلاب العسكري (الأميركي) الذي نفذ في ۱۹ آب عام ۱۹۵۳ وأصبح مسؤولاً عن صحيفة (طريق مصدق) في جامعة طهران، وأوفد إلى أميركا لمواصلة دراسته العلمية بعد أن نال المرتبة الممتازة في قسم الإلكترونيك بكلية الهندسة التكنولوجية في جامعة طهران.

وبعد فترة قصيرة من وجوده في أميركا قطعت الحكومة الدعم المالي الذي كان يقدم له بسبب نشاطه السياسي و موقفه المعارض للنظام البائد و تأسيسه للإتحاد الإسلامي للطلبة في أميركا. ورغم ذلك واصل الدكتور شمران تحصيله العلمي وأبحاثه العملية المتقدمة حتى نال درجة الدكتوراه إلى جانب تأسيسه لفرع الإتحاد الطلابي الإسلامي في كاليفورنيا و مشاركته كبار العلماء والباحثين في أكبر مشاريع علوم الفضاء والأقمار الصناعية لمركز أبحاث الفيزياء الأميركية المعروف (بل كمباني).

خلال سفرته إلى أوروبا في عام ۱۹۶۹ ، التقى خالي الإمام الصدر في بيت أخي صادق، جمعاً من الناشطين من أعضاء الإتحادات الإسلامية الطلابية في أنحاء أوروبا وشرح لهم جهوده الهدافة إلى تأسيس مؤسسة جبل عامل الصناعية في لبنان قائلاً: «أطلب مساعدتكم لإدارة هذه المؤسسة». وبعد ما أشار الإمام الصدر إلى خصائص المدير الذي يريد لإدارة هذه المؤسسة، اقترح أخي صادق والدكتور حسن حبيبي، الدكتور مصطفى شمران لهذه المسؤولية، فبادر خالي لدعوة السيد شمران لمساعدته في هذه المسؤولية المهمة في لبنان^(۱).

(۱) بعد استشارة زملائه في أوروبا، توصل الدكتور شمران إلى أن وجوده في لبنان يساهم بشكل كبير في مضاعفة نشاطه السياسي ضد النظام الملكي البائد، لذا رحل إلى لبنان وبدأ تعاونه المثمر مع الإمام موسى الصدر، واستمر ذلك حتى انتصرت الثورة الإسلامية في إيران، فغادر بيروت إلى طهران بدعوة من المهندس بازرkan.



لقاء مؤلفة الكتاب مع السيد حسن نصر الله

هاجر الدكتور شمران إلى لبنان مليئاً دعوة الإمام الصدر، وترأس مؤسسة جبل عامل ووضع أساس تنظيم شبه عسكري بإسم (أفواج المقاومة اللبنانية) (أمل)، بالتعاون مع السيد موسى الصدر حيث انضم إليها جمع من الشباب الشيعة اللبنانيين ووضعوا أساس قوة عسكرية منظمة كان السيد حسن نصر الله^(١) أحد أعضائها اليافعين آنذاك.

إن لقائي مع الدكتور شمران وتعرفي عليه، كان مفيداً ومثمراً للغاية؛ فقد كان أحياناً يزورنا في بيروت ويأخذنا أحياناً أخرى معه إلى

(١) ولد السيد حسن نصر الله عام ١٩٦٠ في مدينة صور جنوب لبنان، وتلقى دراساته في العلوم الدينية في حوزة النجف الأشرف العلمية. وعرف منذ أن كان يافعاً، بنشاطه الواسع في حركة أمل وأصبح عضواً في مكتبه السياسي مبكراً. والتقي بنشاطه الواسع في حركة أمل وأصبح عضواً في مكتبه السياسي مبكراً. والتقي الإمام الخميني عام ١٩٨١ وكان عمره آنذاك ٢١ عاماً، وأصبح وكيلاً عن الإمام الخميني في الشؤون الحسينية والشرعية في لبنان. بعد انتصار الثورة الإسلامية التقيت به حيث قال: «إن نصيحة الإمام الخميني للشباب اللبناني ودعوتهم إلى وحدة الصف لمواجهة إسرائيل، جعلتنا نفكر بتأسيس حزب الله. وهو الآن أمينه العام».

مدينة صور في الجنوب، حيث كان يعيش فيها وحيداً آنذاك، بعد أن عادت زوجته وأولاده إلى أميركا.

في إحدى المرات التي رافقناه إلى مدينة صور، أخذنا الدكتور شمران لنتجول في أقسام المؤسسة المختلفة، وأطلعنا عن كثب على الأعمال التي يقوم بها الشباب في الورش المتعددة، وقام بشرح الإنجازات التي تحققت بكل فخر واعتزاز؛ كما كان يحتضن الشباب الذين كانوا يحرسون المؤسسة ويقبّلهم ويقول: «إن الأسلحة التي يحملها بعض هؤلاء الشباب أطول من قاماتهم إلا أن عزيمتهم وشجاعتهم لا يمكن أن توصف».

إن حب الدكتور شمران وعشقه لهؤلاء الشباب المتفانين، جعلني أفكّر بأنّ أسأله هذا السؤال: كيف قبل أن يترك أولاده وأفراد أسرته، ويعيش بعيداً عنهم رغم هذه الروح اللطيفة والمشاعر الإنسانية الرائعة التي يتميز بها؟ إلا أنني لم أطرح عليه هذا السؤال.



الدكتور مصطفى شمران في المناطق
العربيّة (لبنان)

عصر ذلك اليوم اصطحبنا
الدكتور شمران معه لتجول على
الخرائب التي خلفتها الهجمات
الإسرائيلية في المدينة؛ وعندما كنا
ندخل البيوت المهدمة أثر ذلك،
كان يشرح لنا حول عدد الأجساد
التي أخرجت منها، أو أنه شاهد
عن كثب عدداً من الأطفال الأبرياء
الذين قتلوا في أحضان أمّهاتهم.
وفي الوقت ذاته كان ينظر أحياناً،
إلى الأوراق والكتب المبعثرة

والممزقة، ويدقق في البعض منها أو يرفع ألبومات الصور العائلية لبعض أصحاب تلك البيوت من بين الركام، ويشرح لنا عمق المأساة التي حدثت في المدينة والجرائم التي ارتكبت فيها. بعد ذلكأخذنا إلى ساحل البحر المتوسط عند أطراف هذه المدينة، واستأجرنا زورقاً وقمنا بجولة بحرية في مياه البحر الزرقاء الجميلة، وقد شرح لنا في هذه الرحلة، هول المجازر الوحشية والقصف الجوي الغادر للقوات الأميركية والإستكبارية التي كانت تنطلق من البوارج الحربية المتمركزة في هذا البحر، ضد الأبرياء.

ضيافة ناقصة

كان لدينا أقرباء في لبنان بالإضافة للإمام موسى الصدر ولا زالوا يعيشون هناك. فخالي «رباب» تسكن في مدينة صور، وقد دعتنا في أحد الأيام، فلبينا الدعوة برفقة أسرة خالي الإمام الصدر، وذهبنا إلى صور. وكان من المقرر أن تعود أسرة خالي تلك الليلة إلى بيروت على أن أبقى مع نجله حسن عدة أيام هناك. وبعد أقل من ساعة على وصولنا، زارنا الدكتور شمران وهمس بشيء في أذن خالي. فطلبت خالي من «بروين خانم» (زوجة خالي) أن تترك المكان سريعاً وقالت لي: «أستودعك الله، سأراك غداً في بيروت». تساءلت لماذا حدث ذلك؟. بعد ذلك غادرنا جميعاً صور إلى بيروت ونحن في حالة من القلق. وقد سمعت في بيروت أن الدكتور شمران أخبر خالي أن إسرائيل من الممكن أن تهاجم صور، ولم تكن خالي ترغب أن يكون ضيوفها هناك عند تعرض المدينة للخطر الإسرائيلي. وكان الدكتور شمران قد طلب من خالي أن تغادر صور برفقة الضيوف إلا أنها أجابت: «إن بيتي هنا ولا بد أن أبقى وأدافع عن المدينة وبيتي».

وقد سمعت هناك الكثير من الذكريات التي توضح صمود وجهاز خالي ضد الإسرائييين وكانت رائعة ومفيدة بالنسبة لي ومنها:

في أحد الأيام، ذهب أحد أبناء خالي إلى السوق لشراء الفواكه، فوجد هناك أحد البائعين يبيع بطيخاً بسعر أقل من السعر العادي، فاشترى عدداً منه وعاد فرحاً إلى البيت. فشكّت خالي بعد أن عرفت ذلك، وبدأت تدقق حول سبب رخص ثمن ذلك البطيخ، وتأكدت أن سبب ذلك هو أنه مستورد من إسرائيل. فانزعجت وثارت أعصابها ورمت كل البطيخ الذي اشتراه نجلها في سلة القمامنة وعاتبته بشدة: «لماذا اشتريت البطيخ دون أن تدقق حول سبب رخص ثمنه»؟!. وأرسلت إلى البائع تحذيراً مفاده أننا لن نسمح بأن تتحول مدينة صور المحتلة إلى سوق إسرائيلية، ودعنته لأن يقاطع السلع الإسرائيلية وإلا فإن محله سيتعرض لنيران غضب أبناء صور. فانتشر هذا الخبر سريعاً في أنحاء المدينة مما دفع البائع للإعتذار لخالي «رباب».

دعم الإمام الصدر للإمام الخميني والثورة

خلال هذه الرحلة سمعت من الأصدقاء والأقرباء، الكثير عن دفاع الإمام موسى الصدر ودعمه للإمام الخميني والمجاهدين الإيرانيين منها:

في عام ١٩٦٤ بعد اعتقال الإمام الخميني ونفيه من إيران، سافر خالي الإمام الصدر إلى عدد من الدول الأوروبية وشمال أفريقيا - منها مرitan إلى الفاتيكان - وطلب من البابا أن يقنع المسؤولين الإيرانيين بإنهاء مرحلة نفي الإمام الخميني.

وبسبب نشاطات الإمام الصدر أصدر شاه إيران أمراً بابطال جنسيته الإيرانية ولغاء تبعيته الإيرانية، فقال الإمام الصدر: «سنسحب قريباً البساط من تحت أقدام الشاه بفضل الله ودعمه». وعندما طلب منه السفير

الإيراني في لبنان اللواء منصور قدر أن يعيد جوازه الإيراني إلى السفارة، أجابه خالي: «إنني إيراني وأتشرف بإيرانيتي ولا يرتبط ذلك بمنى معارضتي للشاه أو تأييدي له. وبما أن الشاه لا يرغب بأن أحمل الجواز الإيراني، فإني لن أعيده إليكم. ولأن هذا الجواز تعلوه صورة للشاعر الشاهنشاهي، فإني سأعقد اجتماعاً وأشعّل ناراً وسأحرقه أمام الجميع».

النجف الأشرف

سوق لقاء الإمام الخميني

بعد حوالي شهر من بقائنا في لبنان، أنجزنا مقدمات صدور تأشيرة الدخول إلى العراق. فبينما كان خالي والسيد أحمد قد تعودا كثيراً على بعضهما، اضطررنا أن نودعه ونغادر بيروت بالطائرة نحو بغداد.

حطت الطائرة في مطار بغداد عند منتصف الليل تقريباً، وبعد أن أنجزنا الإجراءات القانونية الالزمة للدخول إلى العراق، استأجرنا سيارة واتجهنا نحو النجف الأشرف. وصلنا مدينة النجف الأشرف قبل ساعة تقريباً من أذان الفجر، وبعد اجتياز عدة شوارع وأزقة ضيقة، توقفت السيارة أخيراً أمام منزل الإمام الخميني.

كنت قد رأيت الإمام لأول مرة قبل حوالي خمس سنوات في حرم أمير المؤمنين الإمام علي (ع). إلا أن هذه المرة يختلف الوضع عما كان عليه سابقاً، فلم يكن سماحته الآن بالنسبة لي العالم المنفي والمرجع الفقيهي، فحسب، بل إنني الآن أحد أعضاء أسرته الكريمة وأحمل معه طفلاً صغيراً هو حفيده، عمره سنة واحدة.

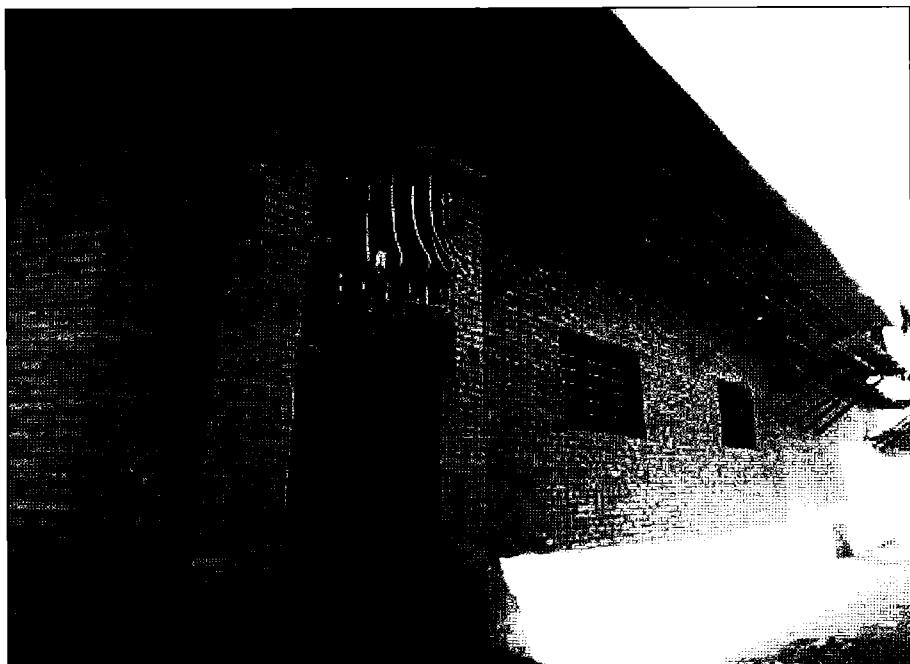
إن اللقاء مع الإمام وجهاً لوجه كان مدهشاً ومثيراً للغاية بالنسبة لي؛ فقد كنت طوال الرحلة أفكّر بهذا اللقاء، ومنذ أن ركبت السيارة

من المطار وحتى الوصول إلى منطقة (الحويس) في النجف الأشرف، كان ذهني منشغلاً بهذا الأمر. وكنت أفكر مع نفسي كيف سيكون رد فعل الإمام عندما يشاهدنا؟ هل سيكون جاداً أو مبتسماً معنا عندما يلاقينا؟ وتذكرت كلمات أحمد حول والده الإمام الذي كان يقول: «الإمام يفضل دينه على الجميع، ويرجحه على كل شيء، حتى على أفراد أسرته؛ وهو يكون جاداً للغاية عندما يلتقي المراجعين في مكتبه». وأتذكر عندما عبرت عن عدم سروري حيال مثل هذا التعامل من قبل السيد الإمام، أجابني أحمد بكل صراحة وشفافية، وبعيداً عن التعصب بالقول: «إنه السيد الإمام.. هو هكذا، ولا يهمني إن كان مثل هذا التعامل جيداً أو سيئاً». وبينما كنت منشغلة بمثل هذه الأفكار وبعد أن طرق أحمد باب البيت^(١)، سمعنا صوتاً من خلفه يقول: «من الطارق؟» قال أحمد: «أنا أحمد». وكان ملفتاً بالنسبة لي أن الإمام هو الذي فتح الباب بنفسه. سألت أحمد: «لماذا الإمام بذاته؟»؟ قال: «إن السيد الإمام هو الوحيد المستيقظ في مثل هذا الوقت». ففتح الباب ورأينا قامته منتصبة؛ وكان يرتدي رداءً وسروالاً أبيضاً وقبعة سوداء، تبادلنا السلام والتية ودخلنا البيت.

رغم أننا كنا نشعر بالتعب، إلا أن ذهني كان منشغلاً بأفكاري وتصوراتي وأحاول تطبيقها مع ما أشاهده أمامي، لا سيما كلمات أحمد الآنفة: «هكذا هو الإمام بذاته ولا يهمني إن كان ذلك جيداً أو سيئاً».

عبر سماحة الإمام عن سروره من رؤيتنا، فسأل أحمد: «أين كنتم؟»؟ أجاب أحمد: «نحن قادمون الآن من لبنان». فقد كنا أخبرناهم

(١) لم يكن للباب جرس آنذاك، بل كانت هناك قطعة حديدية ملصقة بالباب تقوم بمهمة الجرس.



منظر خارجي لبيت الإمام الخميني (النجف الأشرف)

أنا ربما نسافر إلى لبنان، إلا أننا لم نخبرهم عن إمكانية سفرنا للعراق. أشار الإمام بيده، فجلسنا على سجادة في باحة البيت، وجلس سماحته بجانبنا. وبدأنا نتبادل الحديث مما أدى إلى أن تستيقظ السيدة (زوجة الإمام) من النوم، وكانت نائمة على سطح البيت ونزلت إلى الباحة وهي باكية من الشوق والفرح. فنهأنها الإمام بكل سرور لوصولنا سالمين. وانشغلت «الحاجة اقليم» بإعداد الضيافة لنا بعد أن كانت هي أيضاً قد استيقظت من النوم^(١).

وبينما كنا منشغلين بالحديث، قام سماحة الإمام من مكانه واستأذننا قائلاً: «اسمحوا لي أن اترككم وأنتم مشغولين بالحديث مع السيدة حتى أواصل أعمالني»!!.. سألت أحمد بكل دهشة: «أين يذهب

(١) الحاجة «اقليم»، رافقت السيدة زوجة الإمام خلال هجرتها من إيران إلى العراق.



السيدة (حاجة أقليم)

السيد الإمام»؟ أجاب أحمد: «لقد حان وقت صلاة الليل». وفهمت ذلك لأن الذي كان يتوجه أيضاً إلى مقام السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى الكاظم (ع) في قُم لأداء هذه الفريضة بعد منتصف الليل. إلا أنني كنت أظن أن هذه الصلاة ما دامت غير واجبة، فمن الممكن تأخير أدائها لنصف ساعة مثلاً. لكن سماحة الإمام تركنا دون أن يضيف أي شيء آخر.

كنت أتوقع أن يبقى سماحته أكثر إلى جانب كنته وحفيده، لا سيما أنه يراهما لأول مرة، وأن يجلس معنا ويبادرنا الحديث، لا سيما أن حسن الصغير كان قد استيقظ من النوم وبدأ بالتحرك، والطفل يبدو جميلاً ورائعاً ومحبوباً أكثر في مثل هذا العمر، وكنت أظن أن سماحة الإمام سيبقى معنا وقتاً أطول بسبب ذلك، إلا أنه تركنا وذهب. ولم يمض وقت طويل إلا وعاد مرة أخرى إلينا. وبعد عدة دقائق غادرنا مرة أخرى لأداء صلاة الصبح هذه المرة. وبينما كان يغادرنا قال سماحته: «أنتم أيضاً تشعرون بالتعب والإرهاق، اذهبوا واستريحوا وسأراكם غداً إن شاء الله».

كرباء

بعد عدة أيام من بقائنا في النجف الأشرف، قررنا السفر إلى كربلاء المقدسة، وبسبب الطقس الحار جداً، اقترحت السيدة (والدة أحمد) أن يبقى حسن عندها ووافقنا على ذلك واتجهنا نحو كربلاء بالحافلة.

عندما وصلنا إلى كربلاء، تذكرة الرحلة السابقة لي لهذه المدينة المقدسة قبل عدة سنوات برفقة والدي ووالدتي وأخي (عبدالحسين)، حيث كانت حالي المعنوية آنذاك تختلف عما عليه الآن، وقد دعوت الله حينذاك، أن لا تتم هذه الزيارة، وتوسلت من أجل ذلك بالسيد جعفر الطيار (رض)، لأنني كنت أرغب بأن أواصل تحصيلي العلمي، وكنت أظن أن الزواج من السيد أحمد سيحول دون تحقق ذلك. إلا أن الوضع يختلف هذه المرة، حيث دخلنا هذا المكان المقدس الآن بعد أن تم ذلك الزواج، وأن أحمد يقف الآن بجانبي، وأنا راضية ومسورة جداً بذلك، فكنت أخاطب نفسي: كم هو جميل أن لا تتحقق كل أمنيات الإنسان!، وهنا أدركت مفهوم هذه الآية المباركة ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكُرُّهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾^(١). وما أن وصلنا إلى كربلاء توجهاً إلى زيارة الحرم المطهر للإمام الحسين سيد الشهداء (ع). وخلال الطريق حتى الحرم الحسيني تبادلنا الحديث والذكريات. وفي مثل تلك الأجواء الثورية السائدة آنذاك، كانت بعض الأحداث ذات الظاهر الثوري تفسر بنظرة ثورية، فكيف الحال مع ثورة سيد الشهداء (ع) الذي يعتبر في الحقيقة رائد الثورات الحقيقة وأبرزها. تحدثنا حول شخصيات خالدة مثل هاني بن عروة وما حدث في الكوفة آنذاك من جهاد مرير خاصه أمثال هؤلاء العظام ضد الإنحراف والإبعاد عن صراط الدين المستقيم، وهذه كلها كانت من منابع ثورة الإمام الحسين (ع) المقارعة للظلم والطغيان بكل أشكاله. وخرج أحمد بهذه النتيجة، وهي: أنه من أجل تحقيق الهدف لا بد من تحمل الصعاب والآلام، وهي من الشروط الرئيسية لذلك؛ وضرب مثلاً على ذلك سيدنا العباس بن علي سلام الله عليه الذي قدم في هذا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

الطريق يديه وعينيه وبالتالي روحه الطاهرة وأهدافها في سبيل ثورة أخيه. وكان أحمد يقول: «إن نهضة عاشوراء لا تنحصر في الهم والغم والحزن والمظلومة والأسر، فلو كانت كذلك ل كانت حرارتها وجذوتها انطفأت بعد كل هذه السنوات الطويلة». لقد كان يبحث دوماً في عمق هذه الثورة عن فكرة أصيلة وخلدة تنبع منها آيات الثورة والجهاد والحياة والنشاط والصمود بوجه الظلم ومقارعته. ولم تكن هذه النظرة لواقعة عاشوراء شاملة بين جميع أنصار الإمام الحسين (ع) وأتباعه، إلا أنه كان يقول: «لو حصرنا ثورة الإمام الحسين (ع) في الحزن والعزاء لما نفتحت منها كل هذه الخيرات والبركة».

خرجنا من حرم الإمام الحسين (ع) واتجهنا نحو حرم أبي الفضل العباس سلام الله عليه. وكان لابد أن نجتاز سوقين أحدهما سوق الصاغة حيث محلات صاغة الذهب والمجوهرات التي تجذب إليها عيون الزائرين وقلوبهم الضعيفة، - وأنا منهم - وحتى لو كانوا قد ذرفوا دموعاً في حرم الإمام الحسين (ع)، فإن ذلك لم يكن يشكل عقبة أمام انجذابنا نحو هذه المحلات. وأثناء احتجازنا لهذه السوق، وقع نظري على الواجهة الأمامية لأحد المحلات الذي كان يعرض مختلف أنواع الحلي الذهبية والأسورة والقلادات والخواتم واجذبني أحد الخواتم الذي كان يشبه كثيراً خاتم زواجي الذي كان قد سقط في مياه نهر كان يمر أمام بيت ابنة خالة أحمد في السنة الأولى من زواجنا. وكنا أنا وأحمد منزعجين كثيراً لذلك؛ وقد أشرت إلى أحمد أن ينظر لذلك الخاتم ويعطي رأيه فيه فاشتراه لي بعشرة دنانير. وبعد أن زرنا حرم سيدنا العباس سلام الله عليه رجعنا إلى النجف الأشرف مساءً، وهكذا قضينا يوماً كاملاً في كربلاء مليئاً بالذكريات الجميلة.

حفل الولادة في الباصرة

بعد عدة أيام اقتربت السيدة والدة أحمد أن توجه لزيارة سامراء والكاظمية، فابتسم سماحة الإمام قائلاً : «إن السيدة تبحث دوماً عن ذريعة لتسافر^(١). وهكذا سافرت برفقة السيدة والدة أحمد وحسن ومشهدي حسين (المُسؤول عن مشتريات البيت)، إلى الكاظمية وبقي أحمد عند والده الإمام.

استأجرنا غرفتين في أحد الفنادق القريبة من حرم الإمامين الكاظمين (ع)، غرفة لنا وأخرى لمشهدي حسين، وكنا نزور الحرم صباحاً ونذهب بعد الظهر إلى بغداد للتجول. وقد تزامن اليوم الأول من وصولنا إلى الكاظمية مع ذكرى ولادة ابني حسن في الحادي والعشرين من شهر تموز.

أخذتنا السيدة والدة أحمد إلى باخرة راسية في ساحل نهر دجلة حُوّلت إلى كافteria ، لتحتفي بهذه المناسبة السعيدة. وتناولنا البوظة هناك. وهكذا احتفينا نحن الثلاثة بالذكرى الأولى لمولد حسن على ظهر تلك الباخرة - الكافteria ؛ وأنذكر كذلك أن الطقس في ذلك اليوم كان حاراً للغاية بحيث لم نتمكن أن نفتح باب السيارة من الخارج لسخونته مما اضطر السائق لفتحه من الداخل.

(١) حقاً كانت السيدة والدة أحمد تحب السفر كثيراً وترغب بمشاهدة مختلف الأماكن. وكانت تدقق في أوضاع كل مدينة نزورها وتتجول في الأماكن المهمة فيها منذ أول لحظة لوصولنا، فضلاً عن زيارة السوق، لأنها كانت تعتقد أن السوق يمثل أفضل مكان لمعرفة أخلاق الناس وثقافتهم واقتصادهم وعمaran مدinetهم.



السيدة خديجة تففي (زوجة الإمام الخميني)



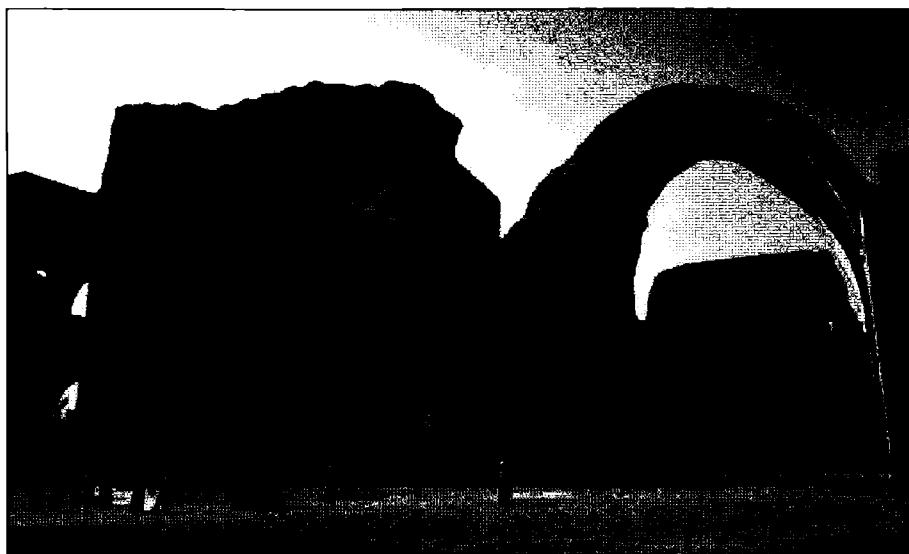
السيد (مشهدی حسین)



السيد حسن الخميني

إيوان المدائن

زرنا كذلك طاق كسرى^(١)، وإلى جانبه قصر أثري كبير يعود للملوك الساسانيين القدامى، وقد هاجمه في القرن السابع الميلادى الفاتحون العرب المسلمين ومزقوا سجاداً ثميناً كان هناك يسمى سجاد بهارستان^(٢)؛ وهناك تذكرت أحد أشعار عمر الخيام في وصف تلك الحادثة. وهو ذات القصر الذي يقال إن أعمدته الأربعة عشر انهارت مع



إيوان مدائن وطاق كسرى (العراق)

(١) يعتبر هذا القصر من أكبر وأضخم وأشهر المباني التي شيدتها الملوك الساسانيون، ويسميه الإيرانيون (إيوان مدائن) أو طاق كسرى، ولا زالت آثاره ماثلة في تيسفون (المدائن) بالقرب من الساحل الشرقي لنهر دجلة عبرة لآخرين. وطاق كسرى يعتبر أعلى طاق مبني من الطين مع التبن. يبلغ ارتفاعه ٣٥ وعرضه ٢٥ وطوله ٥٠ متراً.

(٢) سجادة نسجت من الخيوط الذهبية التي لا مثيل لها؛ وتسمى بـ (بهار خسرو) (ربيع خسرو) أو بهار كسرى، أو السجادة الشتوية. لمعرفة التفاصيل يمكن مراجعة الهاشم الثاني في نهاية الفصل.

مولد النبي الأكرم محمد (ص). وسمعت أن الإمام الخميني كان قد قال بهذا الشأن: لربما هو رمز لإنهيار أركان النظام الشاهنشاهي في إيران بعد أربعة عشر قرناً.

بعد عدة أيام رجعنا إلى النجف الأشرف مصطحبين معنا هدايا بسيطة.

في ضيافة العرب

كانت السيدة والدة أحمد تقترح علينا أحياناً أن نذهب إلى الكوفة عصراً؛ وكنا غالباً نتحرك برفقة الحاجة «إقليم» وحسن نحو الكوفة، عبر الحافلات، وبعد أن نصل إلى هناك نتوجه نحو شط الكوفة مشياً على الأقدام أو بالعربات، ونجلس هناك وتناول بعض الأطعمة التي جلبتها معها الحاجة «إقليم». وكانت لذيدة للغاية. وكنا أحياناً نذهب لمسجد الكوفة^(١) أو مسجد السهلة^(٢). وفي إحدى المرات وبينما كنا نمر في مسجد الكوفة، كانت بعض الأسر العربية الموجودة تتناول الأطعمة، فيقدمون قسماً منها لحسن ويتمارحون معه، وكانت قد سمعت من والدي أن الضيافة والترحيب بالضيف هي من خصال العرب الحميدة وهم يتزعجون إن رُفضت دعوتهم. لذلك كنا نحمل معنا الكثير من الأطعمة عند عودتنا إلى النجف.

(١) مسجد الكوفة يعتبر واحداً من المساجد الأربع الكبيرة في العالم الإسلامي (المسجد الحرام، المسجد النبوي، المسجد الأقصى ومسجد الكوفة) ويعتبر مسجد الكوفة من أقدم المساجد بعد المسجد الحرام.

(٢) من أشهر المساجد الإسلامية، وقد شيد في القرن الأول الهجري في الكوفة.

صور رائعة من سلوك الإمام الخميني

إن أول شيء لفت نظري منذ تلك الأيام، هو مدى اهتمام ومحبة الإمام لزوجته. فخلال تناول وجبات الطعام الذي كان يتم دائمًا بدقه في أوقات معينة، كنّا نجلس أطراف المائدة والسيدة والدّة أحمد كانت تضطّل بمهمة إعداد الطعام وجلبه إلينا، لذا فهي كانت آخر من يلتّحق بنا على المائدة. وكنا ننظر الإمام لا يمد يده للطعام قبل أن تلتّحق زوجته بنا. وحتى لو نبدأ أحياناً بحسب الطعام، فإن سماحته كان ينادي زوجته بأن تسرع في المجيء ويسأّلها: «ألا تأتي السيدة؟! ففهم حينها أن الإمام لا يرغب بتناول الطعام إلا بعد مجيء السيدة زوجته.

كانت مائدة الطعام تضم غالباً في الصيف نوعاً واحداً من الفاكهة (الخيار أو العنب) ويضاف التمر الطازج أحياناً عند توفره في السوق. وكان سماحة الإمام يحبه كثيراً. وفي أحد الأيام تم شراء تمر غير ناضج تماماً، ولكي أثير شهية الإمام مازحته قائلة: «سيدي إنه لذيد جداً، إنه تمر العام الماضي». فأجابني سماحته (وكان معروفاً بأنه سريع البديهة) قائلًا بلا تردد: «نعم، لأن الزبيب هو نفسه عنب العام الماضي»!!.

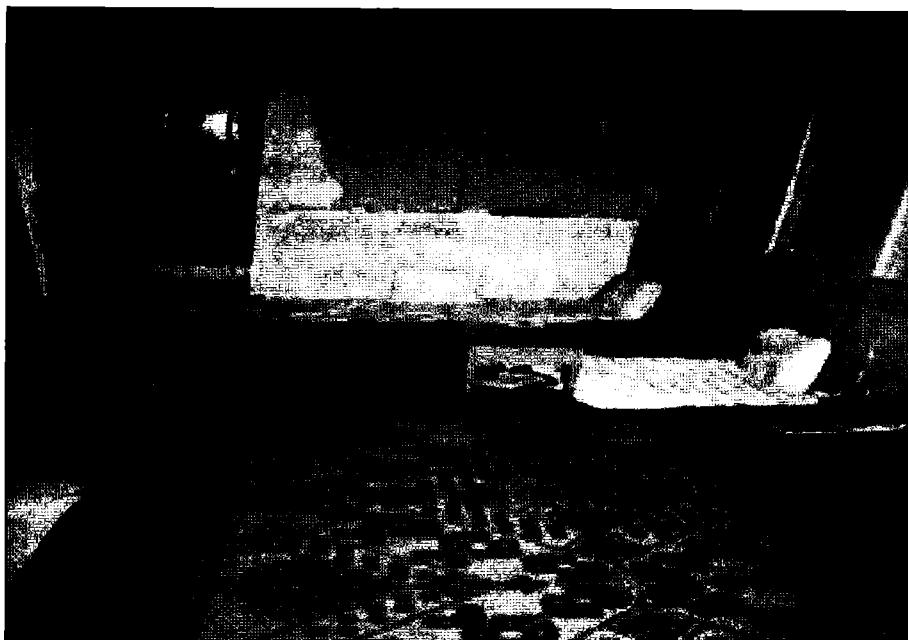
بعد عدة أيام رأيت صور أخرى لسلوك الإمام وأخلاقه؛ وهي تمثل أموراً تختلف مع استنتاجاتي الأولية بهذا الشأن، وأدت إلى تعليقي الخاص بسماحته، وأصبح وجوده في البيت أمراً محباً وحضورنا إلى جانبه باعثاً للسكينة والسرور.

أعتقد أن سماحته كان ذا شخصية متبعة صلبة عابدة وزاهدة ومتعبدة بآداب الشريعة. وكان منظماً ونظيفاً دوماً، وخجولاً نوعاً ما. ولربما تصعب مجامعته ومعرفته، وقليل الكلام. أجل كان سماحته له برنامج معين يتلزم به طوال اليوم وينفذه بشكل منظم ومبرمج.

كان الإمام يهتم كثيراً بالحالات المعنوية والروحية لأهل بيته؛ فلو كنت أحياناًلتزم السكتة ولا أتكلم، كان يتحدث معي ويحاورني بكل محبة.

كان سماحته يناديني بإسمي «فاطمة» وكان يخاطب زوجته السيدة بالقول: «انظري ماذا تحب فاطمة خانم أن تأكل من الطعام واطبخى ماتريده حتماً». وكان يقول أيضاً لأحمد: «اهتم بفاطمة، ولا تجعلها تضجر أبداً». وكلما كنت أناوله شيئاً كان يشكريني بكل لطف ومحبة بالقول: أيدك الله، آجرك الله، أو سلمك الله.. وهكذا.

النقطة المهمة الأخرى تكمن في دقته خلال التعامل العادل والمتساوي معي ومع «معصومة» خانم (كنته الكبيرة). وعندما كانت السيدة «معصومة» تأتي إلينا كان سماحته يومئ بحركة معينة قائلاً: «يا الله»؛ وعندما كنت أريد الدخول في الغرفة، مثلاً، كان يقول، أيضاً، باحترام



غرفة عمل الإمام الخميني (النجف الأشرف)

وبتواضع: «يا الله». إن اهتمام سماحة الإمام بهذه النقاط الدقيقة والجميلة وتعامله بهذا الشكل الرائع، كانت ملفتة للغاية بالنسبة لي ومؤثرة علىّ كثيراً. وخلال تدقيقه بتعامله وسلوكه الرائع هذا، شعرت كم هي الدنيا ضئيلة أمامه رغم كبرها. وكنت أظن حتى ذلك الوقت، أن الاعتقال، والأسر، والنفي، والإبعاد عن أبنائه وأصدقائه وأبناء بلده وأحبابه ورفاق دربه، سيشكل حزناً كبيراً وحملأً ثقيلاً عليه، إلا أنني شعرت، شيئاً فشيئاً، أن كل تلك الصعب لا شيء أمام عظمة روحه. وفي أحد الأيام تم التحدث حول إعتقال بعض الأشخاص وثم نفيهم إلى المناطق المحرومة والنائية؛ وقد قال الإمام الخميني بكل بساطة: «إن أكبر أنواع الأسر واكثرها رعباً، هو أسر النفس، لذا فإن أصعب وأهم أنواع الجهاد هو مقارعة الأهواء النفسية». وقد شعرت أن المصطلحات التي سمعتها آنذاك ذات معانٍ واسعة. كما رأيت أن شخصية الإمام أفضل من جميع الشخصيات الكبيرة التي عرفتها؛ وقد وجدت في نظراته أسراراً ورموزاً خاصة، ولكنني لم أكن أقدر على فكّها. إن كل ما رأيته في بيت سماحته في الرحلة الأولى ترسخت في ذهني ولا زالت ماثلة حتى الآن.

إن أهم صفة تميّز بها الإمام بالإضافة للتزامه بالواجبات، تكمن في التزامه بالمستحبات وابتعاده عن المكرورهات، وهي ذات أهمية قصوى بالنسبة له بحيث كان أحياناً يدهشني بسبب ذلك. فمثلاً كانت هناك مغسلة بيضاء صغيرة في إحدى زوايا باحة البيت وكان الإمام يجهد نفسه ليتوضاً بصعوبة هناك، فسألت أحمد عن سبب ذلك؟ فأجاب: «لكي يكون متوجهاً نحو القبلة عند الوضوء». أو كنت أراه أحياناً يذهب إلى الطابق العلوي ويوضع قبعته^(١) التي كانت في غرفته هناك على رأسه

(١) أخبرتني السيدة والدة أحمد بشأن القبعة السوداء التي اعتاد الإمام أن يضعها على:

ويأتي إلى باحة البيت ثم يذهب إلى المرافق الصحية (التواليت) لأنه ذكر في الوصايا الدينية كراهة الذهاب إلى التواليت بلا قبعة رأس. وعندما كان يتحدث مع زوجته كنت أسمعه يوصي قائلاً: «احذروا أن لا تستغيبوا»؛ وكانت السيدة تقول: «سيدي، لماذا عندما نتحدث تقول لنا: «لا تستغيبوا»؟ فكان يقول: «عندما يتهمس شخصان في جموع من الناس، يكونا عادة يستغيبان؛ أنا أوصيكم فقط بأن تحذروا وتراقبوا! وهذا لا يعني أني أقول إنكم تستغيبون حتماً».

وكان سماحته يوصينا دوماً بأن نؤدي الواجبات ونترك المحرمات. وقد قال لي يوماً: «يا فاطمة خانم أنت سوساسية وكثيرة الشك. فأجبته بدهشة: «لست كذلك»، فقال: «أجل، لقد رأيتك تفتحين الحنفية ويدك جافة ونظيفة؛ إلا أنك لا تطمئنين من ذلك وتعودين وتسكبين الماء عليها، إن عملك هذا نوع من الإسراف والإسراف حرام».

وفي أحد الأيام كنا في كربلاء، وأشارت إلى سماحته إلى جزء من باحة البيت وقلت: إن هذا المكان غير طاهر، لا بد من الحذر! فقال الإمام: «لأنك سوساسية وكثيرة الشك، فان كلامك ليس حجة عليّ؛ ولم يهتم بكلامي. وقد انزعجت قليلاً من كلامه في حينها، إلا أن ذلك أدى بأن أبعد عنى حالة الوسواس والشك. وفي إحدى المرات، وبعد سماع أذان الفجر ذهبت عند الإمام رأيته مشغولاً بالدعاء والتضرع جلست خلفه بهدوء، وبعد لحظات قام للصلاه. فقامت أيضاً للصلاه، فقال لي: «إنها صلاة نافلة الفجر. وانت تعرفين أن صلاة النافلة تؤدي

= رأسه، وأن والدتها كانت قد حاكت هذه القبعة وقدمتها لصهرها مع ملابس الزفاف. وأعجب الإمام بها كثيراً، وكان يضعها دوماً على رأسه؛ وقد اعتدت أن أحيك له مثلها بين فترة وأخرى.

فرادى»^(١). وعرفت حينها ينبغي أن أنتظر كذلك، فصلّى سماحته ركعتي النافلة. وبعد أن انتهى من الصلاة، رأيت فجأة أنه تمدد على الأرض باتجاه القبلة ونام على جهته اليمنى^(٢). فأصابني القلق، فانحنىت حتى أعرف ماذا يجري بالضبط، إلا أنني تأكدت أن حالته جيدة ولله الحمد وهو منشغل بالدعاء. عدت إلى مكاني مندهشة بسبب ما رأيت. وبعد عدة دقائق وبينما كان قد مرّ وقت لا بأس به، بعد أذان الفجر، لم يقم سماحته، أيضاً، لأداء الصلاة، فظننت أنه لم يسمع صوت المؤذن أو أن ساعته عاطلة. فقال: «إنها أيام البيض^(٣) والليالي المقدمة^(٤) يا ابنتي». وبعدها قام للصلاة وقامت لأداء الصلاة جماعة خلف سماحته.

(١) الصلاة الفرادى يعكس صلاة الجماعة يؤديها المصلى بشكل فردى، وأن ثواب صلاة الجماعة لا يمكن أن يقارن مع ثواب صلاة الفرادى كما جاء في الأحاديث الشريفة وتوجيهات العرفاء والعلماء والائمة (ع) وتأكيدهم (أن الأصل هي الجماعة والفرادى رخصة).

(٢) جاء في آداب نافلة صلاة الفجر: ينام المصلى بعد أدائه ركعتي نافلة الفجر نحو القبلة على الطرف الأيمن للجسم (كما ينام الميت) ويتنلو ادعية خاصة وآيات معينة من الذكر الحكيم. لمعرفة تفاصيل ذلك يمكن مراجعة كتاب (مفاتيح الجنان).

(٣) يطلق على أيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمرى، بالأيام البيض. وقد قيل أن سبب هذه التسمية يعود إلى أن ليالي هذه الأيام الثلاثة، تتميز بأنها مضيئة ومبكرة لإكمال قرص القمر وتلاؤه. كما أن هناك رواية منقوله عن النبي الأكرم (ص) قال فيها: «عندما أصيّب سيدنا آدم (ع) بحالة (ترك الأولى) أسود بدنـه، فألهـم أن يصوم هذه الأيام الثلاثة، فـأبيـض بـدنه تـبعـاً لـصومـه هذه الأيام، لذلك سمـيتـ بالـأيـامـ الـبيـضـ».

(٤) تسمى الليالي المنحصرة بين الثانية عشرة وحتى التاسعة عشرة من كل شهر قمرى بالليالي المقدمة لأن القمر خلال السحر يتلألأ أكثر، حيث أن الصبح الصادق لا يمكن تحديده في السماء بدءاً. ولأن ضياء الصبح الصادق يمكن تحديده مع وقت أذان الفجر، فإن الرأى الفقهي للإمام هو أن يمر وقت معين بعد أذان الفجر حتى يتمكن المصلى تحديد ضياء الفجر الصادق وعندها يؤدي الصلاة.

كان سماحة الإمام يخلِّي المكان الذي يصلِّي فيه من الصور وأمثالها، واعتاد أن يمشط محسنه ويتعطر قبل الصلاة.

النقطة الأخرى الملفتة في سلوك الإمام تكمن في التزامه بالنظافة والنظام والانضباط؛ فقد اعتاد سماحته أن يضع نعليه في مكانهما المخصص (أمام الغرفة) عند الخروج من البيت ويغطيهما بمنديل ليقيهما من الغبار والأتربة. ومن ثم يأخذ حذاءه ويسمحه بنفسه بالمنديل ذاته، ولم يكن يسمح لأي أحد أن يقوم بذلك بدلاً عنه. ففي إحدى المرات أراد عامل البيت أن يقوم بذلك فمنعه الإمام؛ كما كان نجل الإمام الأكبر السيد مصطفى يقول مازحاً: «الأزقة التي يجتازها الإمام مليئة بالغبار والأتربة وغيرها، ولكن السيد الإمام ينظف نعليه وحذاءه». حقاً إن ازقة النجف الأشرف كانت كما شرحها السيد مصطفى.

كذلك كلما كان الإمام يريد الخروج من البيت، كان يقف أمام المرأة ويمشط محسنه ويتعطر. وعندما كان يعود إلى البيت يطوي جبته ويضع عمته عليها ثم يغطيهما بمنديل نظيف، كما كان يعلق عباءته على مشجب خاص في الحائط. ولم يكن يخرج من البيت بدون جوارب أبداً، حتى في حر الصيف الشديد، وكانت ملابسه نظيفة ومرتبة دائماً.

وهكذا فإن برنامج الإمام اليومي كان ثابتاً ومعروفاً، فهو يتضمن المطالعة والعبادة واللقاء مع الأشخاص والناس في أوقات معينة سلفاً. كما أنه كان يهتم بالرياضة، لا سيما المشي، والاستراحة ومتابعة أمور الأسرة إلى جانب اهتمامه بأداء الواجبات، والابتعاد عن المكريهات، وأداء المستحبات.

من برامجه اليومية التي كان حريصاً على أدائها بشكل منظم هي رياضة المشي، حيث كان يقوم بها ثلاث مرات طوال اليوم وكل مرة

نصف ساعة، وكان أحياناً يذهب للمشي على سطح البيت، لا سيما خلال العصر؛ وكان سماحته يشغل بالذكر والدعاء خلال ذلك. ثم كان يحيين وقت تناول شاي العصر. بعد ذلك يشغل بالمطالعة وإجراء اللقاءات الخاصة قبل أن يذهب إلى مسجد الشيخ الأنصارى لإقامة صلاته المغربية والعشاء جماعة. بعد ذلك يعود إلى البيت ويقضى فترة في التأمل بعدها يدخل إلى المكتبة. كما اعتاد سماحته أن يزور مرقد الإمام أمير المؤمنين علي (ع) في وقت معين كل ليلة ويعود بعد ذلك إلى البيت ويتناول وجبة العشاء مع أفراد أسرته في وقت معين.

في إحدى الليالي سأله عامل البيت: «هل أجلب العشاء؟؟؟! نظر الإمام ل ساعته وقال: «أجل، ولكن بعد عشر دقائق». سأله أحد بإندهاش: «ما هي العلاقة بين الوقت وجوع الإنسان؟ هل ستتجوعون بعد عشر دقائق؟» أجاب الإمام: «إن كان المعيار هو الجوع، فلربما لا أرغب بتناول الطعام أبداً؛ ولكن لو أن البرنامج اليومي يُنفَّذ طبق نظام معين، لننجحنا في القيام بكل أعمالنا واستفدنا من الوقت بشكل مناسب». وكان يقول دائماً: «إن سر الأشخاص الذين حققوا نجاحات يمكن في النظام والانضباط الذي ميز حياتهم».

كان سماحته يذهب إلى النوم في وقت معين ويستيقظ قبل أذان الفجر بساعتين لأداء صلاة الليل. وبالإضافة إلى الأعمال اليومية التي كان يقوم بها الإمام، فقد اعتاد سماحته على قراءة عدد من الأدعية المأثورة مثل دعاء العهد وزيارة عاشوراء والأذكار اليومية، كما كان يؤدي نافلة الظهر^(١) قبل التوجه للمسجد. وكانت نافلة الظهر تختلف في

(١) تكون نافلة الظهر من ثمانى ركعات، وتؤدى قبل صلاة الظهر ويمكن أن تؤدى أثناء التحرك أيضاً. إلا أن هذه النافلة تصبح عشرين ركعة في يوم الجمعة.

يوم الجمعة عن باقي الأيام في طريقة أدائها وعدد ركعاتها، حيث كان سماحته يؤديها بشكل متفرق منذ الصباح وحتى قبل أذان الظهر ويوزعها بين أعماله اليومية. وفي صباح كل يوم جمعة كان الإمام يفتح علبة صغيرة ويخرج منها منديلاً أبيضاً ويربطه بالشكل المطلوب وينشغل بتقليم أظافره وتقصير شعره ومحاسنه ثم ينطف المنديل ويعيد محتويات العلبة إلى مكانها الأول ويغلقها قبل أن يدخل الحمام للقيام بغسل الجمعة، وكان هذا البرنامج يتكرر كل يوم جمعة.

اعتماد سماحة الإمام أن يزيد من الأدعية التي يقرأها خلال شهر رمضان وشعبان، أما في شهر رمضان المبارك، فالرغم من صيام أيامه وصعوبة ذلك بسبب الحر الشديد في النجف الأشرف، فإنه لم يكن يترك أعماله اليومية والأدعية والمناجاة والأذكار المأثورة المذكورة في كتاب (مفآتيح الجنان). وكان سماحته يغتنم أثناء الغروب في الليالي الفردية من الأسبوع.

كان لحضور الله الواضح والمؤثر في حياة الإمام الخميني، دافع كبير لي لأشعر أن رضا الله مثل العامل الوحد الذي ترك أثره على جميع أعماله المتنوعة (السياسية والعلمية والعبادية)، وقد أثر ذلك في سلوكه وتعامله المعتمد مع الآخرين. لهذا رأيت شخصيته تجمع بين الغضب والمحبة والنشاط والحزن والسكون في الوقت ذاته. كان سماحته معجبًا بأعمال الخير والبر التي يقوم بها الآخرون ويتحدث بشأنها للآخرين بكل حيوية ونشاط، وفي المقابل لم يكن يتحمل أي عمل مخالف للشرع المقدس؛ حيث أن مثل هذا السلوك غير من نظرتي تدريجياً، بحيث أصبحت متعلقة بشخصيته الفريدة ومخلصة لسماحته أشد إخلاص. وهناك نقطة مهمة أخرى وجدتها في شخصية الإمام بعد أن دفقت عن كثب في سلوكه وتصرفاته، وتعلمتها منه، وهي أن سماحته كان ينظر للحياة بغير

ما كنت أنظر إليها. ففي فكر الإمام تكتسب الحرية معناها الحقيقي في العبودية، وعزّة النفس في التواضع، حيث لمست هناك معنى هذه المقوله الخالدة (إن الحياة عقيدة وجihad)، وأن هذه التعبير الجديدة فتحت آفاق واسعة أمامي وجعلتني أهتم أكثر بشخصيته الرائعة.

إن اعتقاد الإمام بالله وإيمانه الكبير لفتا نظري كثيراً؛ فحتى ذلك اليوم كنت أنظر لكل مسلم بأنه مؤمن، ولكن بعد رؤيتي للإمام عن كثب عرفت أن أي إنسان مسلم لا يعني أنه مؤمن، حيث أن الإيمان يمثل حقيقة لا بدّ أن تتجسد في كافة أبعاد حياة الإنسان وتظهر، أيضاً، في سلوكه وتعامله الخارجي. فقد سأله يوماً عن (الصراط المستقيم) حيث كنت أظن أنه لا بدّ أن نبحث عن ذلك في عالم خارج عنا. ولكن بعد أن سمعت ردّه عرفت أن (الصراط المستقيم) هو الصراط الذي يرتبط من ناحية بالإنسان ذاته (عقل وإرادة وإيمان ومعرفه الإنسان) ومن ناحية أخرى يتصل بلوبيه الحق المتعال. إلاّ أنني لم أفهم جيداً، حينها، حقيقة هذا البيان المهم، ولكني شعرت باتصالني وارتباطي مع الله جل وعلاً، وبعد فهمي لهذه الحقيقة شعرت بنشاط وإحساس عجيب من البهجة والسرور. لكن وأسفاه.. لأن تلك الأيام مرّت بسرعة!.

والحقيقة الأخرى التي لمستها بكل وجودي ومن أعماق كياني هي أن طاعة الله وعبادته كيف يمكنها أن تكون أساساً لكي يصبح مثل هذا الإنسان محبوباً لقلوب الناس. حيث رأيت أن الإمام لم يكن يسعى أبداً لترسيخ محبوباته لدى الآخرين، ولكن أي إنسان يتعامل مع الإمام عن كثب ينجذب إليه ويتعلق بشخصيته الفذة، فأهل البيت (أسرته) والعمال والطلاب كلهم كانوا متعلقين به ويتسابقون بكل نشاط واندفاع لإنجاز أي عمل يرتبط به دون أي مقابل. وهكذا رأيت عن كثب مصداق هذه الآية المباركة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وَدَاء﴾

[سورة مريم: ٩٦] وفهمت أن رمز محبوية الإنسان يكمن فقط في طاعته لله سبحانه وتعالى.

محل إقامة الإمام في النجف الأشرف

كان بيت الإمام يقع في شارع الرسول (ص) وينتهي بصحن وحرم الإمام أمير المؤمنين علي (ع)، وكان مستأجرًا بمائتي دينار سنويًّا^(١)؛ وكان الشيخ نصر الله خلخالي^(٢) قد استأجره لسماحته.

في أول الزقاق كان هناك مطعم كباب يجتمع الناس فيه لتناول الكباب، وبسبب صغر المحل فقد عمد صاحبه إلى وضع عدة طاولات وكراسي على الرصيف لاستقبال زبائنه وتقديم الطعام لهم. وكان هذا الزقاق القصير نوعًا ما يقطع زقاقًا آخر، وفي الجهة اليمنى منه كان هناك زقاق مغلق يضم بيت آية الله أشكوري^(٣)، وفي الجهة الأخرى منه كان بيت الإمام. وكان هذا الزقاق ينتهي بسوق (الحوش) الذي كانت تباع فيه الخضروات والمواد الغذائية، ومسجد الشيخ أنصارى الذى اعتاد الإمام أن يصلّى فيه جماعة، كان بالقرب من هذا السوق.

البيت الذي كان يواجه بيت الإمام كان يعود لسيدة عربية بإسم «الحاجة شمسة»، وهي أرملة تعيش مع ولديها وكانت تمتلك الخياطة

(١) كان هذا المبلغ يعادل آنذاك ٤٠٠٠ تومان إيراني.

(٢) الشيخ نصر الله خلخالي ولد في النجف الأشرف ووالده كان من مدينة ماسولة (شمال إيران) وكان يحمل الهوية العراقية. وبسبب أمانته كان يعتمد عليه الكثير من العلماء والناس. للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهاشم الثالث في نهاية الفصل.

(٣) آية الله أشكوري كان من العلماء الفضلاء، وكان مريضاً وجليس البيت آنذاك، كان عنده ست بنات وثلاثة أبناء؛ وأكثر أصهاره كانوا من طلاب العلم ومن تلاميذ دروس الإمام والسيد مصطفى نجل الإمام، كما أن اثنين من أبنائه كانوا من العلماء الفضلاء آنذاك.

وقد خاطت لي بعض الملابس، وتحدث أحياناً مع السيدة والدة أحمد عن مشاكلها. وأغلب أقربائها كانوا من المرفهين نوعاً ما ولكنها كانت مختلفة معهم فكريأً، لذلك لم تكن تختلط معهم كثيراً، ولكنها كانت تلبـي أحياناً دعواتهم الرسمية. حيث دعتني مرة لمرافقتها لحضور حفل زواج أحد أقربائها، وقد شجعني السيدة أم أحمد على قبول الدعوة. وكان الحفل يقام في أحد بساتين النجف وكان ذلك جذاباً بالنسبة لي أن أرى بستانـاً في النجف.

بعد تقديم الضيافة جاء عدد من النساء بملابس عربية واستقرنـ في وسط البستان لتقديم بعض الأغاني والرقصات. فقالـت الحاجـة شمسـة لي : «يمـكن أن نغـادر المـكان إن اـنزعـجـت من ذلك». ولكنـي لم أـكـنـ منزعـجـة بل كنت أـرغـبـ أن أـرىـ هـذاـ البرـنـامـجـ عنـ كـثـبـ، إـلـاـ أنـ الحاجـةـ شـمـسـةـ فـضـلـتـ أنـ نـغـادـرـ المـكانـ وـعـدـنـاـ إـلـىـ الـبـيـتـ مـعـاـ.ـ كـانـ السـاعـةـ تـقـارـبـ مـنـ تـنـصـفـ الـلـيلـ؛ـ وـكـنـتـ أـظـنـ أنـ الإـمـامـ وـزـوـجـتـهـ قدـ نـاماـ كـالـعـادـةـ فـيـ مـثـلـ هـذـاـ الـوقـتـ،ـ وـلـكـنـيـ تـعـجـبـتـ عـنـدـمـاـ رـأـيـتـهـماـ مـسـتـيقـظـينـ وـجـالـسـينـ فـيـ باـحةـ الـبـيـتـ.

ما أن رأـيـ الإـمـامـ خـاطـبـنـيـ قـائـلاـ:ـ «ـالـحـمـدـ لـلـهـ عـلـىـ مـجـيـئـكـ».ـ ثـمـ ذـهـبـ إـلـىـ سـطـحـ الـبـيـتـ لـلـنـومـ.ـ بـعـدـ أـنـ ذـهـبـ الإـمـامـ قـالـتـ السـيـدـةـ زـوـجـتـهـ:ـ «ـلـقـدـ كـانـ الإـمـامـ قـلـقاـ بـسـبـبـ تـأـخـرـكـ وـرـفـضـ النـومـ قـبـلـ الإـطمـئـنـانـ عـلـيـكـ وـعـاتـبـنـيـ لـمـاـ اـقـرـتـتـ عـلـىـ السـيـدـةـ فـاطـمـةـ أـنـ تـشـارـكـ فـيـ مـجـلـسـ لـاـ نـعـرـفـ الشـيـءـ الـكـثـيرـ عـنـهـ.ـ فـأـجـبـتـهـ قـائـلاـ:ـ «ـلـاـ تـقـلـقـ لـأـنـيـ مـطـمـئـنـةـ بـذـكـاءـ الـحـاجـةـ شـمـسـةـ وـتـدـبـيرـهـاـ»ـ.

فيـ الجـهةـ المـقـابـلـةـ لـصـحنـ الإـمـامـ عـلـيـ (ـعـ)ـ كانـ هـنـاكـ متـجـرـ حـكـومـيـ كـبـيرـ يـسـمـىـ (ـأـورـوزـ دـيـ باـكـ)ـ يـتـمـ فـيـهـ بـيـعـ بـضـائـعـ أـجـنبـيـ بـأـسـعـارـ زـهـيدـةـ،ـ لـأـنـهـ مـسـتـورـدـةـ مـنـ دـولـ شـرـقـيـةـ،ـ وـعـنـدـمـاـ كـانـ هـذـاـ مـتـجـرـ يـعـرـضـ بـضـائـعـةـ

جديدة كان الناس يصطفون أمامه لساعات طويلة مع أنهم لا يعرفون نوع البضاعة المعروضة، المهم أنها كانت رخيصة ومستوردة من دول أجنبية!.

الدائرة الأولى من المباني المحيطة بالحرم الشريف كانت خاصة بالمدارس العلمية الدينية، والأسواق التقليدية القديمة، وأهم شارعين في المنطقة هما شارع الرسول (ص) وشارع الصادق (ع)، وخلف هذه المباني كانت تتوزع مجموعة من الأرقة الضيقة التي تضم داخلها مجموعة من البيوت القديمة. والدائرة الأخرى التي تلي ذلك كانت تضم مجموعة من البيوت ذات الطراز المعماري الحديث وتتوسط، أحياناً هذه البيوت عدد من الأشجار وكانت هذه المنطقة تسمى (جديدة) وكان بيت الإمام والمعارف والمقربين من أسرة سماحته متوزعة في الدائرة الأولى (القسم القديم من المدينة)، حيث كنا نتبادل الزيارات واللقاءات معهم.

كما أن أغلب بيوت هذه المنطقة صغيرة المساحة وتبني بطابقين أو ثلاثة طوابق بطراز معماري خاص، حيث تفرز غرفتان في الطابق الأرضي وتعلوهما غرفتان في الطابق الثاني ومثلهما في الثالث. وعادة ما تغطي شرفات الغرف قسماً من الزقاق، كما أن قسماً من مساحة الطوابق العلوية تغطي جزءاً من باحة البيت وتغطي الأجزاء الأخرى منها بخيمة غير ثابتة تفرض نهاراً وتسحب مساءً وبذلك تحول باحة البيت إلى غرفة مؤقتة خلال النهار.

يتم دخول بيت الإمام عبر باب خشبية تتوسطها قطعة حديدية صغيرة تستخدم بدل الجرس المنبه، وبعد الدخول عبر الباب يواجهك ممر صغير يؤدي في الجهة اليسرى منه إلى غرفة صغيرة يتم فيها استقبال ضيوف السيدة أم أحمد. كما يؤخذ الضيوف الأكثر قرباً أو الذين يأتون بشكل مفاجئ، إلى الطابق العلوي من خلال عدة درجات. وهناك باب يفصلها بمتر واحد تأخذك إلى القبو. وبعد اجتياز هذا الممر الصغير

تدخل باحة البيت ذات الأركان الأربعه ويتم تسقيفه بالخيمة المؤقتة في النهار ويتم سحبها بالحبار متى ما استلزم ذلك ليحول دون التأثير المباشر لأشعة الشمس الحارقة. كما كانت هناك حصير من البلاستيك مخططة باللونين الأبيض والأزرق وبمساحة ١٢ مترًا مربعاً مفروشه في أحد أركان باحة البيت وتغطي تقريباً ربع مساحتها. وعندما يصبح الطقس حاراً يتم تبريد الباحة من خلال مروحة تنقل برودة القبو اليها. وكنا نتناول وجبة الغداء غالباً في الباحة، ويتم خلال ذلك تبادل الحديث حول الطعام. فقد قلت مرة لأحمد: لماذا تتحدثون كثيراً عن الطعام حول المائدة، فأجابني أحمد سريعاً: «وماذا تتوقعين أن نتحدث حول مائدة الطعام، هل نتحدث حول أقليدس^(١) أو بشأن (الشبهة العباءية)^(٢) مثلاً»؟! وكان جواب أحمد ملفتاً بالنسبة لي.

الحمام والمرفق الصحي (التواليت) كانا في باحة البيت، وغرفة العامل كانت هناك أيضاً، وبجانبها ممر صغير فيه درج نحو الطابق العلوي وتمت الاستفادة من المساحة الصغيرة والضيقة تحت الدرج كمطبخ صغير للبيت.

لم تكن البيوت النجفية تضم مطابخ كبيرة، وكذا الحال بالنسبة لبيت الإمام حيث كانت مساحة المطبخ حوالي مترًا مربعاً واحداً تحت الدرج وفيه موقد غازي صغير ورف لوضع العلب الصغيرة التي تحتفظ بالملح والبهارات، مما يجعلنا أن نؤدي الكثير من أعمال المطبخ في

(١) أقليدس: عالم يوناني كان يعيش في مدينة الإسكندرية، وكان فيلسوفاً وفلكياً وعالماً في الرياضيات، وبارع في علم الهندسة، وصاحب كتاب مبادئ الهندسة.

(٢) أول من طرح (الشبهة العباءية) في أصول الفقه هو آية الله السيد إسماعيل الصدر. وتستهدف هذه الشبهة الاستصحاب العام للقسم الثاني، وإن نفيها أو اثباتها، ترك أثرها في الكثير من المسائل.

باحة البيت. وكانت هناك مروحة صغيرة توضع على طاولة رقيقة بالقرب من المطبخ، كما كان يوضع عليها دورق الماء أو صحنون الطعام وغيرها من اللوازم، وكان الإمام يحضر دوماً من مغبة تكسر الطاولة بسبب ثقل اللوازم الموضوعة عليها. في الطابق العلوي كانت هناك غرفة باثنى عشر متراً مربعاً في الجهة اليمنى خاصة لضيوف السيدة والدة أحمد، حيث استقرينا فيها منذ وصولنا النجف الأشرف. وفوق الدرج على الجهة اليسرى كان هناك ممر صغير يؤدي إلى غرفة مطالعة الإمام أو اللقاء مع الضيوف الخاصين، أما باقي الضيوف فكان الإمام يستقبلهم في القسم الخارجي من البيت ويتم الإتصال بينهما من خلال باب صغير يسهل عملية الانتقال بين القسمين الداخلي والخارجي للبيت. وفي ساعة معينة من المساء كان السيد قرهى يفتح هذا الباب ويذكّر بهجته الإصفهانية الخاصة، أن وقت اللقاءات العامة قد حان، حيث كان الإمام يخرج إلى ذلك القسم ويلتقي الضيوف لفترة زمنية معينة ويتحادث معهم ومن هناك ينتقل إلى الحرم المطهر للإمام علي (ع) برفقة السيد قرهى الذي كان ينوب عنه في هذه المهمة السيد فرقاني ذي الأصل الأفغاني عندما كان يسافر إلى إيران.

بيت الإمام كان أكثر البيوت النجفية، مزوداً بأنابيب الماء، بينما كانت البيوت في أطراف المدينة محرومة من هذه النعمة. ولكن بسبب قلة ضغط الماء في الأنابيب نهاراً، فإن خزانأً كبيراً نسبياً كان يوضع على السطح لتخزين الماء ليلاً للتعويض عن شحة المياه نهاراً؛ بالطبع، فإن الماء المخزن في الصيف يصبح ساخناً جداً بحيث لا يمكن استخدامه لشدة حرارته في بعض ساعات النهار.

في بيت الإمام كانت هناك ثلاثة أقبية بأعمق متفاوتة، وكانت أكثر العوائل النجفية تستخدم الأقبية لتبريد الماء والمواد الغذائية بدلاً عن



الإمام الخميني في باحة البيت (النجف الأشرف)

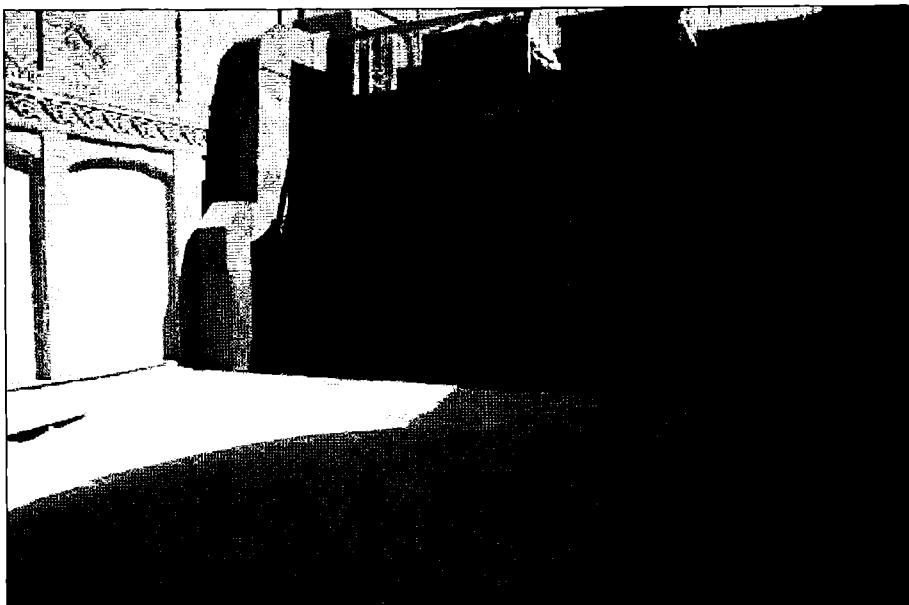


الطابق العلوي لبيت الإمام الخميني (النجف الأشرف)

البرّاد، وكانوا يطلقون على القبو الأعمق في البيت اسم (قبو السن) وكان بارداً جداً؛ وللوصول إليه لا بدّ من اجتياز درجات كثيرة نحو العمق ولم يكن مزوداً بالطاقة الكهربائية، لذا كان يستخدم غالباً المصباح اليدوي عند النزول إلى القبو. وقد اعتاد سماحة الإمام وزوجته أن يستريحوا في القبو الاول بعد تناول الغداء، وعند اشتداد الحرارة ينزلان إلى القبو الثاني؛ والقبو الثالث كان أعمق أكثر وببرودة أعلى، وكانت تتوارد فيه أحياناً الأفاعي غير الخطيرة. ولشدة الحرارة في بعض الليالي الصيفية كنا نلجأ إلى القبو بدل النوم على سطح البيت. ولكن بعد شراء جهاز تبريد للبيت كنا نستخدمه من الصباح وحتى الظهر، ولم يكن يكفي هذا الجهاز أحياناً لتبريد البيت بسبب شدة الحرارة (التي كانت تتجاوز الخمسين درجة) في صيف النجف، وسخونة الماء الذي يستخدم للتبريد.



الباحة الخارجية لمكتب الإمام الخميني (النجف الأشرف)

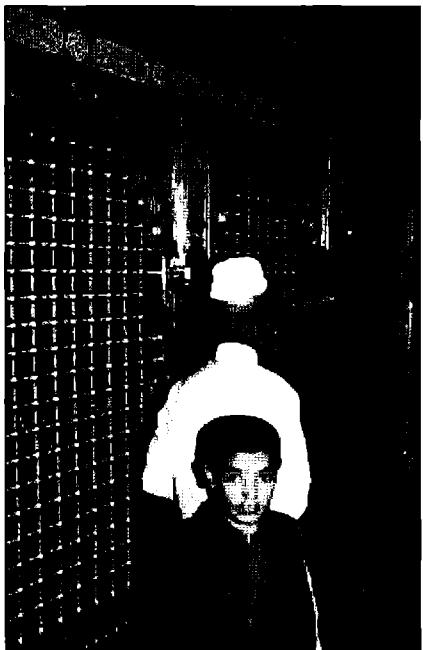


منظر من الأعلى يظهر الباحة المنسقفة بالخيمة -
بيت الإمام في النجف الأشرف



الباحة الخارجية (مكتب الإمام) النجف الأشرف

وكنا نضطر للاستفادة من الهواء البارد الذي ينقل عبر المروحة من القبو. وكان لدينا محار منصوب على الحائط نقيس من خلاله درجة الحرارة، وكان الإمام يخبرنا دائمًا بدرجة الحرارة بعد أن يلقي عليه نظراته الدقيقة.



الإمام الخميني في حرم الإمام علي (ع) النجف الأشرف

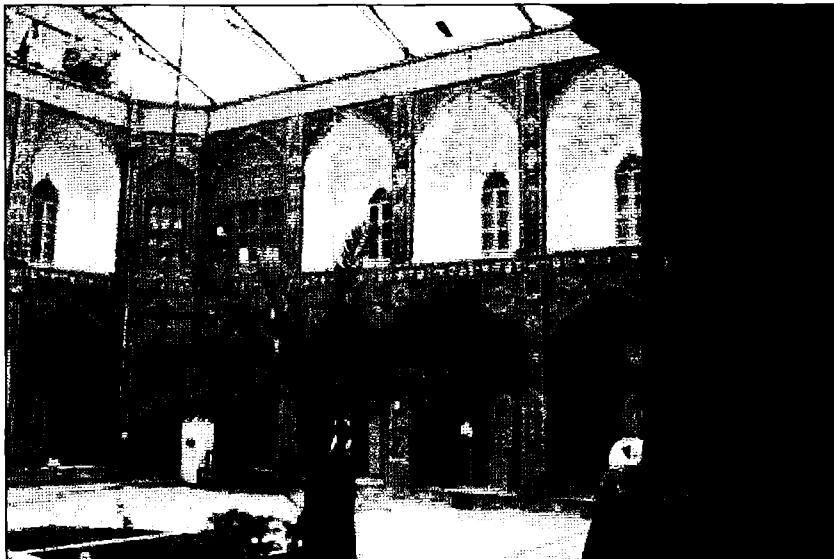
الصيف في النجف

مع حلول فصل الصيف وبدء عطلة الدراسات، كان الإمام يقضي أكثر وقته في البيت، ولم يكن يخرج إلا إلى الصلاة في مسجد الشيخ الأنصاري ظهراً، ومساءً إلى مدرسة آية الله البروجردي، وبعد صلاتي المغرب والعشاء يعود إلى البيت ليتوقف قليلاً قبل أن يلتقي مع الناس أو يعقد لقاءات خاصة في الجزء الخارجي من البيت وبعدها يذهب لزيارة مرقد الإمام علي (ع) كالعادة.

وكان برنامجه في البيت يتضمن المطالعة المتنوعة وملاءمة حفيده حسن الذي كان يتلذذ كثيراً ويفرح عندما يشاركه في اللعب والمداعبة وهو في ذلك العمر الرائع. وعندما لم يكن حسن يقدر على المشي، كان الإمام والسيد أحمد يقفن متبعدين عن بعضهما ويشجعان حسن على التحرك بينهما بشكل رائع وجميل، وكان أحياناً يقع على الأرض كغيره من الأطفال إلى أن سمعت يوماً أحمد وهو يصرخ بفرح أن حسن أصبح يتقن المشي لوحده، وساد البيت جو من البهجة والسرور بسبب ذلك.

شهر رمضان في النجف

لم تمض سوى أيام إلا وحل شهر رمضان المبارك علينا ونحن لا



مسجد الشيخ الأنصاري - محل تدريس الإمام (النجف الأشرف)

زلنا في النجف الأشرف. وبسبب إرضاعي لحسن ومعاناة أحمد ووالدته من المعدة، فلم نكن نوفق في الصيام، وكان سماحة الإمام وال الحاجة «أقليم» يصومان لوحدهما.

وفي أحد الأيام، عاد الإمام من صلاة الظهر، وكان الطقس حاراً جداً وأردت اختبار مدى قدرة سماحته على التحمل والصبر، خاطبته وهو جالس علينا على مائدة الطعام بالقول: هل ترغب ياسيدي بتناول الطعام؟ قال: «كلا». قلت له: والماء البارد؟ قال: «لا». فقلت له: عصير الليمون البارد و...؟! فأجابني أحمد الذي كان يستمع بدھشة لحوارنا قائلاً: «لماذا تريدين إثارة شهية الإمام عيناً؟ ألم تتأكدي من ذلك»؟!!.. وهكذا انقضى شهر رمضان المبارك، وفي الأيام الأخيرة منه



بدء إلقاء الدروس من قبل الإمام الخميني بعد استقراره في النجف الأشرف سافرنا جميعاً برفقة سماحة الإمام وزوجته وبباقي أفراد الأسرة إلى مدينة كربلا وقضينا أيام عيد الفطر السعيد في هذه المدينة المقدسة كما اعتاد سماحته على ذلك منذ السنوات السابقة.

بدء العام الدراسي في النجف الأشرف

مع حلول فصل الخريف انطلقت دروس الحوزة العلمية، وقد سادت البيت أجواء جديدة، حيث اعتاد سماحة الإمام أن يذهب إلى مسجد الشيخ الأنصاري قبل ساعتين من وقت الظهر لإلقاء درس الفقه. وبعد استراحة قصيرة في البيت ولقاء أفراد أسرته، كان يعود إلى المسجد مرة أخرى لإقامة صلاته الظهر والعصر جماعةً.

اعتاد السيد مصطفى نجل الإمام الأكبر، أن يزور يومياً السيد والده والستة والدته خلال هذه الفاصلة الزمنية على الأغلب. وخلال تلك الفترة كان الإمام يدرس مبحث آخر كتاب البيع ومسئولي (الإحتكار)

و(تسخير البضائع) المهمتين^(١). وكان سماحته يعتقد أن كل القوانين والأحكام الإسلامية وضعت من أجل هداية بني الإنسان بشكل جماعي، وتوصيلهم إلى (التوحيد) فضلاً عن اعتقاده أن الإسلام يهتم بأن يصل الناس إلى التوحيد بشكل جماعي. وكان الإمام معروفاً في الحوزة العلمية بأن له آراء فقهية عامة وشاملة وذات آفاق واسعة، وإن سماحته يعتقد أن أعمال الإنسان الاجتماعية والعبادية ينبغي أن تأخذ معناها الحقيقي في إطار الوصول إلى (التوحيد)، لذلك تأتي أهمية وضرورة تأسيس الحكومة الإسلامية^(٢) حتى يظهر الناس بشكل أمة واحدة في الإطار الديني..

بالطبع، فإن عرض مثل هذه المباحث في أجواء حوزة النجف العلمية آنذاك، كان أمراً غير متعارف، بل وكان غير قابل للتحمل من قبل البعض. وفي هذا المجال قال الإمام لي يوماً: «عندما عرضت بحث الحكومة الإسلامية، لم يتحمل عدد من الطلبة ذلك وغادروا مكان الدرس ولم يأتوا بعد ذلك إلى الدرس». لقد طرح الإمام في تلك

(١) إن حضور الأعداد الغفيرة من الطلبة في درس الإمام، دفعت السيد أحمد ليفكر في إعداد جهاز لتضخيم الصوت حتى يصل بسهولة للجميع؛ فطلب من أحد الطلبة - وهو الشيخ محمد رحمت - أن يعد ذلك الجهاز ويضعه في الدرس. فعندما جاء الإمام ليقي درسه رأى الميكروفون والجهاز، فرفض استخدامه ووضعه جانباً لأنه لم يكنيرغب أن يقوم بعمل يخالف به العرف السائد في الحوزة العلمية بالنجف آنذاك.

(٢) تم تسجيل تلك المحاضرة وتوزيعها بطلب من سماحة الإمام. وكان هذا الرأي الذي انفرد به الإمام، جديداً للايرانيين وغيرهم من مسلمي العالم، وقام طلبة قم بالتبلیغ والترویج له؛ كما بدأ السيد دعائی بعرض هذه الأفکار والمباحث المرتبطة بالحكومة الإسلامية عبر إذاعة بغداد. إلا أن البعض أشاع آنذاك أن هذه الأفکار نابعة من النظرية الشیوعیة ويشجع عليها الإتحاد السوفیتی، بينما لم يكن الشیوعيون قد طرحوا مثل هذه الأفکار أبداً.

الدروس المباحث المرتبطة بالفقه الحكومي، وكان يقول: «إن الإسلام كان يطالب منذ البدء بتأسيس الحكومة الإسلامية، لذا فإن الله سبحانه أجاز للرسول الأكرم (ص) أن يسن القوانين المنظمة للحكومة الإسلامية، وهكذا فُرض الرسول محمد (ص) من قبل الله جلّ وعلا بمهمة وضع القوانين المرتبطة بالحكومة الإسلامية».

وتابع الإمام شرح هذه النظرية مؤكداً ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية في زمن غيبة الإمام المعصوم (ع)، موضحاً أنه لو قبلنا فكرة أن النبي الأكرم (ص) كان مكلفاً من قبل الله (جل وعلا) بتشكيل الحكومة، فليس من العقل أن تتصور أن المجتمع بعد رحيله ليس بحاجة للحكومة الإسلامية، لذلك، فلا بد أن يكون على رأس هرم المجتمع الإنساني دوماً شخص واعٍ ومدير ومديرٍ ومتقيٍ وعارف بالدين، حتى يتمكن من استخراج القوانين الالزمة تبعاً للحاجات اليومية للمجتمع، وبالتالي يتعهد بمهمة ولاية المجتمع المسلم. كما كان الإمام يعتقد: «إن هذه الولاية هي شأن من شأن النبي (ص) وبعده تنتقل إلى الأئمة (ع) ومن ثم تفُوض إلى الفقيه جامع الشرائط لذلك، فلو أن فقيهاً وصل إلى هذا المستوى من العلم والتقوى وكسب المقبولية العامة والجماهيرية، فإنه يصبح ولِي المجتمع الإسلامي».

فالولاية حسب نظره لها وجهان: «الوجه الأول يرتبط بالولي الذي لا بد أن يكون عالماً ومتقياً لأن التقوى من شروطه الالزمة، والوجه الآخر يرتبط بالناس الذين يجب أن يقبلوا به».

كان الإمام يقول بصرامة: «إن هناك روحًا مشتركة تميز بها جميع القوانين والأحكام الإسلامية، كما أن النبي الأكرم (ص) من خلال وضعه القانون وبيان الأحكام كان يتابع هدفاً مشتركاً واحداً.

بالطبع، فإن هذه النظرية التي طرحتها الإمام وافق عليها البعض وعارضها آخرون، وكانت المباحث التي تطرح خلال الدرس تتبع أحياناً حتى في البيت وذلك من خلال تبادل الأفكار بين السيد أحمد وال الحاج السيد مصطفى.

ما استنتجه من خلال استماعي لهذه الأبحاث، يكمن في أن الهدف الذي يسعى من أجله في العبادات هو ذاته الذي يعمل من أجله في الحكومة والسياسة. وهذا يعني: إذا كان لا بد للإنسان أن يشعر بطعم التوحيد في الصلاة ويصل إلى درجة القرب من الحق المتعال، فإن ذلك ينبغي أن يسود كذلك في التجارة والسياسة.

مع بدء الدروس، فإن الوقت المخصص للقائنا مع الإمام قلّ كثيراً؛ فبالإضافة إلى الساعات المخصصة لـلقاء الدروس، فإن سماحته كان يشغل في غرفته لعدة ساعات يومياً عادة في المطالعة.

كما كان الحاج السيد مصطفى يدرس خارج أصول الفقه ويطرح مبحث الألفاظ ويشارك كذلك في درس والده السيد الإمام، وكان معروفاً بنقده الدائم له في الدرس. وكان سماحة الإمام يشيد به دائماً بسبب ذلك.

كان السيد أحمد فضلاً عن حضوره في دروس الحوزة المتداولة، يدرس الفقه عند السيد رضوانى والأسفار عند الأخوين مرعشى^(١).

وكان الإمام الخميني يقول لطلابه: «يجب أن لا تكون لكم أبداً نظرة تعبدية لأقوال العلماء الكبار الماضيين، فإلى جانب احترامهم وتكريرهم، فلا مانع من نقد أقوالهم؛ لأنهم كانوا يوصون طلابهم

(١) هما آية الله العظمى السيد محمد كاظم والسيد مهدي مرعشى، ولا أعرف بالضبط عند أي من هذين العالمين الجليلين، درس السيد أحمد الأسفار.



الإمام الخميني ونجله الأكبر آية الله السيد مصطفى الخميني

بذلك. كذلك يجب أن تنددوا أبحاثي وأقوالي وأرائي»؛ وعندهما كان الطلاب لا يطرحون أي إشكال أو نقد لآراء الإمام في الدرس، كان يقول لهم: «هل جئتم إلى مجلس العزاء حتى لا تتكلموا شيئاً؟!».

وقد سمعت يوماً من الإمام أنه كان يقول: «إن الفقيه يظن أنه لا يوجد علم آخر في العالم بقيمة علم الفقه. والفيلسوف يظن، أيضاً، أن لا علم أفضل من الفلسفة. والعارف كذلك يظن نفس الأمر. ويعود ذلك إلى أن تهذيب النفس لم يحدث بشكل كامل، وإنما حدث ذلك لكل منهم ولما ظن أي منهم ذلك. حيث أن دخول العلم في القلوب غير المهدبة يوجد مثل هذه الإشكالات، فيصل الإنسان إلى مرحلة يطرح فيها البرهان الكافي والوافي والمتقن والمحكم، لإثبات وجود الله إلا أنه يكون محجوباً عن الحق المتعال.. فالأمر المؤكد أن كلاً من المعارف لها لغتها ومصطلحها الخاص بها، وبالطبع، فإن أيّ منها يكون أقرب لمنطق ولغة أهل بيت العصمة (ع) فإنه أهم وأعلى».

طرح عدد من الأسئلة وأجوبتها

كنت أسمع الكثير فيما يخص بحث الحكومة الإسلامية، وكانت تشار أمامي العديد من الإشكالات والإبهامات بشأنه، وقد تحاورت مع عدد من الأشخاص ولم نتوصل إلى النتيجة المطلوبة، مما دعاني إلى أن أطرح أسئلة على السيد أحمد وقد أجابني بشكل مقال مكتوب لا زلت أحفظ به بخط يده وهذا نصه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولُو الْأَمْرِ مِنْكُمْ».

«إن قضية الحكومة الإسلامية ذات أهمية كبيرة؛ كما أن فهم وإدراك ضرورة تشكيلها وإقامتها أمر سهل بالنسبة لمن يحمل أدنى علم وفهم لسبب بعثة الأنبياء.

«وهنا يطرح هذا السؤال: هل إن الله سبحانه وتعالى كان يريد تطبيق أحكام الدين في زمن حياة الأنبياء فحسب، وهل أنه جلّ وعلا أرسل الأنبياء لينقلوا في فترة زمنية معينة مجموعة من الأحكام السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعسكرية بشكل نظري، وأن يسعوا من أجل تفزيذهما في المجتمع ما داموا على قيد الحياة، وأن يتوقف ذلك ما أن يرحلوا عن هذه الدنيا وتنتهي مهمتهما تطبيق تلك الأحكام ويترك كل إنسان ل شأنه الخاص؟!..

«من الواضح أن النقل والعقل يرفض مثل هذا المنطق.

«يستنبط من الآيات القرآنية وروايات الأئمة المعصومين (ع) أن رسول الله (ص) والأئمة المعصومين (ع) ومن بعدهم العلماء الكبار، يتعهدون بمهمة قيادة المجتمع في زمن الغيبة الكبرى.. بالطبع نقصد العلماء الذين يتمتعون بالشروط الالزمة والكافية وليس أي عالم.

«من الواضح، إن وجدت مثل هذه القوانين، ولم تكن في متناول الناس، فإن وجودها لا يختلف عن عدمها، ولو أنها وضعت في متناول الناس، ولكن لا يوجد من يطبقها، فلا تفاوت بينها وبين الحالة الأولى، لذلك، فإن كتاب القانون يكتسب أهميته وفائدة متى ما تم تطبيقه على أرض الواقع، لهذا السبب فإن الله سبحانه وتعالى كان يبعث دائماً شخصاً يتعهد بمهمة تنفيذ أي قانون يضعه الله لهدایة البشرية وإرشادهم، وهنا يبرز دور النبي الأكرم (ص) الذي يقوم بهذه المهمة، وهي تطبيق الأحكام الإلهية. إذن سواء قبلنا بفكرة أن الرسول الأكرم (ص) هو المسؤول عن تطبيق القانون الإلهي (وهو ما يراه أكثر الفقهاء)، أو قبلنا برأي الإمام الذي يعتبر النبي (ص) هو الذي ي وضع قوانين الحكومة الإسلامية بتفويض من الله سبحانه وتعالى وأخذ الإذن منه جلّ وعلا بهذا الشأن، فإن السؤال الذي يطرح هنا هو: من يتحمل هذه المسؤولية حيال الناس بعد رحيل النبي الأكرم (ص)؟. حيث يرى الشيعة أن الأئمة المعصومين (ع) يقومون بمهمة تطبيق القوانين الإلهية بعد رحيل النبي الأكرم (ص)؛ حتى لو أن الحكومات الغاصبة لم توفر أمامهم مثل هذه الفرصة والإمكانية، فإن ذلك يبحث في مكان آخر.

«إذن، فإن ضرورة خلافة الرسول الأكرم (ص) أمر واضح وعلقي، فلو أن النبي الأعظم (ص) لم يكلف أي شخص لينوب عنه بعد رحيله لإدارة الحكومة ويطبق القوانين الإلهية؛ فإنه يبدو كأنه لم يقم بمهمته التبليغية.. وهنا، أيضاً، يطرح السؤال المهم: هل إن تطبيق الأحكام الإسلامية يختص بعصر الأئمة المعصومين (ع)؟. بالطبع، فإن العقل السليم يرفض مثل هذه الفكرة التي تقول إن الأشخاص الذين يعاصرُون زمان الأئمة المعصومين (ع) هم فقط الذين تخاطبُهم الأحكام الإلهية. لذلك، فإنه طبقاً لفتوى العقلية، لا بدّ من وجود أشخاص في عصر بعد

الأئمة المعصومين (ع) يقومون بمهمة تطبيق الأحكام الإلهية في الأرض. إذن كيف قبل أن تطبق أحكام الدين الإسلامي في ظل حكومة غير دينية؟ فتكون النتيجة هي ضرورة تشكيل حكومة تستند للأحكام والتعاليم الإسلامية لتمكن من تطبيق أحكام الله في الأرض».

السؤال الآخر المطروح هو: من هم الذين يمكنهم تطبيق أحكام الله؟.. كتب السيد أحمد رداً على هذا السؤال بالاستناد لأقوال أبيه السيد الإمام قائلاً: «تذكر المصادر التاريخية أن الرسول الأكرم (ص) والإمام علي (ع) كانوا يبعثان الولاة لمختلف أنحاء البلدان الخاضعة للحكومة الإسلامية ويكلّفوا بمهمة تطبيق الأحكام الإلهية. إذن كيف يمكن أن قبل أن تشكّل الحكومة الإسلامية شكلت لفترة زمنية واحدة فقط، فلو كان الأمر كذلك، فلا بدّ أن نشكّك بهذه المقوله الخالدة «حلال محمد حلال إلى يوم القيمة وحرام محمد حرام إلى يوم القيمة». وأن نحصر مسائل مهمة مثل القصاص والدفاع عن حدود المسلمين بذلك العصر فقط. كما أنها لو قبلنا أن الإسلام هو آخر الأديان الإلهية ولا بدّ أن تطبق جميع أحكامه حتى يوم البعث والقيمة، فإن تشكيل الحكومة الإسلامية يصبح أمراً ضرورياً».

«إن تدوين القوانين المرتبطة بالعلاقة الزوجية والعلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية بين العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وكيفية تعامل المسلمين مع غيرهم، ومواجهة المسلمين للمستكبرين والمستعمرين، ومن ثم تنفيذها.. كل ذلك يؤكّد ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية، وإلا كيف يمكن تنظيم وتطبيق القوانين المشار إليها آنفاً؟. حيث إن الشؤون المرتبطة بالحكومة الإسلامية لا تنحصر في إشباع بطون عدد من الفقراء بأموال الخمس والزكاة، فحسب، بل لا بدّ من تنظيمها بشكل بحيث تتطابق مع الوضع العام السائد في العالم المعاصر.

«إن ضرورة تنظيم الأمور المرتبطة بالتجارة الخارجية وتسهيل أمور القطاع التعاوني والخاص والضرائب، وكذلك فيما يخص القطاع الثقافي والعسكري والسياسي وغيرها، تثبت طبقاً للعقل والشرع ضرورة وأهمية وجود الحكومة الإسلامية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن نظرة عامة للقرآن الكريم وروايات الأئمة المعصومين توضح أن مهمة الدين لا تنحصر في الشؤون العبادية والأخلاقية، فحسب، لأن الآيات المباركة المرتبطة بالشؤون السياسية والاجتماعية والعسكرية والحكومية بشكل عام، أكثر بكثير من الآيات المرتبطة بالعبادات.

«بالطبع، فإن طرح مثل هذه الأمور والمباحث لم يكن يتناسب مع ذوق وتوجهات البعض واهتماماتهم من الذين يظهرون نوعاً من التعصب حيال الفقهاء... فالعالم الذي يتمتع بصلاحية إدارة شؤون المجتمع الإسلامي ليس ضمن صنف الفقهاء التقليديين؛ لأن العلماء الذين يعرفون الأحكام المرتبطة بالعبادات هم في الواقع مظلعين على ١٪ فقط من الآيات القرآنية، بينما قائد المسلمين ومرشدهم ينبغي أن يكون مشرفاً على جميع أمور المسلمين. والأهم من ذلك لا بد أن يعرف جميع المسائل الإسلامية منها: العبادات، المعاملات، المسائل الاجتماعية والأخلاقية، المسائل الدعائية والحكومية، حتى يتمكن من إدارة المجتمع. كذلك يجب على قائد المسلمين أن يعرف كيفية التمييز بين الخطوط الفكرية الانحرافية عن الخطوط السليمة، والتفريق بين الناس الذين يطلقون لحاظهم من أجل الوصول إلى المناصب الحكومية، عن أولئك الذين يحلقونها في سبيل الله، ويضع كلاً مِنْهُمْ في موقعه المناسب.

«للأسف، فإننا نرى أحياناً بعض الناس يقلدون فقيهاً لا يعرف بشكل جيد من الأحكام سوى أحكام الدماء الثلاثة. فضلاً عن ذلك، ينبغي على الفقيه قائد المسلمين، أن يتميز بشروط أخرى بالإضافة إلى

هذه المعلومات، وقد تم توضيحيها في الحديث المعروف الآتي: (ما كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدینه، مخالفًا لهواه، مطيناً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه...)).

وقد أكد السيد أحمد على معنى هذا الحديث وضرورة التعمق في مصداق مثل هذا الفقيه، وذكر بذلك قائلاً: «كم من فقهائنا صمدوا بوجه النظام البهلوi الغاصب في أيام الجهاد الصعبة؟ وأيّ منهم تابع حركة أبناء الشعب في الوقت الذي تحرك الناس؟ وكم عدد الفقهاء الذين صانوا أنفسهم وسعوا من أجل بناء ذواتهم؟ وكم عدد فقهاء زماننا الذين يخالفون أهواء أنفسهم ويتحدونها ويضحون بألقابهم ومناصبهم ومقاماتهم حتى يتوجب على العوام أن يقلدوهم؟. لذلك، فإن الفقيه الذي يصبح قائداً للMuslimين وحاكماً للحكومة الإسلامية، ينبغي أن يربى نفسه طبقاً لما ورد في الحديث الشريف.

كذلك، فإن أمير المؤمنين الإمام علي (ع) نقل رواية عن الرسول الأكرم (ص) قال فيها: (اللهم ارحم خلفائي) فسئل: يا رسول الله من هم خلفاؤك؟ فقال: أولئك الذين يأتون بعدي وينقلوا حديثي وينشروا ديني ويعلموا الناس ويصبحوا معلمين لهم من بعدي».

وكان السيد أحمد ينزعج أحياناً من بعض الأشخاص بشدة، كما يظهر من النص الآتي: «إن هؤلاء ذوي الفهم المنحرف لا يهتمون بالمسائل المهمة ولا يعرفون أن الفقهاء الذين يثق بهم الرسول الكريم (ص) ويمكنهم أن يكونوا حكامًا للمجتمع الإسلامي، هم الذين لا يسيرون خلف سلاطين الجور، لأن الفقيه الذي يخالف ذلك ينبغي للناس أن لا يقلدوه، فحسب، بل عليهم أن يحذروه، لأن النبي (ص) قال بكل صراحة: (الفقهاء أمناء الرسول في قيادة الجيوش وإدارة المجتمع والدفاع عن الأمة والقضاء بين الناس)».

مساعي الحكومة العراقية لمحاصرة الحوزة العلمية

بادرت الحكومة العراقية لطرح عدد من الأسئلة على المراجع لتحصل على معلومات حول الشؤون التنفيذية للحوزات العلمية في النجف الأشرف، وطلبت منهم الإجابة عليها. ولكن لأن علماء الحوزة وكبارها عرفوا التوابيا السيئة التي تضمّرها الحكومة العراقية من وراء طرح مثل هذه الأسئلة، فإنهم لم يردوا عليها، وتأكدوا، أيضاً، أن الحكومة العراقية تريد من طرح هذه الأسئلة أن تعرف المصادر المالية للحوزات العلمية، وبالتالي فرض القيود عليها وتحديدها.

من هذه الأمور هي الوجوه الشرعية التي كانت تصل للمراجع، لا سيما لسماعة الإمام الخميني؛ حيث أن الحكومة العراقية - ولربما الحكومة الإيرانية - كانت تريد أن تعرف كيفية وصول المبالغ المالية

للإمام والتي من خلالها يعطي الرواتب الشهرية للطلبة، والتي كانت أكثر من الرواتب الشهرية التي يعطيها باقي المراجع. وكانت هذه الحكومة تعرف أن الإمام كان مغضوباً عليه من قبل الشاه البائد ولم يكن الناس يتجرأون على التبليغ لمرجعيته، بل إن الأوساط العلمية والمرجعية كانت مليئة بالإعلام المغرض والدعایات المعادية لسماحتة. فكيف يمكن أن يزداد عدد مقلدي الإمام في مثل هذه الظروف والأجواء، بدل أن ينقص عددهم؟! بالطبع، فإن الراتب الشهري الذي كان يقدم للطلبة من قبل الإمام في حوزة قم العلمية، كان يقدم بإسم آية الله أحمد آشتيناني.

والسؤال الآخر الذي كان يحير الحكومة العراقية، وكانت تبحث عن إجابة له، هو الوضع التعليمي في الحوزات العلمية ولماذا لا توجد نهاية لدورس الحوزة العلمية؟. وسبب ذلك يعود إلى أنهم كانوا يرون أن بعض طلبة العلوم الدينية يبقون سنوات طويلة تصل أحياناً إلى أكثر من أربعين عاماً وهم مشغولون في التحصيل والبحث العلمي.

والمسألة المهمة الأخرى، هي كيف يمكن أن يكون الزي الذي يرتديه المراجع لا يختلف عن الزي الذي يرتديه الطلبة الجدد؟ ولم يكن آنذاك أي معيار يحدد نوع الزي العلمائي في الحوزة.

خواطر وذكريات من الأمسىات النجفية

من الأمور الجذابة التي كنا نشغل فيها ونتسلّى بها خلال الأمسىات النجفية التي قضيناها هناك، هو الاستماع لخواطر وذكريات كان سماحة الإمام وزوجته يسردانها علينا. وكان سماحته يلبي طلبنا ويبداً بسرد تلك الذكريات الرائعة لمدة ١٥ دقيقة في كل أمسية، وهي ذكريات خاصة لم يكن بإمكاننا أن نسمعها من أي مصدر آخر؛ وكنا نصغي لتلك

الحكايات الرائعة في أمسيات كنا نعقدها بعد تناول العشاء، وكان السرد التاريخي يصل أحياناً إلى نقاط مفصلية وحساسة، إلا أن الإمام كان ينظر إلى ساعته، وما أن تنتهي الربع ساعة المخصصة، يعلن انتهاءها لتلك الأممية ويقول: «حان وقت النوم».. وفي رده على طلبنا بأن يستمر بكلامه كان يقول: «اسعوا لتكن أعمالكم التي تقومون بها طبق برنامج محدد مسبقاً حتى تُوفّقوا في اتقانها». وفي إحدى المرات حاولت أن أطابق نفسي مع الوضع الموجود وأردفت قائلة: يبدو أن سماحتكم لم تتعب ولن يأتيكم النعاس، وحتى لو ذهبتم لسرير النوم، فلن تستطع أن تنام بسبب انشغال فكركم ببعض الأمور، إذن لا بأس أن تواصلوا الحديث يا سيدى حتى يغلبكم النعاس!!.. قال سماحته وهو يترك المكان: «اعلمي يا ابنتي إن أردت أن لا أفكّر بشيء، فلن أفكّر به». ولم أدرك حينها عمق هذه الجملة التي قالها سماحته، ولم أعرف كيف يمكن لإنسان أن يتغلب إلى هذا الحد على قواه العقلية والجسمية.

اعتقال الإمام في ٤ تشرين الثاني ١٩٦٤

تحدث سماحة الإمام في إحدى الأمسيات عن ظروف اعتقاله في الرابع من تشرين الثاني عام ١٩٦٤ في مدينة قم، ومن ثم نفيه إلى تركيا قائلاً: «في منتصف تلك الليلة هاجم رجال الأمن باب البيت، وفجأة شعرت أن عدداً آخر منهم تسلقوا إلى سطح البيت، وسمعت صراخهم مع العامل. فذهبت نحو باب البيت وقلت لهم: أنا روح الله الخميني؛ ماذا تريدون من هذا العامل؟ وبينما كان رجال الأمن يدخلون البيت قال قائهم: لدينا أمر باعتقالك. دخلت الغرفة وارتديت ملابسي وبعيداً عن أنظارهم سلمت ختمي الخاص للسيدة زوجتي؛ وبعد أن ودعتها خرجت من البيت وجلست في السيارة التي كانت

تنتظري. قام عدد منهم بدفع السيارة حتى خرجنا من الزقاق الذي كنا فيه^(١). وعندما وصلنا إلى الشارع الرئيسي شغلوا السيارة وخرجنا من المدينة وسرنا في طريق قم - طهران. وبعد قطعنا مسافة معينة طلبت منهم التوقف لعدة دقائق حتى أجدد وضوئي، رفضوا ذلك بحجة أنه لا يسمح بذلك طبقاً لأوامر السلطات العليا. وقد كانوا في حالة شديدة من القلق والرعب. قلت لهم: لماذا تبدون في حالة الرهبة هذه؟ فأنا لا أملك السلاح !! وأنتم تتفدون مهمتكم، فينبعي أن لا تخافوا إن كنتم تؤمنون بصواب نهجكم. وصلنا شيئاً فشيئاً إلى منطقة آبار النفط التي كانت تعلوها شعل النيران فقلت: إن كل تعاستنا بسبب هذا النفط، فالنفط الذي ينبعي أن يكون مصدر عزتنا أصبح اليوم سبب ذل وهوان بلدنا. إن أمريكا قامت بتعزيز تبعية الشاه وارتباطه بها من أجل الاستفادة من هذا النفط واستثماره لصالحها والسيطرة على آبار النفط. وبينما كنت أواصل حديثي حول هذا الموضوع، قاطعني أحدهم - وكان يجلس في الكرسي الأمامي - واستدار نحوني قائلاً: أقسم بالله عليك يا سيد أن لا تتكلم، لأن كلامك سيؤدي إلى أن نفتح باب السيارة ونهرب، فرجو أن لا تحرجنا أكثر.

«وقدرأيت أحدهم يذرف الدموع، حيث تألمت عليهم كثيراً وشعرت أنهم لا يملكون أدنى قدرة على التفكير^(٢). ولم تمض إلا فترة

(١) إن سبب عدم تشغيل السيارة بدءاً، ودفعها، يعود إلى أنهم لم يكونوا يريدون أن يعرف أبناء الشعب والجيران وأهالي قم، عن ذلك الحادث في تلك الليلة.

(٢) كتب العقيد أفضلي وهو أحد مسؤولي السافاك الذي رافق الإمام، من قم المقدسة إلى أنقرة في تقريره لرؤسائه، قائلاً: «خاطبني السيد الخميني في الطائرة قائلاً: «هل تعرف أنهم ينفوني عن بلدي بسبب الدفاع عن كرامته واستقلال إيران»؟!.

زمنية قليلة حتى رأيت السائق يستدير نحو طريق ترابي فرعى يؤدى إلى بحيرة حوض سلطان^(١). ظنت حينها أنه يريد أن يأخذنى إلى هذه البحيرة ويرمى في المياه المالحة حتى لا يبقى أي أثر مني.. وبينما كنت أفكر بذلك رأيت السائق غير طريقه مرة أخرى وعاد ثانية إلى الطريق الرئيس. وبعد مرور فترة من الزمن وصلنا طهران وأخذونى مباشرة إلى مطار مهرآباد ومن هناك طرنا إلى تركيا^(٢).

ذكريات السيدة أم أحمد عن حادث اعتقال الإمام

بعد أن أنهى الإمام حدیثه الشیق قال السيدة حرمه: «أنا أيضاً استيقظت من النوم على أثر أصوات رجال الأمن الصاحبة ورأيت أن سطح البيت مليء بهم. ارتعبت كثيراً وبدأت أرتجف بشدة ولا يمكن وصف حالي آنذاك. وخرج الإمام في تلك اللحظة من الغرفة وصرخ بوجه رجال الأمن: ما الخبر، ماذا تريدون؟ لماذا تتصرفون بهذه الوحشية؟ إنكم تريدونني، وأنا سوف آتي معكم!!». ثم سلمني السيد الإمام ختمه الخاص وقال: أرجو أن تحتفظي به إلى أن أخبرك لمن تعطيه، وودعني ورحل معهم. نزل رجال الأمن من سطح البيت وأخذوا

(١) بحيرة حوض سلطان أو بحيرة قم، وتسمى أيضاً ببحيرة ساوية، تبلغ مساحتها حوالي ٢٤٠٠ كيلو متراً مربعاً. سمعت بشأن هذه البحيرة، أنه في يوم ولادة النبي الأكرم (ص) حدث بعض الأمور المهمة، منها: انهيار اسطوانات طاق كسرى، وانطفاء نيران معبد بارس، وجفاف بحيرة ساوية، وأن هذه البحيرة هي ما تبقى من تلك البحيرة.

(٢) كان هذا النفي بسبب الخطاب الثوري والجماهيري، الذي ألقاه سماحة الإمام الخميني في الرابع من تشرين الثاني ١٩٦٤ (نفس يوم الإعتقال).. لمعرفة تفاصيل ذلك يمكن مراجعة الهاشم الرابع في نهاية الفصل.

معهم الإمام^(١). كذلك استيقظ أحمد من نومه قلقاً وتساءل، ما الذي حدث؟ قلت له: رجال السافاك اعتقلوا والدك كالمرة السابقة وأخذوه معهم^(٢).

ذكريات الإمام عن منفاه في تركية

وأصل الإمام سرد ذكرياته قائلاً: «أخذوني في نفس اليوم^(٣) بطائرة عسكرية إلى أنقرة^(٤)، وبعد وصولنا المطار أخذوني بسيارة إلى المدينة، وبعد إنجاز بعض الإجراءات الإدارية ذهبنا إلى الفندق^(٥). مكثنا هناك ليلة واحدة، وفي اليوم الثاني ذهبنا إلى أحد البيوت في مدينة أنقرة^(٦). ثم نقلونا إلى مدينة بورسا^(٧)؛ وهناك خصصوا لنا بيتاً وأعطوني إحدى غرفه، وقد وضعوا أحد رجال الأمن باسم (حسن بيك)^(٨) لمراقبتي. وكنت أقضي كل وقتني هناك، وأحياناً كنت أتمشى في تلك الغرفة. لم يكن مسموحاً لي أن أخرج من ذلك البيت، وكان هذا الشخص يلازمني دائماً وهو الوحيد الذي كنت أتحدث معه، وكان ذو أخلاق غير سيئة بل يحب المزاح ويُسعى ليخفف عنِّي ما حلّ بي. وكان أحياناً يتحدث لي

(١) طبقاً لتقارير السافاك، فقد حاصر مئات الأفراد المسلحين من القوات الخاصة والمظليين الزفاقي الذي كان فيه بيت الإمام، وهاجموا البيت عبر الجدران والسطح.

(٢) إشارة إلى حادث اعتقال الإمام بتاريخ ٥ حزيران ١٩٦٣.

(٣) أي بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٦٤.

(٤) مدينة أنقرة هي عاصمة تركيا، وتعتبر ثاني أكبر وأهم مدينة بعد اسطنبول.

(٥) قضى الإمام تلك الليلة في فندق (بولوار بالاس) الطابق الرابع غرفة رقم ٥١٤.

(٦) كان ذلك البيت في شارع أتابورك في أنقرة.

(٧) مركز محافظة بورسا، وهي رابع محافظة تركية من حيث عدد السكان وتقع جنوب بحيرة مرمرة، وهي منطقة صناعية جميلة وتغطيها مساحات خضراء.

(٨) ذكر اسم هذا الشخص في وثائق السافاك بإسم (حسن هجيري).

عن المدن والمناطق التركية ويشرح لي تقاليدهم وطباعهم، ويقصّ كذلك النكات ليدخل البهجة والسرور علىّ، بل وكان يقوم بطبخ الطعام لي»^(١).

منفي رائع

وأصل الإمام حديثه عن المنفى قائلاً: «كنت في أحد الأيام جالساً في نفس الغرفة وإذا بالباب تفتح ودخل مصطفى!! . فرحت في البدء، إلا أنني فكرت فجأة حول سبب وكيفية مجئه واحتمال أن يكون قد طلب لقائي وأضطر لمراجعة المسؤولين الحكوميين من أجل ذلك. فسألته: هل جئت بطلب منك أم أرغموك على المجيء؟ فقال: لقد نفوني أيضاً»^(٢)!! . قاطعت كلامه وسألته بإندهاش: ماذا كنت تفعل يا سيدي إن كان قد جاء بطلب منه؟ فقال سماحته: «الأرجعته في نفس الوقت». فسألته: رغم أنك كنت تعيش لوحده في تلك الغرفة وبحاجة إلى من يرافقك!! فقال سماحته: «نعم، ولربما كنت أعاقه أيضاً إن كان قد طلب هذا اللقاء من المسؤولين»!! .. استرسل الإمام في حديثه قائلاً: «بعد أن دخل مصطفى إلى الغرفة أزاح الستائر وفتح النوافذ ورأينا المناظر الطبيعية الرائعة. بعد فترة من مجيء مصطفى، سمحوا لنا بالخروج من البيت، إلا أنهم منعونا من ارتداء العباءة والعمّة والجبة، لذلك اشتري حسن بيك لي معطفاً، وكانت أرتديه ونتجول أحياناً في

(١) سألت الإمام بعد انتصار الثورة الإسلامية حول: هل أن سماحته التقى بهذا الشخص؟ فقال: «نعم».

(٢) بعد نفي سماحة الإمام إلى تركية، زارت أعداد كبيرة من العلماء والطلبة والجماهير السيد مصطفى، وفي اليوم التالي (٥ تشرين الثاني ١٩٦٤) قام السيد مصطفى بزيارة بيوت المراجع بمدينة قم، وبينما كان في مكتب آية الله نجفي تم اعتقاله من قبل رجال السافاك وأخذوه إلى طهران وتم اعتقاله في سجن «قلعة» ومكث هناك ٥٧ يوماً قبل أن ينفي إلى تركية بتاريخ ١/٣/١٩٦٥.



الإمام الخميني ونجله السيد مصطفى ورجال الأمن الأتراك في مدينة بورسا بعد منعهما من ارتداء زي علماء الدين.

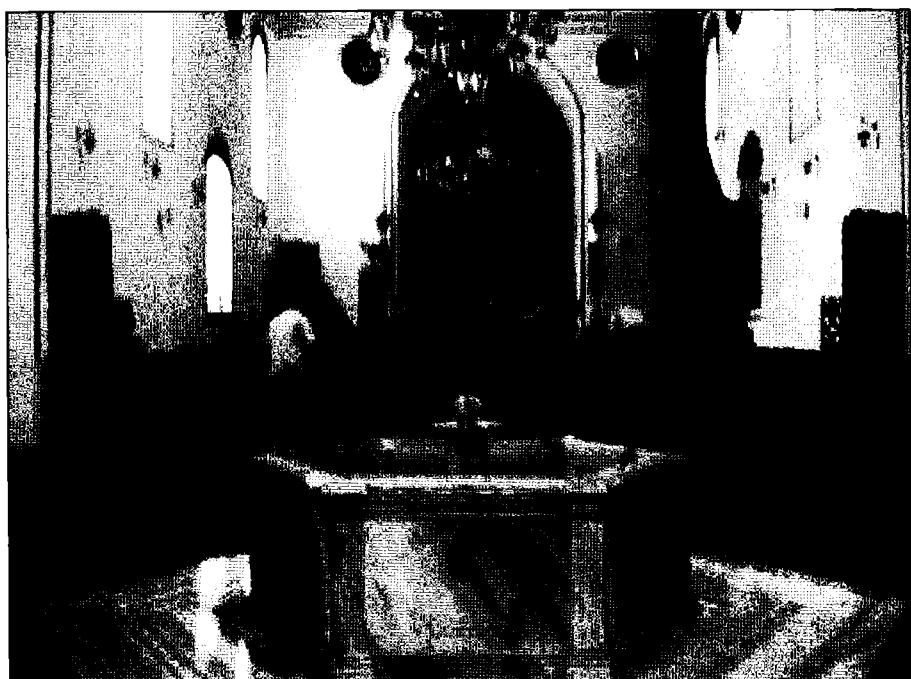
مناطق المدينة». وتحدث الإمام قليلاً حول مدينة بورسا وقال: «كانت مدينة جميلة، وتتوسط باحة البيت شجرة تين تحمل ثماراً كبيرة وحلوة»^(١).

(١) في عام ٢٠١٠ وبينما كنت منشغلاً بتأليف هذا الكتاب، سافرت إلى مدينة بورسا لأشاهد عن كثب مكان إقامة الإمام في هذه المدينة، وقد أردد السيد واحدي، إمام جماعة مسجد بورسا، قائلاً: «إن مدينة بورسا كانت عاصمة تركية في العهد العثماني، وكان الإمام يسكن في محلة (جكىز كله) (الجراد). والسيد واحدي من الشيوخ الكبار الذين عاصروا الإمام في المنفى، وكان قد سمع أن الإمام كان يؤدي صلاته في مسجد قريب من بيته اسمه (مسجد خداوندكار)، وكان يُرى أحياناً سماحته وهو منشغلًا في الكتابة تحت شجرة أمام البيت. بالطبع فإن الشكل القديم لهذه المحلة قد تغير ولم يبق من ذلك العهد سوى شجرة معمرة.



مؤلفة الكتاب في محل إقامة الإمام
الخميني بمدينة بورسا التركية
(عام ٢٠١٠م)

مسجد خداوندكار (بورسا)



مسجد خداوندكار (بورسا)

ذكريات السيدة أم أحمد عن منفى الإمام في تركية

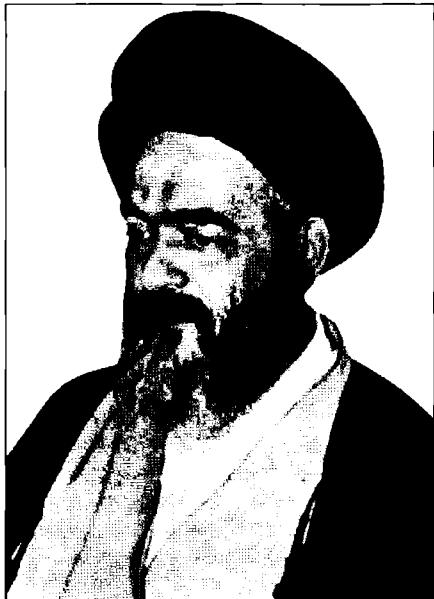
خلال تلك الأمسيات النجفية كانت السيدة أم أحمد تتحدث، أحياناً، عن ذكرياتها وتكلمت حديث الإمام. فقد تحدثت عن نفي سماحته إلى تركية قائلة: «عندما أبعدوا الإمام إلى تركية، لم يكن لدينا أي أخبار عنه لعدة أشهر، وبعد فترة قرر آية الله بستنديدة^(١) الذهاب إلى تركية ليزور الإمام هناك إلا أن السافاك عارضوا ذلك ورفضوا منحه إذن بالخروج من إيران. بعد ذلك استطاع السيد فضل الله خوانساري صهر آية الله السيد أحمد خوانساري من علماء طهران، أن يحصل على إذن لزيارة الإمام في تركية. وقبل مغادرته إيران زارنا في قم وأخبرنا أنه مستعد أن يصل أي رسالة أو نداء أو أي شيء لسماحته. أعددنا مقداراً من الحلويات وأعطيتها إليها، كما أعطاه آية الله السيد محمد رضا كلبايكاني كيساً من الأرز ليوصله لسماحة الإمام. سافر السيد فضل الله إلى تركية ولكن لم يسمح له أن يزور الإمام في مدينة بورسا، فجاؤوا بسماحته إلى اسطنبول ليلتقيا هناك. وحينها قال الإمام له: «أرجو أن تبعثوا لي مع أول مسافر يأتي إلى تركية كتاب (مفاتيح الجنان) وكتابي (تحرير الوسيلة)^(٢).

بعد مرور أحد عشر شهراً من وصول الإمام إلى تركية، بعثت الحكومة التركية رسالة لسماحته تخبره أن فترة إقامته في البلد قد انتهت^(٣)، لأن

(١) هو الأخ الأكبر لسماحة الإمام ووكيله التام في إيران.

(٢) للتعرف أكثر على هذا الكتاب، يمكن مراجعة الهاشم الخامس في نهاية الفصل.

(٣) أدت الضغوط التي وجهت للحكومة التركية من قبل الأوساط الدينية والجامعية، الداخلية والدولية، إلى أن تطلب هذه الحكومة من الحكومة الإيرانية أن توافق على نقل الإمام للدولة أخرى، إلا أن الشاه رفض عودة الإمام لإيران؛ فاقترب أحد مسؤولي السافاك أن ينفي الإمام إلى الجزائر، إلا أن الشاه وعدد آخر من مستشاريه، فضلوا العراق على أي بلد آخر، وهم يظنون أن حوزة التحف العلمية لن ترحب كثيراً بالإمام بسبب الاختلاف في الفكر والتوجه بينهما، وسيحاصر هناك وينكفيء على نفسه.



آية الله السيد محمد شيرازی



آية الله الشهید السيد حسن شیرازی



من اليمين : آية الله شيرازی ، الإمام الخمينی ، آية الله السيد مصطفی الخمینی (كرباء)

نقلت السيدة أم أحمد عن السيد مصطفى قوله: «بعد أن أخذنا المسؤولون الأتراك إلى المطار وصعدنا إلى الطائرة^(٢)، شعرنا بالحرارة بعد ما رأينا أنفسنا لوحدها بدون مراقبة أي رجل أمن، فوصلنا بغداد، ذهبنا إلى محل الصيرفة لنغير العملة التركية التي برفقتنا إلى العملة العراقية، فرفض الصراف أن يقوم بذلك. ذهبنا إلى مدينة الكاظمية، طلبنا من سائق سيارة الأجرة أن يتوقف بالقرب من حرم الإمامين الكاظمين (ع) لأذهب إلى الصحن الشريف وأخذ مبلغاً من المال من أحد الطلبة هناك، بعد أن كان السائق قد رفض أن يأخذ ساعتي كأمانة عنده حتى أعود إليه. وأخذت المبلغ المطلوب من أحد الطلبة واعطيته للسائق وودعته. ثم ذهبنا إلى فندق (الإخوان) الذي كنت قد سكنت فيه خلال زيارتي السابقة للمدينة. واتصلنا هاتفياً بالشيخ نصر الله خلخالي الذي كان يسكن النجف الأشرف وشرحت له تفاصيل ما حدث لنا.

«أوصل السيد خلخالي نباً وصولنا إلى الطلبة، وسارع المئات منهم إلى المجيء للكاظمية لزيارتني. وقد اقترح السيد خلخالي أن نذهب إلى مدينة كربلاء ونبقي هناك لعدة أيام حتى يقوم بإعداد بيت لنا في النجف الأشرف، لأنه كان يعتقد أن ذهاب الإمام إلى أي بيت من بيوتات

(١) غادر الإمام تركية بتاريخ ١٥/٥/١٩٦٥.

(٢) نقل آية الله السيد محمد موسوي بجنوردي، وهو من الأصدقاء المقربين للحاج السيد مصطفى، عنه، قائلاً: «إن الإمام وال الحاج السيد مصطفى عندما غادراً تركية لم يكونا يعرفان بالضبط إلى أين سيذهبان؟!».

النجف الأشرف سيؤدي إلى أن يعاتب الآخرون، لأن كلاً من أصدقاء الإمام كان يرغب باستضافته في بيته. لذلك ذهبنا إلى كربلاء وكان السيد خلخالي قد أعد لنا هناك بيتاً^(١) مزوداً باللوازم والإمكانات المناسبة للسكن^(٢). وفي كربلاء أقيم استقبال رائع لسماعة الإمام. حيث طلب آية الله السيد محمد الشيرازي^(٣) الذي كان يصلّي جماعة في صحن الإمام الحسين (ع) من سماحة الإمام أن يؤم الناس بدلاً عنه، فاقيمت صلاة رائعة جداً في الصحن الحسيني.

«بعد عدة أيام غادرنا كربلاء نحو النجف الأشرف^(٤). وكان نباء وصول الإمام للعراق قد انتشر في كل مكان مما دفع مئات الطلبة وأكثراهم من الإيرانيين إلى المجيء حتى متتصف طريق كربلاء - النجف (خان النصف)^(٥) لاستقبال سماحة الإمام.

«جلس الإمام والسيد محمد الشيرازي وأنا معهم، في سيارة من نوع (فولكس واغن)، وما أن وصلنا إلى هذه المنطقة إلا ورأينا المئات

(١) البيت الذي سكنه الإمام في كربلاء كان يعود للحاج رئيس أشkenani الذي كان يسكن الكويت.

(٢) قدمت إحدى الشابات آنذاك طلباً بأنها مستعدة لخدمة الإمام، فرفض سماحته ذلك متذرعاً بعدم وجود عائلته معه. وقد عرفت فيما بعد، أنها كانت مرتبطة بالسافاك، وقد كلفت بهذه المهمة للمس بسمعة سماحة الإمام !!.

(٣) الشقيق الأصغر لآية الله الشيرازي، هو آية الله السيد حسن الشيرازي، كان يقيم أيضاً، في كربلاء ويجاهد ضد حكومة البعث في العراق، للتعرف أكثر عليه، يمكن مراجعة الهاشم السادس في نهاية الفصل.

(٤) دخل الإمام النجف الأشرف في يوم الجمعة ١٥ / ١٠ / ١٩٦٥.

(٥) المعروف أن الشاه عباس صفوی شيد في طريق كربلاء - النجف عدداً من مراكز الضيافة لتقديم الخدمات للزائرين وتسهيل أمورهم، حيث أن هذا المكان هو واحد من تلك المراكز، ويقع في متتصف ذلك الطريق.



آية الله ميرزا حسن موسوي بجنوردي والإمام الخميني

من هؤلاء الطلبة جاؤوا لاستقبالنا، وانضم إليهم سكان القرى المحيطة، مما زاد من حفاوة الاستقبال الذي ضم العرب والعلماء والشيوخ والعلماء الدين والطلبة وغيرهم، وهكذا دخلنا النجف الأشرف وتوجهنا مباشرةً لزيارة مرقد أمير المؤمنين الإمام علي (ع).

«بعد ذلك ذهبنا إلى البيت الذي كان قد أعده الحاج الشيخ نصر الله خلخالي، وكان مليئاً بالناس، وأقيمت صلاة المغرب والعشاء جماعة بإماماة سماحة الإمام. وبعد الإنتهاء من الصلاة زارنا جميع العلماء الكبار عدا آية الله السيد الحكيم الذي كان عائداً لتوه من مكة المكرمة.

«طلب علماء النجف، لاسيما، آية الله العظمى السيد حسن بجنوردي^(١)، في تلك الليلة، وفي أول لقاء مع الإمام، منه أن يبدأ

(١) آية الله العظمى الميرزا حسن موسوي بجنوردي (١٣٩٤ - ١٣١٠ هـ ق)، للتعرف عليه أكثر، يمكن مراجعة الهاشم السابع في نهاية الفصل.

دروسه العلمية حتى تفشل المؤامرة التي أعدت من قبل نظام الشاه والتي هدفت من نفيه إلى النجف التأثير سلباً على المكانة السياسية لسماحته ومرجعيته الدينية، وتبطلها في المهد.

«بعد فترة، طلب أتباع وتلاميذ الإمام أن يوافق سماحته على إعداد (رسالته العملية) للطباعة؛ إلا أن الإمام رفض ذلك. لكنهم تمكنا من كسب موافقته على ذلك بعد أن قالوا له: ما دمت تعتبر النضال ضد الشاه وأمريكا ومقارعتهما من التكاليف الشرعية لكل مسلم، فلا بدّ أن تكون الأوامر الصادرة من مثل هذا المرجع الذي يحمل مثل هذه الأفكار والعقائد، في متناول الناس لكي يتمكنوا - من خلال التمسك والعمل بها - من مواصلة هذا النضال والجهاد. وبالتالي أقنعوا سماحته بأن تكون مثل هذه (الرسالة العملية) المستندة لنظريته وأفكاره الإسلامية في متناول مقلديه، فوافق على ذلك بشرط أن لا تصرف أية مبالغ من الوجوه الشرعية على طباعة وتوزيع تلك الرسالة بين الناس.

«بالطبع، فإن الطلب من الإمام أن ينشر رسالته العملية بدأ منذ رحيل آية الله البروجردي عام ١٩٦١، وازداد ذلك الطلب، إلا أن الإمام كان يرفض بسبب وجود رسائل عملية لعلماء كبار آخرين في متناول الناس، ولم تكن هناك حاجة لرسالة عملية جديدة. واستمر ذلك حتى تم تأليف رسالة باسم (نجاة العباد)، وتم قبول مثل هذا الاستدلال؛ وهكذا سارع أنصار الإمام إلى طباعة ونشر كتاب (تحرير الوسيلة) على حسابهم الخاص، حيث كان قد أكمله سماحته في تركية، وأضافوا إليه المسائل المستحدثة^(١). وبعد الطباعة أخذوا نسخة منه إلى الإمام إلا أنهم قوبلوا

(١) للتعرف على مؤلفات الإمام الأخرى يمكن مراجعة الهاشم الثامن في نهاية الفصل.



زهراء ونفيسه إشرافي في منطقة الحدود الإيرانية - العراقية في الطريق إلى العراق

بغضب وعدم رضا سماحته لأنهم ذكروا اسم الإمام الخميني على الغلاف الأول بألقاب كبيرة، وفيه مدح وثناء لسماحته مثل (زعيم الحوزات العلمية) وخاطبهم قائلاً: «إن هذه الألقاب التي نسبتموها لي تخالف الواقع ولا بد أن تحذفوهَا من غلاف الكتاب»!! . فقالوا له: «لا يمكن ذلك لأنها طبعت جميعها»، فقال سماحته: «إذن لا توزعوا الرسائل العملية على الناس». فاضطروا إلى إعداد ختم معين ثبتوه على تلك الألقاب لإخفائها قبل توزيعها. والملفت أن سماحة الإمام سدد تكاليف ذلك»^(١) !!.

في الطريق إلى النجف الأشرف

في إحدى الأمسيات النجفية، طلبنا من السيدة زوجة الإمام أن تقص علينا تفاصيل رحلتها إلى النجف الأشرف، فقالت: «بعد أن استقر سماحة الإمام وال الحاج السيد مصطفى في النجف الأشرف عام ١٩٦٥ ، أخبرونا أنه يمكن أن تأتوا إلى النجف إن رغبتم بذلك. لذلك قررنا أن

(١) سمعت من أخي صادق بعد فترة، أنهم فصلوا قسم أحكام الجهاد من رسالة الإمام، وطبعوه بشكل منفصل من قبل اتحاد الطلاب المسلمين، ووزعوه في أروبا وأمريكا وكندا ، بعد حذف الألقاب منه. وأردف قائلاً: «عندما قدمت نسخة منه للإمام في النجف أعرب عن سروره لذلك لاسيما بالنسبة لحذف الألقاب».

نسافر إلى هناك؛ إلا أن السافاك أخبرنا بضرورة أن يكون عدد المرافقين لنا في هذه الرحلة قليلاً، وأن يكن من النساء فقط. فقلت لهم: نحن بحاجة لرجل واحد على الأقل ليكون معنا. فقالوا: إذن لا بد أن لا يكون له أي نشاط أو تأثير سياسي. فطلبت من عاملنا الوفي والأمين السيد مشهدي حسين أن يرافقنا في هذه الرحلة إلى النجف الأشرف». وأضافت تقول: «تحركنا برفقة والدتي وبناتي (فهيمة وصديقة وفريدة) مع أطفالهن وعدد من العاملات، نحو الحدود العراقية واجتنزناها بسلام. وعند وصولنا للجمارك العراقية أوقفونا هناك لأنه لم تكن لدينا وثيقة تلقيح ضد الأمراض المعدية^(١). ولم يسمحوا إلا للسيدة فهيمة التي كانت تحمل تلك الوثيقة برفقة أولادها، لأن يعبروا الحدود وغادرونا بالحافلة إلى النجف الأشرف؛ واضطربنا للبقاء هناك داخل معسكر مغلق. واستمر ذلك لأسبوع كامل حيث جاؤوا بعد ذلك وأعطونا اللقاح وقالوا: ينبغي أن تبقوا أسبوعاً آخر حتى يصل اللقاح الآخر، فبقينا أسبوعاً ثانياً حتى جاؤوا به وأعطونا اللقاح الثاني. بعد ذلك سمحوا لنا بالمعادرة ولكن لم تكن هناك أية حافلة لتنقلنا إلى النجف الأشرف. أعطونا غرفة في المعسكر واجتمعنا كلنا هناك، وكانت لا بأس بها. حيث حافظت علينا تلك الغرفة رغم الطقس البارد وكان بيننا عدد من الأطفال أكبرهم (فرسته)^(٢) بتسعة سنوات وأصغرهم كان في رحم أمه.

(١) جاء في وثائق السافاك أن السيدة حرم الإمام، توقفت على الحدود في مخفر منظرية وهي برفقة سبعة من أفراد أسرتها بسبب عدم حملهم لوثائق التلقيح ضد الأمراض المعدية.

(٢) أخبرتني السيدة «فرسته أعرابي» فيما بعد، أن مسؤولي المعسكر جاؤونا في إحدى الليالي وأعطونا عدداً من الأكياس وقالوا لنا لا بد أن تملؤوها بالرمل وتضعونها خلف نافذة غرفتكم لأن هناك احتمال أن يهاجم الأكراد العراقيون المعسكر. قمنا بملء الأكياس بالرمل ووضعناها خلف النافذة وكنا نسمع أصوات الرصاص مساء. وعرفنا في الصباح أن قائد المعسكر قتل في اشتباكات مساء أمس.

جاءنا مسؤولو الجمارك العراقية في اليوم الأول وطلبوا منا أن نعطيهم أواني وصحون ليضعوا الطعام فيها، فلم يكن لدينا منها، فوضعوا الطعام على الخبز وقامت بتقسيم الطعام مع الخبز على الجميع، ومرت علينا عدة أيام ونحن على هذه الحالة حتى وصلت السيدة «فهيمة» إلى النجف وأخبرت الإمام بذلك. اتصل سماحته بالسيد شير إمام جماعة مسجد خانقين (بالقرب من الحدود) وطلب منه تقديم المساعدة لنا إن أمكن، فسارع السيد شير لزيارتنا وزودنا بما نحتاجه من أدوات ولوازم وطعام وخبز وسكر. وخلال تلك الأيام التي قضيناها هناك حاولت أن أخفف على المرافقين لي من النساء والأطفال وأقوى معنوياتهم وكنا نقضي النهار بالتجول بين الهضاب والوديان في المنطقة الحدودية ونقضي الليل بسرد القصص والأشعار. وبعدها حلّت المشكلة وغادرنا إلى النجف الأشرف».

قصة شراء بيت الإمام في قُم

في إحدى الأمسيات النجفية دار الحديث حول بعض الأمور غير المتوقعة التي تحدث أحياناً، ويتعجب الإنسان من الدعم والتوفيق الذي يحدث، وكلما يفكر، فإنه لا يرى سوى اللطف الإلهي.. وضمن إشارته إلى هذه المفاهيم، فإن الإمام شرح لنا ظروف شراء بيتهم في مدينة قُم وقال: «البيت الذي كنا نسكنه في محلة (يخرج قال قاضي) بمدينة قُم، كنا قد استأجرناه بدءاً، بعد أن بدأنا عدداً من البيوت السابقة المستأجرة، والسبب أن أصحابها إما كانوا يبيعونها أو يطلبون أن نترك البيت لأسباب أخرى. وفي أحد الأيام جاءنا صاحب البيت وقال إنه يريد أن يبيع البيت وطلب أن نتركه وأعطانا عدة أيام لذلك، وعندما كنت أريد الخروج من البيت خاطبت السيدة أم أحمد بكل هدوء قائلاً: جاءنا الآن صاحب

البيت وطلب أن نترك البيت.. وخلافاً للمرات السابقة، فإنها انزعجت كثيراً وأعربت عن ذلك مضيفةً أنها قد سئمت هذا الوضع وتعجبت من كثرة تغيير البيوت والانتقال من بيت لآخر».

وأضاف سماحته قائلاً: «في الواقع لم أكن أعرف أن تغيير البيت مزعج إلى هذا الحد، لأن السيدة لم تكن تعبر عن انزعاجها في المرات السابقة. لم أقل لها شيئاً وخرجت من البيت حزيناً شيئاً ما. وعندما عدت للبيت بعد الظهر سألتني السيدة عن سبب طلب صاحب البيت أن نتركه؟! قلت لها: إن صاحب البيت يحتاج إلى النقود لذلك يريد أن يبيعه. لم تقل السيدة شيئاً إلا أنني حزنت بشدة لإزعاجها بهذا الشكل. في عصر ذلك اليوم، وبينما كنت جالساً في صحن السيدة المعمصومة (ع)، بعد الانتهاء من القاء الدرس، جاءني شخصان وسألوا: عفواً، هل أنت سيد روح الله الخميني؟ قلت: نعم. فقالا: جئنا من أصفهان ونريد أن نذهب إلى العراق لزيارة العتبات المقدسة هناك، ولدينا مقدار من المال ونريد أن نضعه أمانة لديك. لأننا قد نسافر من هناك إلى مكة المكرمة وتستغرق رحلتنا لعام كامل. وحتى لو لم نذهب إلى مكة، فإن الرحلة تستغرق ستة أشهر. فسألتهم: لماذا وقع انتخابكم عليّ لهذه المهمة؟ فقالا: سأنا الكثير من الأشخاص والكل أرشدنا إليك للاحتفاظ بهذه الأمانة. قلت لهم: لا أقبل بذلك. ولكن بعد إصرارهما الكثير وأنهما جاءوا من أصفهان إلى قُم من أجل ذلك، قبلت بذلك مرغماً. وفجأة تذكرت انزعاج السيدة من مسألة تغيير البيت وما حدث بهذا الشأن. لذلك قلت لهم: هل مسموح لي أن أتصرف بهذه النقود؟ أي أن أتصرف بها في غيابكم واسلمها لكم عندما تعودان من السفر. فقالا: نعم، نفوضك بذلك. أخذت النقود منهمما، وبعد أن غادرا المكان ذهبت إلى صاحب بيتنا وأعطيته القسط الأول من قيمته. وبدأت

بالتفكير في كيفية إعداد هذا المبلغ حتى أعطيه لهما عندما يعودا من السفر.

«وفي اليوم التالي أرسلت رسالة إلى أخي (السيد بسنديدة) في مدينة خمين عن طريق أحد أبنائها الذي كان عائداً من مشهد، وطلبت منه أن يبيع الملك الذي كان عندي هناك ويرسل المبلغ لي سريعاً؛ وكان ذلك يستغرق عدة أشهر بشكل طبيعي. وعندما وصل الخبر إلى أخي السيد بسنديدة تعجب من هذا الأمر، لأنني لم أطلب منه مثل ذلك سابقاً حيث عرف أنه أواجه وضعياً محراجاً. ولحسن الحظ طلبت زوجته (همدم خانم) شراء البيت فأعدوا مقداراً من المال وأرسلوه في اليوم التالي مع مسافر آخر إلى مشهد. وكان هذا الشخص قد ذهب لتوديع السيد بسنديدة، فطلب منه أن يوصل المبلغ لي، وكان لحسن الحظ بمقدار المبلغ الذي وضع أمانةً عندي من قبل الشخصين الآتين. وبعد أن جاءني هذا الشخص سلمني ذلك المبلغ وأخفيته في مكان آمن. لم تمر سوى عدة أيام إلا وجاء الشخصان اللذان سافرا إلى العتبات المقدسة، وكان مقرراً أن يغيبا ستة أشهر كحد أدنى وقالا: لم تتهيأ مقدمات الرحلة ولم نوفق في السفر. جئنا لنترجع الأمانة منك. فأسرعت لإخراج المبلغ وأعطيتهم إياه. شكراني كثيراً وغادرا إلى أصفهان.

«بقيت فترة مندهشاً بشأن ماحدث بشكل متتسارع خلال الأيام الأخيرة من طلب صاحب البيت أن نتركه خلال أيام ومجيء الشخصين من أصفهان ووضعهما النقود أمانة عندي وإرسال المبلغ من خمين وبالتالي توفيق الله وفضله لنا بأن اشترينا البيت والحمد لله».

حديث السيدة أم أحمد عن قصة شراء البيت

سألت السيدة زوجة الإمام عن تفاصيل أخرى لقصة شراء البيت

فقالت: «كنا قد استأجرنا بيته في محله (يخرج قاضي) بمدينة قم وكان هذا البيت مشيداً في عام ١٩٤٢ وتبلغ مساحته حوالي ٥٠٠ متراً مربعاً. في عام ١٩٤٤ استأجرناه من السيد طاهري بمبلغ ١٥٠٠ تومان، وكان صاحبه قد اشتراه بمبلغ ١٥٥٠٠ تومان واشتريناها منه بمبلغ ١٦٥٠٠ تومان.

«عندما أخبرني الإمام عن طلب صاحب البيت أن نتركه بسرعة، انزعجت بشدة وبدأت بالتفكير بصعوبة نقل محتويات البيت إلى بيت آخر وغيرها من الأمور. فجلست في مكاني وتأوهت من العمق ولكنني صبرت في حينها ولم أقل شيئاً. وعندما عاد الإمام ظهراً إلى البيت سأله بهدوء: لماذا ينبغي أن نترك البيت؟ ألا يمكنك أن تفكر بطريق حل حتى لا نترك البيت؟ قال الإمام: كلا، لأن صاحب البيت طلب القسط الأول من قيمة البيت كحد أدنى ولكنني لا أملكه. فقلت له: ألا يمكنك أن تطلبه من خمين؟ فقال سماحته: كلا. ثم قال: بالطبع إن السيد زنجاني^(١) أعلن استعداده ليقرضني مبلغاً من المال ولكنه لا يكفي لتسديد القسط الأول منه.

«ووهكذا اقتنعت بما قاله الإمام وسلّمت أمري لله.. وعندما عاد الإمام مساءً إلى البيت؛ أخبرني بما حدد مع الشخصين الأصفهانيين، وقال إن الأمور قد فرجت والله الحمد وسبقني في البيت إن شاء الله».

(١) آية الله السيد أحمد زنجاني المعروف بشبير زنجاني (١٨٩١ - ١٩٧٣)، من أصدقاء الإمام القدامي والحميمين، وهو من تلاميذ آية الله الشيخ عبدالكريم الحائرى الخاصين، وألف كتاب (خير الأمور)، وكان يقيم صلاة الجمعة لسنوات طويلة في حرم السيدة المعصومة (ع).

ذكريات متفرقة على لسان الإمام

حنكة الإمام في حفظ النظام والهدوء

نقل الإمام لنا أنه عندما كان منشغلاً يوماً^(١) في الخطابة وسط جمع من الناس، قام أحد الأشخاص وطلب من الناس أن يرفعوا أصواتهم بالصلوات على محمد وآل محمد، وكرر ذلك عدة مرات. وأضاف الإمام يقول: جاءني أحد الأخوة وأخبرني أن عدداً من المندسين بين الناس يريدون أن يثيروا الفوضى في المجلس ويفرقوا الصفوف، فهل تسمح لنا أن نطردهم؟ قلت له: كلا، أرجو أن لا تتدخلوا! وسأعالج الموقف بنفسي. ثم خاطبت جموع الناس قائلاً: إن لم يسمحوا بالخطابة هنا، فسأنتقل لإلقاء الخطاب داخل صحن السيدة معصومة (ع). بعد ذلك رأيت هؤلاء المندسين يتركون المجلس شيئاً فشيئاً وواصلت إلقاء خطابي».

استرسل الإمام قائلاً: «عرفت فيما بعد أنهم كانوا من رجال السافاك الذين اندسوا بين صفوف الناس وكلفوا بمهمة إثارة الفوضى في المجلس، ولكن ما أن عرفوا أنني سأنقل المجلس إلى الصحن، فأخبروا رؤسائهم بالأمر، فطلبوا منهم أن يتركوا المكان لئلا يحدث أمر أكبر إن نقلنا المجلس إلى الصحن».

إخفاء بيانات الإمام في ملابس أحد الرضع

تحدث الإمام إلينا في إحدى الأمسىات عن شجاعة الشيخ صادق

(١) تعود هذه الحادثة لصباح يوم ٢٢/٣/١٩٦٣ الذي كان يتزامن مع ذكرى استشهاد الإمام جعفر الصادق (ع)، حيث حدثت عصر نفس اليوم واقعة مهاجمة طلبة المدرسة الفيوضية بمدينة قُم، من قبل رجال السافاك.

خلخالي^(١) وقال: «عندما أطلق سراحه من السجن، حاصر رجال السافاك بيتي وبدأوا بمراقبة الأشخاص الذين يتربدون على البيت، وفي تلك الحالة جاءنا فجأة الشيخ خلخالي. وكنت حينها قد كتبت بياناً وكان لا بدّ من إيصاله إلى طهران ليطبع ويوزع من هناك، إلّا أن محاصرة البيت من قبل السافاك كان يحول دون ذلك. وما أن دخل الشيخ خلخالي وكان يحمل رضيعاً على يديه، طلب منّا أن نسلّمه البيان ليخفيه بين ملابس الرضيع ويخرج من البيت، فقلت له: كيف دخلت إلى البيت والمكان محاصر؟ فقال: «انتظرت عدة ساعات في الخارج حتى سُنحت أمامي فرصة تغيير الحرس، فدخلت خلسة ولله الحمد». فأعطيناه البيان وبكل جرأة وشجاعة وثقة بالنفس، استطاع أن يخرجه من البيت بعد أن أخفاه في ملابس الرضيع ومن ثم قام بإيصاله إلى طهران».

طريقة التدريس الخاصة بالإمام

تحدث الإمام في إحدى الأمسيات عن أحد أساتذته الذي تعلم منه طريقة خاصة في التدريس حيث قال: «كنت أذهب برفقة شخصين إلى بيت ذلك الأستاذ لتلقى الدروس لديه. وعندما كنا نصل إلى البيت كان يقول لنا: افتحوا الكتاب وانشغلوا في المطالعة والباحثة فيما بينكم، وكان الأستاذ ينشغل بأداء عمل آخر وهو يراقبنا بشكل كامل؛ وعندما كان البحث ينتهي فيما بيننا، كان الأستاذ يعقب على ما دار بيننا من بحث

(١) آية الله الشيخ محمد صادق صادقي كيوي المشهور بالخلخالي (١٩٢٦ - ٢٠٠٤)، هو من مدرسي الحوزة العلمية، وأصبح حاكم شرع الثورة الإسلامية بعد الانتصار عام ١٩٧٩ ، وأصدر حينها أحكام الإعدام بحق عدد من قادة النظام البائد، مثل: أمير عباس هويدا رئيس الوزراء، ونعمت الله نصيري رئيس السافاك. وكان أيضاً عضواً في مجلس خبراء القيادة، ومجلس الشورى الإسلامي.

ويشير، أحياناً، إلى نقطة مهمة للغاية غابت عنّا؛ ولا يقول أي شيء أحياناً آخر، ونغادر المكان ونودعه لنأتي في اليوم التالي وهكذا».

الوفاء بالعهد

تحدث الإمام في إحدى الأمسيات قائلاً: «كنت أدخن السجائر في مرحلة الشباب حتى أنه في إحدى الليالي الباردة حيث كنت منشغلًا في المطالعة، ووصلت إلى نقطة مهمة في الموضوع الذي كنت أطالعه، وضغطت على ذهني من أجل ذلك، فجأة ارتأيت أن أجرب سيجارة من خارج الغرفة. وبعد أن عدت وأنا أحمل السيجارة وقع نظري على الكتاب الذي تركته من أجل تلك السيجارة، فشعرت بالخجل وحينها تعاشرت مع نفسي أن لا أدخل أبداً، فأطفأت السيجارة ولم أعد إليها أبداً منذ ذلك اليوم».

في ذكرى الأساتذة

كان الإمام يتحدث أحياناً عن الكتاتيب والمدارس القديمة التي درس فيها، ومنها مدرسة ملا أبو القاسم، ويشرح لنا أساليب التدريس فيها، ويدرك كذلك مدرسة أحمدية^(١) في مدينة خمين. كما كان يذكر، أحياناً، شخصية وصلابة وهيبة وجاذبية شقيقه الأكبر السيد بستنديدة، ودوره المؤثر والكبير، في تشجيع سماحته على المطالعة والدراسة؛ وكان يقول: «درست عنده المنطق والسيوطني وجزءاً من (المطول) وتدرّبت عنده على الخط». وكان منذ صغره وقوراً ومؤدباً وخلوقاً للغاية، بل كان يرتدي زيه الرسمي (العباءة والجبة) حتى في البيت.

(١) تأسست مدرسة أحمدية بعد انتصار الحركة الدستورية، وتقلد أحمد شاه السلطة في عام ١٩٤٨، للتعرف أكثر، يمكن مراجعة الهامش التاسع في نهاية الفصل.



الإمام الخميني في مدرسة أحمديه

وتحدث الإمام كذلك عن عدد آخر من أساتذته قائلاً: «عندما كنت في التاسع عشرة من عمري، وبعد إنتهاء دورة مقدمات الفقه، التحقت بالحوزة العلمية في مدينة آراك ودرست (المطول) عند الشيخ محمد علي بروجردي (المنطق) عند الشيخ محمد كلبايكاني (شرح اللمعة) عند المرحوم السيد عباس آراكي؛ وبعد مرور سنة ونيف، التحقت أوائل عام ١٩٢١ بالحوزة العلمية في مدينة قم وواصلت

دراستي هناك حيث درست (باقي المطول) عند المرحوم أديب تهراني (السطوح) عند المرحوم الحاج السيد محمد تقى خوانساري والسيد علي يشربى كاشانى (الخارج) عند آية الله الحائري. كما درست (الفلسفة) عند الحاج السيد أبو الحسن رفيعي قزويني، وتلقيت دروساً في العلوم المعنوية والعرفانية عند المرحوم السيد الميرزا محمد علي شاه آبادى، والرياضيات عند المرحوم الميرزا علي أكبر حكمي يزدي - وهو من الرجال الصالحين -، إلا أن البعض من أهل العلم لم يكونوا يتحملونه، وكان يتأسف لأن أحد الأشخاص كان يريد مدحه، فقال مِنْ على المنبر: «لقد رأيته بنفسي وهو يقرأ القرآن»!!.. لقد تألم السيد شاه آبادى من هذه الطريقة في المدح والثناء، فكيف يمكن لمثل هذا الشخص أن تنهال عليه التهم والافتراءات إلى درجة يقال بشأنه: لقد رأيته بنفسي وهو يقرأ القرآن»؟!!.

لقاء الإمام مع آية الله شاه آبادي

تحدث الإمام في إحدى الأمسيات عن كيفية وظروف تعرفه على آية الله شاه آبادي^(١) وقال: «دُعيت في إحدى الليالي إلى بيت أحد علماء قم للقاء آية الله شاه آبادي القادم من طهران^(٢).. تم تبادل الأحاديث في تلك الجلسة حول مختلف القضايا، وبعد أن أصبحت الجلسة خاصة، تحدث سماحته حول تفسير وشأن نزول الآية المباركة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾؟ وقد أتعجبت كثيراً بحديثه وشعرت أنه يملك الكثير ليتحدث بشأنه. وعند انتهاء الجلسة لحقت به في الأزقة والشوارع وسألته عن كيفية نزول الوحي على الرسول الأكرم (ص) وأمور أخرى، وعندما أردت أن أودعه طلبت منه أن يخصص لي بعض الدروس، فرفض بداعاً، وعندما أصرت عليه قيل بالفكرة أخيراً، وقلت له: «القد درست الفلسفة وأرغب بدروس في العرفان». وكنت بالطبع قد أخذت دروساً مختصرة في العرفان، وبالتالي درست عنده (فصوص الحكم)؛ وكنت كذلك أطالع في يومي الخميس والجمعة (منازل السائرين) للخواجة عبد الله أنصارى و(مفاتيح الغيب) لقونوى. وكانت هذه الجلسات تعقد بحضور اثنين أو ثلاثة أشخاص فقط».

(١) آية الله الميرزا محمد علي شاه آبادي أصفهاني (١٢٩٢ - ١٣٦٩هـ. ق)، نال درجة الاجتهاد في سن الثامنة عشر؛ وكان يقارع بشكل دائم نظام رضا خان البائد، ويحتاج على ظلمه. وفي إحدى المرات أضرب متحجاً داخل حرم السيد عبد العظيم الحسني (رض) بمدينة روي لأحد عشر شهرأً. وقد قال الإمام الخميني حول شخصيته: «كان المرحوم شاه آبادي مجاهداً بكل معنى الكلمة فضلاً عن كونه فقيهاً وعارفاً كاملاً».

(٢) كان بيت السيد شاه آبادي الذي كان يتتردد الإمام كثيراً عليه، يقع بالقرب من ساحة بهارستان (مركز طهران)، في شارع كان يسمى باسمه. وقد سكن فيه لسبعين سنة. ويسمى الآن بـ (شارع الجمهورية الإسلامية).



آية الله شاه آبادی

كذلك ذكر الإمام آية الله ملكي قائلاً: «كان آية الله ملكي يقيم صلاة الجمعة في المسجد القريب من مرقد السيدة المعصومة (ع)؛ وكان يلقي، أيضاً، دروساً في الأخلاق. أحدها خصوصية في بيته، وأخرى عامة في المدرسة الفيضية؛ وكنت أحضر باستمرار في صلاة الجمعة، وكذلك في دروسه الأخلاقية الخاصة في البيت».

ذكريات على لسان السيد بسندیده

عندما كنا في إيران، ذكر السيد بسندیده لنا (أنا وأحمد) العديد من الذكريات. فقد أشار مرة إلى تاريخ مولده الذي تزامن مع مقتل ناصر الدين شاه، أي في يوم الجمعة ١٧ ذي القعدة هـ. ق، وكان والده آنذاك منشغلاً في نشر الأحكام الدينية في مدينة خمين. وكان يقول: «كنا نملك بعض الأراضي والأملاك في قرى (зорقان) و(اسوران) و(كرمو)، فضلاً عن مضيف واسع، ونعيش من عوائدها». وكان يتحدث إلينا عن ظروف الحياة البسيطة آنذاك والخضروات الطازجة والمواد الغذائية الطبيعية والحليب ومشتقاته وغيرها من اللحوم والفواكه، ورخص ثمنها؛ كما كان يتحدث عن العمال الذين كانوا يعملون معهم وغيرهم.

وتحدث إلينا، أيضاً، عن الزواج الثاني لوالده من إحدى الأميرات آنذاك، لأنه كان كثير السفر إلى طهران لحل بعض المشكلات والمطالبة بحقوق أهالي مدينة خمين، وقد تعرف في إحدى تلك الرحلات إلى



الإمام الخميني وشقيقه الأكبر السيد بستديدة

سيدة تدعى (جوهر ملك تاج خانم) من أميرات ذلك العصر وتزوج منها، وبقيت هذه السيدة في طهران ولم تأت أبداً إلى مدينة خمين.

وحول ظروف مقتل والده، قال السيد بستديدة: «تحرك والدي برفقة عدد من المسلحين إلى سلطان آباد في منطقة (عراق العجم) (اراك حالياً)^(١) لمقابلة والي آراك ومتابعة شؤون المنطقة. وفي الطريق، وبينما لم يكن أي من المسلحين عدا أحدهم، بجانب والدي، اقترب منه اثنان من معارضيه من خوانين (كمره)^(٢) بالقرب من قرية (امان آباد)، وأطلقوا عليه وابلاً من الرصاص استقرت واحدة منها في قلبه واستشهد على إثرها. وما أن وصل نبأ استشهاد أبي إلى مدينة خمين إلا وانطلقت مواكب العزاء والحزن من مختلف محلات المدينة إلى بيتنا. وكنت

(١) اراك الحالية، كانت حينذاك، تسمى عراق العجم. وقد غير اسمها رضا شاه.

(٢) كمرة: تعتبر الآن من قرى خمين، إلا أنها - آنذاك - كانت هي المركز وتتبعها عدة نواحٍ، ومنها خمين.

أراقب جموع المعزين برفقة والدتي وشقيقتي الكبرى من على سطح البيت. وفجأة رأينا من بعيد شهاب النيران تتصاعد من أحد أماكن المدينة، فعرفنا فيما بعد أن أتباع والدي أضرموا النيران في بيت القاتل انتقاماً لأبي».

في تلك الأمسيات النجفية توفرت فرصة مناسبة أمامنا لنسمع تفاصيل تلك الواقعة المهمة على لسان الإمام، حيث قال: «كنت حينها في الشهر الخامس من عمري حيث قتل والدي على يد جعفر قلي خان وشقيقه رضا قلي سلطان؛ وعندما كبرت أخبروني أن والدي وجدي المرحوم (آقا سيد أحمد) كانا من الرجال الشجعان في مدينة خمين».

ثم تذكر الإمام والدته قائلاً: «لا زال صوت والدتي الحنون يملأ أسماعي ويرن في أذني».. ووصف عمتها قائلاً: «عمتي (صاحب خانم)^(١)، كانت امرأة شجاعة ومديرة قوية؛ بعد استشهاد والدي تركت بيتها وانتقلت إلى بيتنا لتدير شؤون الأسرة والبيت وتتابع الشؤون المتعلقة بدراسة الأبناء وإدارة الأموال العائدة لأسرتنا، فضلاً عن زراعة وحصاد المحاصيل الزراعية في الأراضي والحقول، ثم ذهبت إلى طهران للقصاص من قاتل والدي برفقة والدتي وأخي وعدد آخر من أفراد العائلة».

كذلك تحدث الإمام لنا عن حادثة الدفاع عن خمين أمام الأعداء قائلاً: «تعلمت في الصغر استخدام البندقية، فحينما كان الأشرار يهاجمون خمين، كنت أصعد إلى برج بيتنا وأنضم إلى صفوف المدافعين عن المدينة والمترصددين للأعداء وأنا أحمل بندقية أطول من قامتي،

(١) عمة الإمام كان اسمها (صاحب خانم)، وكما قال آية الله بسنديدة: «كانت امرأة مدمرة ومديرة وذات خطاب قوي ومؤثر على الجميع، وقد ورثت ذلك من أبيها.. للتعرف عليها أكثر يمكن مراجعة الهاشم العاشر في نهاية الفصل.



بيت والد الإمام الخميني في مدينة خمين

وكنت، أحياناً، أرى من فوق، الجنود الروس وهم يتربدون على مدينة خمين^(١).

وكان الإمام ينصل أن باحة بيته كان فيها عدد من الأشجار المثمرة، وكان الفلاح يحرص على أن تكون الأشجار متنوعة الثمار مثل التفاح، والتوت، والكمثرى، والكرز، واللوز، والفريز، والخوخ وكذلك مختلف أنواع الخضار.

وفي أحد الأيام، وعندما كان الإمام يتحدث بحرارة عن طعم تلك

(١) عند تأليف هذا الكتاب استفدت مما ذكره السيد أحمد خان مستوفى (ابن شقيق الإمام) - حول أسرة الإمام، حيث قال: «شارك الإمام في حادثة التصدي لرجب علي لر الذي كان قد تموضع في أطراف خمين. وتعود هذه الحادثة للفترة التي كان السيد بستديدة قد ذهب إلى أصفهان للتحصيل العلمي. وفي المرة الأخرى دافع الإمام عن مدينة خمين خلال الحرب العالمية الأولى عندما احتل الروس شمال وغرب إيران وهمدان واراك وخمین. وقد أنسد الإمام أشعاراً حماسية ضد الانجليز والروس».

الشمار وحلاؤتها وتنوعها، قال السيد أحمد: «لربما أن تلك الشمار كانت متنوعة وحلوة وطيبة بنظرك لأنك لم تذق طعم فواكه المناطق الأخرى آنذاك». وأضافت السيدة حرم الإمام قول: «لا زالت آثار الطعام الرائع لتلك الشمار ماثلة في شهية الإمام حتى الآن».

ذكريات أخرى:

سمعت الكثير حول فترة رضاعة الإمام، من السيدة «بهجت خانم» شقيقته بالرضاعة، التي كانت تعيش في مدينة خمين، وكانت تزورنا أحياناً.. حيث قالت نقاً عن والدتها: « جاء زوجها يوماً (كربلائي ميرزا) (حارس بيت والد الإمام) إلى البيت وقال لأمها «ننه خاور» التي كانت قد ولدتها للتو: «هل أنت مستعدة لإرضاع وليد السيد مصطفى الذي ولد حديثاً؟ فقبلت والدتي الفكرة بكل سرور».. واصلت «بهجت خانم» حديثها قائلة: «يقول السيد مصطفى والد الإمام، إن له شرطين لذلك: «أن لا تتناول السيدة «ننه خاور» طعاماً من أي شخص آخر في الفترة الزمنية التي ترضع (السيد روح الله) (الإمام الخميني)، وكذلك أن تكون في حالة الوضوء حين إرضاع الوليد اللbin».

تقول السيدة (بهجت خانم) نقاً عن والدتها: «كانوا صباح كل يوم يأتون بطبق مليء بالطعام من بيت السيد مصطفى (والد الإمام) ويتناول الجميع منه. وكانت السيدة «ننه خاور» قد أرضعت، أيضاً، شقيقة الإمام «آغا زاده خانم».

كذلك تحدثت السيدة «بهجت خانم» لي عن حادثة القصاص من قاتل والد الإمام وقالت: «عندما ذهبت عمّة الإمام وأمه وشقيقه الأكبر إلى طهران، بقي السيد روح الله وشقيقته الكبرى «مولودة آغا» عند أمي في خمين».

كما تحدثت السيدة عن أسرة الإمام قائلة: «والد الإمام كان اسمه

(السيد مصطفى)، ووالدته السيدة «هاجر خانم». وكان السيد مصطفى ابن السيد أحمد^(١)، قد ولد في خمين في شهر رجب عام ١٢٧٨هـ. ق ووالدته هي السيدة «سكينة خانم». فقد السيد مصطفى والده وهو في سنّة الثامنة. وفي السابع من شهر رمضان المبارك عام ١٢٩٧هـ. ق، وكان في سنّة التاسع عشر، تزوج من السيدة «هاجر آغا» بنت أستاذ الميرزا أحمد مجتهد ابن آخوند ملا حسين خوانساري، وهو من أحفاد الملا حيدر خوانساري، والملا حيدر هو من علماء العصر الصفوی ومؤلف كتابي (مضى الأعيان وزبدة التصانيف).

غادر السيد مصطفى بعد الزواج إلى مدينة النجف الأشرف لمواصلة تحصيله العلمي حيث درس عند كبار العلماء هناك، وعاد إلى خمين بعد نيله درجة الاجتهد. وكان عنده ابن واحد وتم استقباله بحفاوة في مدينته، ومنح لقب (فخر المجتهدین)^(٢).

كان الناس يحترمونه كثيراً ويوقرونـه، لأنـه، بالإضافة إلى علمـه ودراستـه الدينـية المتقدـمة، كان يبادر دومـاً إلى رفعـ الظلمـ الذي يلـحق بالـناس ويـساعدـ كثيرـاً منـ أجلـ المحـافظـة علىـ المنـطقة وـسكنـها منـ اعتـداءـاتـ الأـشـرارـ. وكانـ بيـتهـ دائمـاً مـلـجاًـ النـاسـ، ولـأـجلـ ذـلـكـ غـضـبـ عـلـيـهـ بـعـضـ هـؤـلـاءـ الأـشـرارـ. وـفيـ مـخـطـطـ دـنـيـ مـعـدـ لـهـ مـسبـقاًـ، اـغـتـيـلـ ظـلـماًـ فـيـ عـامـ ١٣٢٠ـهـ. قـ عـلـىـ يـدـ اـثـنـيـنـ مـنـهـمـ، وـقـدـ نـشـرـ نـبـأـ اـسـتـشـاهـادـهـ فـيـ صـحـيـفةـ (أـدـبـ)، وـهـيـ مـنـ الصـحـفـ الـمـهـمـةـ الـتـيـ كـانـ تـطـبـعـ آـنـذاـكـ^(٣)ـ؛ وـكـانـ عـمـرـ الإـلـامـ آـنـذاـكـ أـرـبـعـةـ أـشـهـرـ وـاثـنـيـنـ وـعـشـرـيـنـ يـوـمـاًـ فـقـطـ.

(١) لمعرفة تفاصيل أكثر عن السيد أحمد (جد الإمام)، يمكن مراجعة الهمامش رقم ١١ في نهاية الفصل.

(٢) هناك رسالة تعود لتاريخ ١٣٠٢هـ. ق تصادق على اجتهاده بتوقعه وختـ العالم الجليل السيد محمد هاشم بن زين العابدين، وعدد آخر من كبار العلماء.

(٣) صحـيـفةـ (أـدـبـ) واحدـةـ مـنـ عـدـةـ صـحـفـ مـعـروـفةـ آـنـذاـكـ (عـامـ ١٣١٦ـهـ. قـ)، وـكـانـ =

وفقد الإمام عمه «صاحب خانم» وهو في الخامسة عشر من عمره بسبب مرض الكوليرا، وبعد ستة أشهر توفي والدته بذات المرض، وهي في سن الخمسين؛ وتم نقل رفاتها إلى مدينة قم ووريت الثرى في مقبرة (وادي السلام).

أبناء السيد مصطفى (والد الإمام)

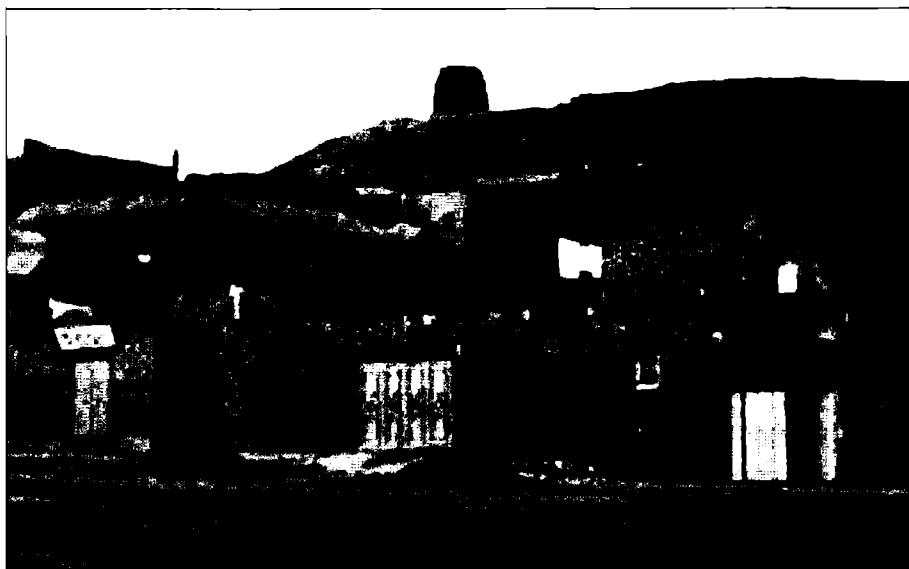
حول أبناء السيد مصطفى سمعت من السيد بسنديدة، أنهم كانوا ثلاثة أبناء ومثلهم بنات، وهم حسب الترتيب العُمري كالتالي:

١ - السيدة «مولودة آغا خانم» (١٣٠٥ - ١٣٤٣ هـ. ق) : زوجة الحاج ميرزا رضا نجفي ، توفيت في ٢٤ رجب ١٣٤٣ هـ. ق ودفنت في مقبرة (خاك فرج) بمدينة قم.

٢ - السيدة «فاطمة خانم» (ولدت عام ١٨٩٤ م).

٣ - السيد مرتضى (المعروف بالسيد بسنديدة) (١٨٩٥ - ١٩٩٦ م) : بعد تلقيه الدروس العلمية الأولية في مدينة خمين، انتقل إلى مدينة أصفهان لمواصلة تحصيله العلمي ودرس عند عدد من العلماء الكبار آنذاك، مثل الحاج السيد رحيم أرباب والشيخ علي يزدي وأية الله خاتون آبادي وعاد إلى خمين بعد انتهاء مرحلة السطوح وانشغل بالتدريس هناك.. وكانت له علاقات قوية مع الدكتور محمد مصدق وبباقي زعماء التحرك الإسلامي - الوطني؛ وبعد

= تعطى وتدار في عصر مظفر الدين شاه (قبل مرحلة الحركة الدستورية) - من قبل إحدى الشخصيات البارزة في تلك الفترة، وهو أديب الممالك فراهانی، وكان يتقن اللغتين العربية والفرنسية، وكان سياسياً وشاعرًا معروفاً. وقد نشر مقال رائع بمناسبة استشهاد السيد مصطفى في هذه الصحيفة بقلم أحد العلماء الفضلاء وهو حجة الإسلام كرماني، وطبع هذا المقال حول متابعة حادث الاعتيال واعتقاله وأعدام القاتل في العدد ١٤٦٦ من الصحيفة بتاريخ ربيع الأول عام ١٣٢٣ هـ. ق.



قرية انارك

انتفاضة الخامس من حزيران عام ١٩٦٤م (المعروفة بانتفاضة الخامس عشر من خرداد ١٣٤٣هـ. ق)، أغضب السافاك بسبب دعمه للإمام الخميني مما أدى إلى نفيه إلى منطقة انارك^(١).

٤ - السيد آقا نور الله^(٢) (١٨٩٧ - ١٩٧٦م) المعروف بـ(السيد نور الدين هندي)، بعد تلقيه التحصيل العلمي الديني زاول مهنة المحاماة وأصبح في شبابه مديرًا لدائرة العدل في مدينة خمين، وقد تعرض آنذاك لمحاولة اغتيال بالسكين وأصيب برئته، وكان يقول بشأن الشخص الذي حاول اغتياله: «لقد عفت عنه، لا تلاحقوه ولا تطالبو بالدية إن توفيت»!! . كان السيد هندي معروفاً بحسن الأخلاق والتعامل مع مناوئيه وموافقيه على حد سواء.

(١) انارك من القرى التابعة لمدينة نائين في محافظة أصفهان وتقع في قلب الصحراء.

(٢) توفي بتاريخ ٢٠/٧/١٩٧٦م. ولم يسمح السافاك بإقامة مجلس العزاء على روحه من قبل أسرته واكتفوا باقامة مجلس بسيط له في قُم.



الإمام الخميني ومؤلفة الكتاب



من اليمين: مؤلفة الكتاب، السيدة زوجة الإمام، الإمام الخميني

وبسبب حبه للضيوف وإكرامه لهم كان بيته دائمًا ملجأً آمناً لمن يزور خميني. وكان في المقابل من أشد المعارضين لظلم رضا خان وكانت له علاقة جيدة مع المجاهدين ومعارضي النظام الملكي.

٥ - السيدة «آغا زاده خانم» (ولدت عام ١٩٠٠ م)، وهي زوجة الميرزا باقر خان مستوفي.

٦ - السيد روح الله (الإمام الخميني)، وهو الابن السادس للسيد مصطفى (ولد في ٢٠ جمادي الثانية ١٣٢٠ هـ. ق ١٠/٢١ م ١٩٠٢) وتوفي في ٣/٦/١٩٨٩ م^(١).

(١) شرح السيد بستندية سبب الاختلاف بين لقب الإمام الخميني والقاب أشقاءه. يمكن مراجعة الهاشم ١٢ في نهاية الفصل.

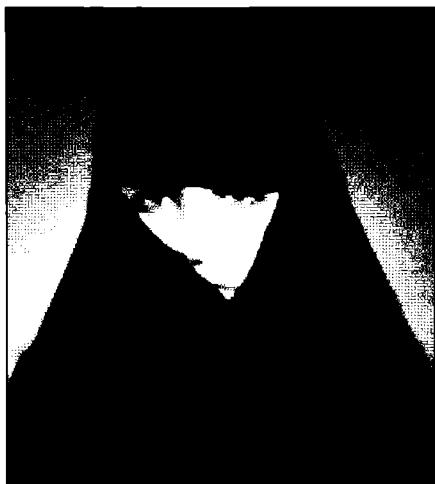
القسم الثاني

(لبّيك)

رحلة الحج

أثناء رحلتنا للعراق التي أشرت إليها آنفًا، اقترحت علينا (أنا وأحمد) السيدة زوجة الإمام أن نغتنم هذه الفرصة ونتشرف إلى الحج، ونكمّل طريقنا نحو الديار المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، لا سيّما أن السيد أحمد لا يمكنه السفر إلى الحج من إيران بسبب معارضة منظمة الأوقاف الإيرانية المسؤولة عن شؤون الحج، فضلاً عن أن تكاليف الرحلة من العراق أرخص مما عليه إن اطلقنا من إيران. ولكن النقطة الأهم هنا هو عدم امتلاكتنا المال الكافي لذلك؛ فاقترحت السيدة (أم أحمد) أن نأخذ المبلغ من الإمام، وقالت لي: «يمكنك أن تطالبي بمهرك لأنّه من حقك»، إلاّ أنني رفضت هذا الاقتراح وقلت: «لن أتقدم أبداً بمثل هذا الطلب». إن ذهابنا إلى الحج كان يتضمن أمرين إيجابيين: الأول أن السيدة أم أحمد ستراقبنا في هذه الرحلة، بعد كسب رضا الإمام. والثاني أن هناك خمسة أو ستة أشهر تفصلنا عن موسم الحج وسنضطر للبقاء هذه الفترة الإضافية في النجف.

بعد أن يئسّت السيدة أم أحمد منّا، أخذت المبادرة ومخاطبت الإمام قائلة: «إنّ أحمد وفاطي (التعبير المدلل لفاطمة) يريدان الذهاب



صورة مؤلفة الكتاب التي قدمت للحصول على تأشيرة الدخول إلى السعودية

والتشريف إلى مكة». فأجابها الإمام: «حسناً ليذهبوا، ما المانع؟»؟ قالت السيدة: «إن ذلك يتطلب أن يكون لديهم نقود». أجاب الإمام: «طبعي أن يذهب إلى مكة من يمتلك نقوداً». ثم سرد علينا هذه القصة وهو مبتسمًا: «سألوا أحد الأشخاص لماذا لم تحارب الحاكم الفلانى المتشدد واستسلمت له»؟ فقال: «هناك الف

سبب وسبب لذلك». فقالوا له: «اذكر لنا أحد تلك الأسباب». فقال: «لأنى لا أملك سلاحاً». فقالوا له: «يكفي هذا الدليل». أردف الإمام قائلاً: «يقولان أنهما يحبان الذهاب للحج ولكن لا مال لديهما»!!.. قالت السيدة للإمام: «اعطهما المال إذن»!!.. فقال الإمام: «لا أمتلك المال اللازم لأعطيهما». فاقترحت السيدة أن يقرضهما الإمام المال الكافي. فرفض الإمام الاقتراح قائلاً: «لا يمكنني ذلك»؛ فسألت السيدة بدهشة: «ولماذا»؟ فقال الإمام: ما داما لا يملكان النقود، فمن أين يريدان أن يسددا القرض؟؛ لأن الأموال التي أريد التصرف بها ليست ملكي الخاص بل إنها من الوجوهات الشرعية ويحق لي أن أفرض بها أي شخص إن علمت أنه يمكن من إعادتها لي». وعندما تأكدت السيدة أن لا فائدة من هذا الحوار، حافظت على هدوئها وقالت: «أجل، يتعهدان بإعادته». فسأل الإمام مرة أخرى: «ولكن من أين»؟ فلم تصبر السيدة أكثر من ذلك وقالت: «إذن اعطوا السيدة فاطمة مهرها».. بعد أن سمع الإمام ذلك قال: «إن طلبت هي مهرها فسيكون البحث بشكل آخر».

وكانت السيدة قد أخبرتني مسبقاً أن السيدة معصومة (زوجة السيد مصطفى) تمكنت من شراء بيت في قم المقدسة من حق مهرها وأجرته، لذلك، فإن طلبي لمهرى لم يكن أمراً غريباً على الإمام. ولكن مع ذلك كان الأمر صعباً على للغاية.

استمر الحوار بين السيدة والإمام حتى عاد الحديث ثانية عن المهر وغير ذلك، فدخلت على الحوار وقلت: «لم يكن الحديث أصلاً بشأن هذه الأمور. حيث أن السيدة تقول إن شرط الاستطاعة متوفّر فيك، وهذه هي أفضل فرصة لتشرفوا للحج من هنا». وهكذا انتهى الحوار.. بعد يومين أو ثلاثة أيام أخبرنا أمحمد أنه ينوي إعطاء جوازات السفر للشيخ قرهـي لإنجاز الإجراءات الالزمة لعودتنا إلى إيران.

في أحد الأيام، وبينما كنا منشغلين بتناول الطعام، خاطبت السيدة أم محمد السيد الإمام بحزن قائلة: «سيرحل هؤلاء بعد عدة أيام وسنبقى لوحـدنا مرة أخرى». فقال السيد الإمام: «سيـبقـون». قالت السيدة: «سماحتـكم لم يـوـافقـ على إـعـطـاءـ قـرـضـ لـهـمـ ماـ اـضـطـرـ أـحـمدـ لـيـعـطـيـ الجـواـزاـتـ لـلـشـيـخـ قـرـهـيـ حتـىـ يـأـخـذـ إـذـنـ الخـروـجـ ويـشـتـريـ تـذـكـرـةـ لـلـعـودـةـ إـلـىـ إـيـرانـ». فقال الإمام مبتسماً: «طلبتـ منـ الشـيـخـ قـرـهـيـ أنـ يـتـرـيـثـ قـلـيلاًـ..ـ اـنـتـهـىـ الـحـوـارـ إـلـىـ هـذـاـ الـحـدـ وـشـعـرـنـاـ أـنـ إـلـامـ غـيرـ رـأـيـهـ.ـ بـعـدـ ذـلـكـ قـالـ أـحـمدـ لـيـ:ـ لـقـدـ سـأـلـنـيـ إـلـامـ عـنـ كـيـفـيـةـ تـسـدـيـدـ الـقـرـضـ مـسـتـقـلـاًـ؟ـ وـالـآنـ حـقـاًـ كـيـفـ يـمـكـنـنـاـ أـنـ نـسـدـدـ الـقـرـضـ؟ـ قـلتـ لـهـ:ـ لـدـيـنـاـ عـدـدـ مـنـ الـمـسـكـوـكـاتـ الـذـهـبـيـةـ التـيـ سـبـيـعـهـاـ عـنـدـمـاـ نـعـودـ إـلـىـ قـمـ»ـ (وـهـيـ ذـاتـهـ التـيـ قـدـمـتـ لـنـاـ هـدـيـةـ فـيـ مـرـاسـمـ الـعـقـدـ وـالـزـوـاجـ مـنـ قـبـلـ بـعـضـ الـأـقـرـباءـ وـالـأـصـدـقـاءـ وـأـهـدـاـهـاـ كـلـهـاـ أـحـمدـ لـيـ).

خاطبني السيد أمحمد قائلاً: «هل تذكريـنـ عـنـدـمـاـ قـلـتـ لـكـ أـنـ إـلـامـ جـادـ كـثـيرـاًـ فـيـماـ يـخـصـ الـمـسـائـلـ الـشـرـعـيـةـ،ـ وـهـذـهـ وـاحـدةـ مـنـ تـلـكـ الـمـسـائـلـ؟ـ».ـ وـأـخـرـاًـ وـافـقـ إـلـامـ أـنـ يـقـرـضـنـاـ مـبـلـغاًـ مـنـ الـمـالـ لـتـغـطـيـةـ نـفـقـاتـ رـحـلـةـ الـحـجـ.

وهكذا قررنا أن نسافر إلى الديار المقدسة برفقة السيد أحمد وحسن وزوجة الإمام والشيخ علي ستاري كدليل مرافق لنا.

بعد إنجاز الإجراءات الالزمة لرحلة الحج، انتابني هاجس آخر تمثل بالفهم الحقيقي لفريضة (الحج)، فلجلات لسماعة الإمام طالبة منه توضيح بعض المسائل والمناسك المرتبطة بالحج. فعمد سماحته لشرح المعاني الرائعة لهذه الفريضة الإلهية بالشكل الآتي: «اسعوا وأنتم في أرض الوحي من أجل تحطيم الأوثان التي نحتموها بأنفسكم، وركزوا اهتمامكم على الله جلّ وعلا؛ واعلموا، أيضاً، إنكم لن تتحرروا من الشرك إلا بعد أن تعتقدوا وتؤمنوا حقاً أن ليس هناك مؤثر في العالم غير الله سبحانه وتعالى. وما دمتم تنظرون إلى الموجودات على أنها كيانات مستقلة، فلن تصلوا إلى (التوحيد). وما دمتم لا تعبدون النعم إلى وليهما الحقيقي، فستظلون تكفرون بالنعيم الإلهية. ولا بدّ أن تعتقدوا أن جميع النعم تعود لله وحده. وأن ترسخوا هذا المفهوم في قلوبكم، وهو أن كل دائرة الوجود هي له وحده ولا يوجد غيره من يستحق أن تنسب الأمور له». لقد ترسخت تلك الإرشادات الرائعة في قلبي وذهني من خلال حديث الإمام حيث لم أكن أمتلك تصوراً صحيحاً وكاملاً عنها ولم أفهم معناها الدقيق، إلا أنني فهمت كم أنا لا أعي حقيقة الدين، وكم أنا في المقابل شائكة في عقائد وتصورات صنعتها بنفسي.

لقد كنت حتى ذلك اليوم أظن أن من يذهب للحج ويصبح (حاجاً) كما يقال، ينبغي أن يتقدم في العمر أولاً، كما يجب أن يظهر تغيير محسوس في سلوكه وكلامه بعد هذه الرحلة، وهذا يعني أن الحاج وال الحاجة ليس عنواناً لمن ذهب إلى الديار المقدسة وأدى فريضة الحج، فحسب، بل يجب أن يدل على حدوث التكامل الروحي والسمو المعنوي للإنسان. لذا فما دمت لم أبلغ العشرين من عمري آنذاك ولم

أبلغ تلك الدرجة الازمة من السمو المعنوي والروحي اللازمين، فمن المبكر أن أتشرف إلى الحج.

ولكن بعد الإصغاء إلى حديث السيد الإمام، عرفت أن هذا التصور صحيح، من ناحية لأنه كان يعبر عن عدم اطلاعي الكافي حول المسائل الشرعية، ونظرتي للحج على أنه يختلف عن باقي الفرائض والتكاليف الشرعية من ناحية أخرى، بينما كان لا بد لي أن أمثلك نفس هذا الاعتقاد فيما يخص الصلاة والصوم وغيرها من العبادات. أي كان لا بد أن أدرك أن المصلي ينبغي أن يحصل على السمو الروحي والمعنوي بعد كل فريضة صلاة. فلو اعتقاد الإنسان أن الصلاة معراج المؤمن وأنها تنهاء عن الفحشاء والمنكر، فلا بد له بعد كل صلاة، بمقدار معرفته، أن يتبع عن السوء والفحشاء والأناية؛ لذا لا بد أن لا نفكر في الحج بهذا الشكل فقط، بل أن يشمل ذلك باقي العبادات. وهكذا، فإن الحج يعتبر واجب ديني ينبغي أن يؤديه الإنسان عند الاستطاعة وإنْ توقع الحصول على النتيجة المعنوية من الحج، هو كغيره من الواجبات الأخرى.

فكرت مع نفسي، أنه ما دام الحج هو القصد والعزم، إذن لا بد أن يكون يومنا هذا يختلف عن الأيام الماضية لأننا عقدنا العزم على أمر يمكنه أن يسير ب حياتنا إلى جهة معينة ويفتح آفاقاً جديدة أمامنا.

وهكذا حان يوم السفر الموعود. وقد أعطانا الإمام مبلغاً من المال يعرف بـ (زاد الطريق) وقرأ في أذننا: «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْقُرْبَانَ لِرَدْكَ إِلَى مَعَادِكَ»^(١). وهو ما يعرف بـ (دعا السفر)^(٢)، وانطلقنا في الرحلة

(١) سورة القصص، الآية: ٢٨.

(٢) كانت العادة آنذاك أن يعطي مبلغاً من المال للمسافرين عند الوداع، ولم يكن المبلغ كبيراً ولكنه ذو بركة، كما كانوا يقرأون الدعاء في أذن المسافر حفظاً له.

ونحن بحالة من الحزن والأسف لأننا لن نراهم مرة أخرى، حيث كان من المقرر أن نعود إلى إيران بعد انتهاء رحلة الحج.

وسط البرد الشديد أوائل عام ١٩٧٤ ، تحركنا بحافلة حديثة نحو مدينة دمشق السورية وذهبنا إلى أحد البيوت الذي كان قد استقر فيه الحاج السيد مصطفى في العام الماضي واستأجرنا غرفة فيه ومكثنا هناك يومين.

أخبرنا السيد ستاري ، الذي كان دليلاً ومرشدنا في تلك الرحلة ، أن لا نأخذ معنا أشياء إضافية تعرقل تحركنا هناك؛ فتذكرت حديث الإمام علي (ع) حيث يقول : «تخفّفوا تلّحقوا»^(١). بعد أن اشتري السيد ستاري التذاكر اتجهنا نحو مطار دمشق الدولي وركبنا الطائرة المتوجهة إلى مدينة جدة. لم تكن الرحلة طويلة ، وخلالها فكرت في كيفية تطهير القلب من الكراهية والشك والاضغان تجاه الآخرين ومن كل شيء إضافي ، وتذكرت قول الله سبحانه وتعالى ﴿فَإِنَّكَ خَيْرَ الرَّازِدِ الْفَوَّارِ﴾^(٢). ولم يكن ذلك أمراً يسيراً بالطبع. كذلك حينما حلقت الطائرة واخترقت الغيوم قلت مع نفسي : ليت الإنسان يصنع وسيلة تخرج من خلالها أرواحنا من أجواء الشك وعدم الاستقرار نحو السكينة والاطمئنان ، وقد تكون أمنية صعبة التتحقق لأن الله جلّ وعلا يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّرُ مَا يَقَوِّمُ حَقَّ يُغَيِّرُوا مَا يَأْنَسِيهِمْ﴾^(٣).

وهكذا فإن الانعتاق من أجواء الظلم والحلكة والاستقرار في أجواء نقية سليمة ، تستلزم السعي والجهاد والمثابرة والمعرفة. وقد رأيت

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١١.

بعض الحجاج يلبسون ملابس الإحرام البيضاء وهم يرددون النداء الخالد: (لبيك، اللهم لبيك..) مما ترك آثاراً عظيمة على الجميع وأدمع عيوننا شوقاً وفرحاً.

حطت الطائرة في مطار جدة واجتنزا الإجراءات الروتينية الإدارية وتم التأكد من سلامتنا البدنية والصحية، وأنذر أن أحد المسافرين المرافقين قال حينها: «نرجو أن تتأيد سلامتنا في رحلتنا الأبدية نحو الآخرة إن شاء الله».. لفت أنظارنا اقتراح قدمه الدليل العراقي للمسافرين مفاده أن هناك جهازاً يسهل الاتصال لإخبار العوائل بسلامة الوصول^(١). وأنذر أن أحد الحجاج أجاب بحالة معنوية وملكتوية خاصة، وصوت متقطع قائلاً: «أيها الأصدقاء، هل وصلنا هدفنا حتى نخبر أسرنا بذلك؟! حيث تفصلنا عن ذلك فراسخ كثيرة».

في مدينة جدة زرنا مرقد السيدة (حواء) أم البشر، ولكن لم تكن تعلوه أية علامة أو شاخص معين، لأن بناء القبور والمزارات ووضع الحجر عليها، يعتبر من علامات عبادة الأموات ومخالف للشريعة الإسلامية برأي مسؤولي الحرمين الشريفين. كما رأيت على ساحل البحر الأحمر مسافرين عزموا الحج بالبواخر وهم يحملون معهم أدوات الطبخ، مثل المواقد المتفاوتة الأحجام، والأسماك المجففة داخل السلال الحصيرية، والحقائب المعدنية المغطاة بالأقمشة، وغيرها.

بعد أداء الزيارة والتجلو في مدينة جدة، عدنا إلى المطار ودخلنا إلى صالة كبيرة تسمى بمدينة الحجاج، وهو محل استقرار الحجاج

(١) من أجل الاتصال من خلال الهاتف أو التلكس في ذلك الوقت، كان لا بد من مراجعة مراكز الاتصالات السلكية واللاسلكية. وكان وجود مثل هذا الجهاز في المطار أمراً عجياً!!.

وتجمعهم قبل أن يتقلوا، عبر الحافلات، إلى مكة المكرمة. كان الطقس حاراً جداً ورطباً للغاية، والحجاج يتحلقون حول لوازمهم وحقائبهم، وكان الانتظار قاسياً ومؤلماً للغاية، والكل يبحث عن المرشدين، إلاّ أننا عملنا باقتراح السيد (ستاري) وتحركنا نحو (المiqāt)^(١).

لبّيك

استأجرنا سيارة صغيرة وتحركنا إلى أحد المواقب القرية من المطار، وهو مسجد الجحفة، وأحرمنا هناك بعد أن شرح لنا السيد ستاري بعض النقاط التي يجب مراعاتها خلال الإحرام، ورفع صوته بالتلبية (لبّيك، اللهم لبيك..) وكررنا بعده ذلك.. وكان كل اهتمامي في تلك اللحظات، ينصب في وجوب أداء الحروف بشكل صحيح وسليم، وأن أفرق بين (الهاء) و(الحاء). فكررنا عبارة التلبية مراراً: (لبّيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك) وتحركنا نحو مكة المكرمة؛ وامتلاً وجودي بشوق رؤية المسجد الحرام والкуبة المشرفة لأول مرة في حياتي، وواصلت تكرار التلبية و كنت أفكر لأي شيء نردد التلبية؟ وأي دعوة لله نقول: لبيك اللهم لبيك؟ هل أن هذه الدعوة هي ذاتها دعوة يوم (الآستانة) التي أجبناها جميعاً بـ (بلى): ﴿...أَلَّا سُتُّ بِرَبِّكُمْ فَأَلَّا بَلَّ﴾^(٢)؟.. ولو أننا قلنا (بلى) في ذلك اليوم لربوبية الله، فما هي الدعوة التي نلبّيها اليوم؟.. واستعنت بما اختزنته من كلام الإمام وقتلت: لربما ينبغي أن نقول اليوم (بلى) لوحدانيته.

إن الاعتراف بوحدانية الله يأتي بعد القبول بربوبيته جلّ وعلا،

(١) هناك أربع مناطق معروفة كمواقف للإحرام هي: مسجد يلم لم، قرن المنازل، مسجد الشجرة، وادي عقيق والجحفة.

(٢) سورة الاعراف، الآية: ١٧٢.

وهذا يعني أنه ينبغي أن نقبل به رباً لنا ومن ثم نقر بوحدانيته. وهكذا، فإن هذه التلبية ليست كسب الإذن للدخول إلى بيت الله فحسب، بل إنها أبعد من ذلك بكثير ويمكنها أن تكون: لبيك لنعمات ورحمات الله الأزلية أو أنها كسب الإذن للقاءه والتقرب منه والدخول في عالم ﴿وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْنَاءَ كُلَّهَا﴾^(١). ومع القبول بهذه المقدمات، فإن الدخول إلى المسجد الحرام هو بداية الطريق (ليست الكعبة إلا بناء من الحجر حتى لا يضيع الطريق).

وبينما كنت ذائبة في مثل هذه الأفكار، استيقظ حسن من النوم ولفت أنظاري إليه، ولم يمر وقت طويل إلا ووصلنا إلى (الحدبية)، حدود الحرم من ناحية جدة، ومن ثم دخلنا مكة المكرمة.

استأجر السيد ستاري لنا غرفة في شارع (الشيشة) ووضعنا لوازمنا هناك وتحركنا نحو المسجد الحرام لأداء المناسك، كان الطقس ممطراً، حيث منحت قطرات المطر المنهمرة عظمة إضافية خاصة لبيت الله، ولم تقلل السحب الداكنة من جمال بيت الله الحرام، فحسب، بل إن هذه السحب بدت جميلة ورائعة، في مقابل نورانية وصفاء سماء بيت الله الحرام.

المسجد الحرام

دخلنا المسجد الحرام؛ ولكي نبدأ بالطواف ينبغي أن نقف أمام الحجر الأسود. وكان السيد أحمد يقول: «إن لمس الحجر الأسود بمثابة وضع اليد بيد الله؛ وهنا تكمن نقطة بدء الطواف واختتامه». المطاف كان مليئاً بالحجيج من كل الأعمار والألوان والأعراق والطبقات والمناصب

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

إلا أنهم جميعاً كانوا منشغلين بالدعاء والتوجه لله سبحانه وتعالى طلباً للرحمة والغفران. وبصعوبة كبيرة أوصلنا أنفسنا للحجر الأسود وبدأنا الطواف من خط الحجر الأسود، بل وقبله بعده أقدام (للاحتياط) ونحن نكرر ما يردده الدليل بصوت متقطع وعيون دامعة ونقول: (اللهم إن عملي ضعيف فضاعفه وتقبله مني).

انتهى الشوط الأول وبدأنا الشوط الثاني من الطواف حول الكعبة المكرمة، وكل مِنَّا يذكر الآخر بذلك حتى نؤديه بدقة ولا يختلط الأمر علينا، لأن أي شك في عدد الأشواط يبطل الطواف ويتوجب حينها أن نخرج من بين الجموع لنبدأ الطواف مرة أخرى من نقطة الانطلاق (الحجر الأسود). وهذا العمل في غاية الصعوبة بسبب الازدحام الشديد للحجاج في الطواف.. وحينها تذكرت مقوله السيدة بنت الهدى الصدر التي تقول فيها: إن الطواف حول الكعبة رمز لطواف الإنسان حول هدف معين. وهو يشير، أيضاً، إلى أن الإنسان يجب أن يعود إلى النقطة التي جاء منها». وكانت تقول أيضاً: لو شك الإنسان في هذا الطواف المقدس، فلا بد أن يعود إلى نقطة الانطلاق ليبدأ حركته من نقطة البداية.. وهكذا هي الحياة، فلو أن الإنسان سقط في دائرة الانحراف والضلال وخرج عن طريق الشريعة، فلا بد أن يعود إلى البداية متى ما أدرك الحقيقة، ويبدأ حركته من جديد طبقاً للأوامر الإلهية، لأن الله لا يحب الأقدام المتزللة وغير الثابتة.

لذلك، فإن الله يأمر بالعودة حتى يقر الإنسان بخطئه ويعود ليجتاز الطريق بأقدام راسخة وصلبة، وهذه العودة هي بذاتها التوبة التي يقول فيها جلّ وعلا: ﴿...وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

كنا نحمل أثناء الطواف كراساً يتضمن أدعية خاصة بكل شوط لنقرأها. وكان الآخرون يفعلون نفس الشيء. وأحياناً كانت الأصوات تتدخل مع بعضها. وكانت علامات الإخلاص والعبودية والرجاء تتماوج في وجوه الطائفين، ولفت أسماعي صوت شجي ومتقطع لشيخ يردد هذا الدعاء بلغة عربية جميلة: (اللهم أدخلني الجنة برحمتك..). وهكذا أنهينا الشوط السابع من الطواف وخرجنا بكل هدوء من صفوف الطائفين واتجهنا نحو مقام إبراهيم ووقفنا خلفه لأداء الصلاة. ... وقف لأصلي مباشرة نحو المكان الذي كنت أصلي باتجاهه عن بعد منذ سنوات طويلة، والآن أرى نفسي أقف أمامه مباشرة!!.

إن أداء الصلاة في مكان مزدحم بالناس وبعضهم منشغل بالطواف، أمر صعب للغاية ولا يمكن القيام به إلا بعون الآخرين ومساعدتهم.. حيث بادر عدد من الرجال الأفارقة وبمساعدة أحمد، إلى عمل حلقة بسواudem القوية حتى أتمكن من أداء صلاة الطواف خلف مقام إبراهيم. وبعدها خرجت من حلقة هؤلاء الرجال ذوي البشرة السوداء والقلوب البيضاء، تعبة ومرهقة، واتجهت نحو إحدى زوايا المسجد الحرام للاستراحة.

جلسنا على درجات المسجد الحرام وببدأ السيد أحمد يتحدث عن عظمة هذا المسجد وروعة العمل الذي يقوم به الناس في صفوف واحدة ومتراصة، وبنداء واحد بعيداً عن كل لون وعرق، مشيراً إلى أهداف هذه المناسك الإلهية التي يجتمع في ظلها الناس في زمن معين واحد، ويأتي المسلمين من كل فج عميق، يرفعون شعاراً واحداً رغم تفاوت الثقافات واللغات والأعراق والألوان، ويطوفون حول بيت يرتدي رداءً أسود.. وهو الكعبة المكرمة.

إذن.. الجميع يأتون إلى هنا ليتبادلوا البيعة فيما بينهم، حتى لا

يخرجوا من عبادة الله ويتعاهدوا على احترام نواميس الله ومنها سمعة وكرامة وشرف أبناء البشرية وحقوقهم الإنسانية؛ وتذكرت ما ي قوله سماحة الإمام في بحث (الحكومة الإسلامية) في أن جميع الأحكام والقوانين الإلهية جاءت من أجل الوصول إلى التوحيد بشكل جماعي وليس فردي.

لم ينس السيد أحمد أبداً الثورة وأصدقائه من رجال الثورة المسجونين، فذكرهم بخير ودعا لهم. كما تذكر المجاهدين الذين يسعون في كل عام من أجل إيصال نداء الإمام للحجاج ومسلمي العالم ويتحملون المخاطر في هذا الطريق^(١). كذلك تذكر السيد ناصري الذي تم اعتقاله لهذا السبب في هذه البلاد وقضى عامين في السجون السعودية.. بعد ذلك قمنا من مكاننا واتجهنا نحو المسعى.

المسعى

في البدء وقفنا على أعتاب المسعى لنلقي نظرة عامة على الجموع. حيث أن المسعى يتكون من ممرتين عريضتين وطويلتين. تم إكساء القاع والجدران بالحجر الرخام (المرمر)، كما يتوسط الممرتين جداران قصيران يحصاران بينهما، في مسافة مترين تقريباً، ممران ضيقان مخصصان لسعي المعاقين وكبار السن الذين يُحملون على عربات خاصة. وفي (السعى) يمكن للإنسان أن يمشي على قدميه أو يستخدم أية وسيلة أخرى في سعيه، المهم أن يسعى بين الصفا والمروة لسبعة أشواط، والأفضل أن يكون الإنسان في حالة وضوء خلال السعي. في نهاية الممرتين يمكن مشاهدة ما تبقى من جبلتي الصفا والمروة بشكل تلّين

(١) في عام ١٩٧٠، توجه عدد من تلاميذ الإمام إلى الحج لإيصال نداء سماحته للحجاج. لمعرفة التفاصيل يمكن مراجعة الهاشم ١٣ في نهاية الفصل.

منفصلين.. وجموع الناس كانت تتحرك ذهاباً وإياباً خلافاً للطواف الذي يتم حول الكعبة؛ حيث يتحرك الجميع من (مروة) بعشق الوصول إلى (الصفا)، وفي المقابل يتحركون من (الصفا) ليدركوا (مروة)، بينما في الطواف يتحرك الجميع كتفاً لكتف محتضنين الكعبة وهم يطوفون حولها.

بتوجيه من السيد ستاري صعدنا جبل (الصفا) ووقف أمامنا وقال: «رددوا النية الواجبة أن نؤدي سبعة أشواط من السعي بين الصفا والمروة بنية عمرة التمتع قربة إلى الله تعالى». بالطبع نحن جئنا من أجل ذلك بالضبط، ولكن يجب أن نردد هذه الألفاظ على لساننا.. وكررنا معه هذه النية وانطلقنا.

أحدهم كان قد قال لي يستحب قراءة دعاء الجوشن الكبير خلال أشواط السعي السبعة لأن فيه ذكر لألف من أسماء الله؛ وآخر قال لي يستحب قراءة المناجاة الخمسة عشرة للإمام السجاد (ع)، ولكن الواجب هو أداء السعي في أشواطه السبعة.

يتذكر كل إنسان في المسعى لا إرادياً السيدة «هاجر» أم إسماعيل التي عمدت إلى التنقل بين الصفا والمروة بحثاً عن جرعة ماء لوليدتها، وقطعت هذه المسافة بتعب وإرهاق ومشقة مرات عديدة، حتى أثر سعيها وجهدها الذي بذلته؛ والآن.. فإن الملايين من البشر سنوياً يخذلون حذوها ويتققّون أثراها ويكرمون إيثارها العظيم.

بعد إنتهاء السعي بين الصفا والمروة لسبعة أشواط أديننا بمقصص صغير التقسيير (قص مقدار قليل من الشعر والأضافر) ومن ثم عدنا مرة أخرى إلى المسجد الحرام لأداء (طواف النساء).. تحدثت مع السيد أحمد عن هذا الطواف وعظمة المرأة و منزلتها لدى الله سبحانه وتعالى، ومحورية المرأة في نظام الكون والخلق، إلا أن كلامي لم يكن دقيقاً برأيه، ووصفه بأنه نابع عن الأحساس والمشاعر.

تهيأنا لطواف النساء؛ وكنت أحياناً أشك في عدد الأشواط أو حدوث انحراف في اتجاه كتفي عن الاتجاه المطلوب وكنت أقلق، إلا أن السيد أحمد كان لا يعجبه مثل هذا الشك والوسواس وكان يتحملني بصبره ورباطة جأشه، ويطمئنني بأن لا داعي لكل ذلك الشك، ويقول: «اطمئني أن العمل الذي يأخذ الإنسان إلى النار هو تضييع حق الناس وهتك حرماتهم وعدم فهم حقيقة الدين، وليس انحراف الكتف قليلاً..».

بعد إنتهاء طواف النساء، أدينا صلاة الطواف وانتظرنا حتى يحين وقت صلاة الصبح. وكلما اقترب وقت الصلاة كانت دائرة الطواف حول الكعبة تصغر شيئاً فشيئاً.. ويزداد في المقابل عدد أفراد الشرطة؛ فالبعض منهم كان يمانع من دخول الأفراد الجدد إلى المطاف حتى رفع الأذان. ومع انطلاق صوت المؤذن توقف الطائفون وانضموا إلى صفوف المصليين.. بعد أداء الصلاة خرجنا من المسجد الحرام لنواجه أمامنا البائعين والمحلات وأصحابها الذين ينادون الناس ليشتروا منهم، ليذكروني بأقربائي وأصدقائي، واحترت ماذا سأشتري لهم، وهناك تذكرت كلام أحدهم الذي كان يقول: «إن شراء الهدايا لا سيما من مكة المكرمة، من قبل السائرين نحو الحقيقة ومن يعتقد بكل وجوده بأن (الخلق كلهم عيال الله)، هو في الواقع استمرار لذات الحالات المعنوية والمعاني الإلهية».

وادي عرفة

في اليوم الثامن من ذي الحجة أحرامنا مرة أخرى وتحركنا نحو وادي عرفة؛ ولم تكن المسافة طويلة إلا أن الازدحام الشديد في الطريق جعلنا نقطع تلك المسافة التي تستغرق نصف ساعة بعده ساعات. ووصلنا مساء إلى صحراء عرفة وهو المكان الذي يتوجب على جميع الحجاج إن

يقفوا فيه: من أذان ظهر اليوم التاسع من ذي الحجة حتى غروبه، وهو الوقت الوحيد الذي يجتمع فيه جميع حجاج العالم في مكان واحد.

في صحراء عرفة، ينبغي أن نجد مكاناً لنقيم فيه؛ فأخذ السيد ستاري مكاناً داخل المخيم من أحد (المطوفين)^(١). فاستقرينا أنا والسيدة أم أحمد ونجلتي حسن في إحدى الخيام المخصصة للنساء، واستقر أحمد والسيد ستاري في خيمة أخرى خاصة بالرجال.

إن ظلام الليل وسكونه، زادا من هيبة الصحراء التي قسمت إلى شوارع مرتبة بالخيام البيضاء المنظمة التي صفت على جوانبها. وفي هذا المكان يضيع الإنسان إن ابتعد عن المكان أو فارق الدليل؛ لذا جلسنا أمام خيمتنا.

تذكرت كلام الإمام حول الروح التي تحكم القوانين الإسلامية، وتبادر إلى ذهني أن الروح التي تحكم هذا العمل العبادي، يمكن أن تكون أيضاً تعبيراً عن تضامن المسلمين وإقرارهم واعترافهم الجماعي بوحدانية الله سبحانه وتعالى. وهذا المشهد الذي أمامي خير شاهد على أن جميع المسلمين المجتمعين في هذا المكان على مختلف مناصبهم ومواضعهم، متواحدون في ملابسهم البسيطة ومجردون من أية علامة فارقة، ويعيدون عن أي نوع من المراسيم الظاهرة، ويملكون أقل الإمكانيات.. فهنا رأيت الغني مع الفقير البسيط، والحاكم مع المحكوم، والعالِم مع الجاهل، والجميع يجلسون معاً. بل حتى أولئك الذين لا يفهمون لغة بعضهم البعض، يتَّفَاهُمُون من خلال الموجات التي تصدر من القلوب، ويتحاورون عبر لغة الإشارة. وأنا بدوري استفدت من هذا

(١) تعود الخيام في مني وعرفة إلى عدد من الأشخاص ويقومون بتأجيرها على الحجيج.

التلامح الروحي والقلبي السائد بين الحجاج، حيث أهدت لي إحدى السيدات الباكستانيات سوارها المرصع بعد أن اخرجته من معصمها إثباتاً لمشاعر المحبة نحوي.

وب شأن سبب تسمية هذه الأرض بعرفة يقال إن ذلك يعود إلى أن المسلمين يتذمرون مع بعضهم البعض في هذا المكان. ويقول البعض الآخر إن سبب التسمية يعود إلى أن آدم وحواء تعرفا على بعضهما في هذه المنطقة بعد اخراجهما من الجنة وانزالهما إلى الأرض. كما سمعت أن السبب يعود إلى أن الأمين جبرائيل نزل في يوم عرفة على سيدنا إبراهيم الخليل (ع) في هذه الأرض ودعاه ليتعرف بذنبه وعرفه على المناسب.. على أية حال، إن أرض عرفة هي وادي مقدس، ومحل الدعاء والمناجاة والإقرار بالتصدير وتجسيد للفلسفة السياسية للحج.

أجل، إن يوم عَرَفة في أرض عَرَفة تميز بأجواء خاصة، فالكل كان منشغلًا بالدعاء والمناجاة، إلا اني لم استفاض منه كثيراً بسبب رعاياتي لبني الصغير.. والبعض من الحجاج انشغلوا بعد ظهر يوم عَرَفة، بقراءة دعاء عَرَفة المنسوب للإمام الحسين (ع)، وقد أعجبت بتلك الحالة المعنوية العالية التي تميزوا بها وهم يقرأون هذا الدعاء وقوفاً في الطقس الحار آنذاك؛ كما سمعت أحد الحجاج ينادي الله قائلاً: «يا إلهي، انت ملجأي عندما أعجز عن قطع الطريق؛ وأنت سدي عندما أرى الأرض تضيق علي رغم، وفي هذا الوادي المقدس أتعرف أنني سأهلك وأفنى حتماً إن لم تشملني بلطفك ورحمتك».. وكان يذرف الدموع ويتأوه بشدة وهو يطلب من ربّه أن ينظر إلى ذلّته ويرحمه برحمته الواسعة. وقد انجدب إلى تلك الأجواء المعنوية الرائعة وشاركته في نجواه وتوسله.

إن حالة الانقطاع عن الغير والذوبان في الله كانت ظاهرة بكل وضوح في وجوه بعض الحجاج المجتمعين في ذلك المكان، وهنا كان معيار الجمال مختلفاً، حيث ظهرت المكانة والمنزلة في حالة التجرد من المنزلة، والمكانة في حالة عدم امتلاك المكان، كما ظهرت الثروة الحقيقة في التجرد من المال، والثروة والكمال في التجرد عن الذات.. إلى جانب كل ذلك الجمال والعظمة في المكان والزمان، فإن الجميع كان يعاني من قلة الماء اللازم لإرواء الظمآن والمحافظة على النظافة والطهر الإنساني.

المشعر الحرام

وهكذا انتهى الوقوف في عَرَفة مع حلول الغروب، وتحركنا نحو المشعر الحرام. وكان الخوف من الضياع والابتعاد عن القافلة يزداد أكثر، وشعر به أغلب الحجاج؛ حيث وصلنا إلى المزدلفة والمشعر الحرام في منتصف الليل، وكنت قد قرأت في القرآن الكريم: ﴿فَإِذْ كُرُوا
اللَّهُ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨] وكنت في أشد الشوق للوصول إلى تلك الأرض المقدسة..

جمعنا الحصى في المشعر الحرام لنرمي بها الشيطان في / مني. والكل كان يبحث وسط ظلام الليل عن الحصى ليرموا بها الشيطان غداً في وضح النهار، وبعيون مفتوحة. ولربما يعرفوا أنه من أجل الوصول إلى الله لا بد من رمي الشيطان الباطني والخارجي، وبالتالي ليظهروا براءتهم ونفورهم منه.

كنا بحاجة إلى تسعه واربعين حصوة، ولكن الدليل اقترح علينا أن نحمل عدداً أكثر من ذلك للاحتياط.. وضعنا الحصى في كيس وعلقناه على رقبتنا. وهكذا أصبحت الحصى التي لا قيمة لها في الأمكنة

الأخرى، ذات قيمة كبرى هنا، فكل الحاجاج باختلاف مواقعهم ومناصبهم، انشغلوا بالبحث عنها وسط الظلام الدامس، وانحنا من أجل حملها من الأرض وجمعوها في الأكياس. وكنت أفكّر حينها في أنه لربما أن رمي الجمرات عمل رمزي يشير إلى أنه من أجل الوصول إلى الله، لا بد من نفي وطرد الشيطان (أو كل شيء عدا الله). لأن النور والظلام، والحسن والقبح، لا يجتمعان في مكان واحد؛ إذن لا بد من نفي وطرد أحدهما من أجل الوصول للأخر.

قيل لنا: «إن الحصى التي تجمع هناك هي في الواقع بمثابة زينة للناس الذين جاؤوا إلى تلك الأرض من أجل التقرب من الله، وهي، أيضاً، سلاحهم الذي يرمون به رؤوس مظاهر الشرك والكفر وكل معالم الأنانية وحب الذات والعجب.

استيقظت من النوم على صوت المناجاة قبل الأذان، فقد سمعت صوتاً من جانب الخيمة يردد: «إلهي، لو كان ذنبي عظيماً وخطأي كبيراً، فغفوك أكبر من خطأي واسع من ذنبي. ولو أنك طردتني من مأواك فمن يأوياني. ولو أنك لم تسعني برحمتك فبمن آمل إذن».

بعد استماعي لهذا الدعاء تذكرت بحث الشفاعة.. حيث خاطبت السيدة أم أحمد سماحة الإمام يوماً بالقول: «انتظر منك الشفاعة، لأنني أعتقد إنك يمكن أن تشفع لي حيث منذ افتراننا معاً لم أر منك صدور ذنبٍ كبيرٍ، وتهتم دوماً بالمستحبات، لذا فإنك يمكن أن تشفع لي». فأجابها الإمام: «إذن، ابق على هذا الأمل!! ولا بد لكل إنسان أن يفكر بعاقبة أمره وحياته الأبدية، ويتووجب عليك أن تكتسبي أهلية شفاعة المعصومين (ع) في هذه الدنيا، وأنا لا أستطيع أن أقوم بهذا الأمر، ولم أؤد أي عمل يساعدني على ذلك».

بعد شروق الشمس انطلقنا من المشعر الحرام، بينما كان بعض الحاج من الأخوة أهل السنة تحركوا بعد منتصف الليل، إذ كان الطقس معتدلاً قبل طلوع الشمس، ويمكن للنساء أن يتحركن في منتصف الليل، إلا أنني فضلت أن أبقى حتى تتحرك معاً نحو مني. كان ذلك اليوم هو العاشر من ذي الحجة، وهو يوم عيد الأضحى المبارك الذي ينتظره المسلمون، لأن له الدور الأكبر في مناسك الحج.

كان الطريق من المشعر الحرام إلى مني مزدحماً للغاية، بحيث فضل البعض أن يقطعوه مشياً على الأقدام حتى يصلوا أسرع إلى الهدف، إلا أن هذا الأمر صعب علينا جداً بسبب وجود حسن الصغير معنا.. وأخيراً وصلنا إلى مني، وهناك بالإضافة إلى خيام الحجاج، وجدنا عدداً من المباني الخاصة بالمسؤولين والرؤساء ورجال الدولة؛ وكان علينا في مني أن نرمي الشيطان الأكبر بالحصى. أدينا هذا الواجب في اليوم الأول ورمنا الحصى وعدنا فرحين، لأننا لم نهدف بالخطأ رؤوس الآخرين، كما لم تُصب رأسنا حصى الآخرين.. وبينما كنت عائدة إلى الخيمة رأيت عجوزاً ضيعت خيمتها فرافقتها حتى أوصلتها إلى هناك، ولكنني في المقابل ضيّعت الطريق إلى خيمتي، ولم تكن هناك أية علامة ترشدني إليها، لأن الخيام تشبه بعضها البعض. كما أن الشمس كانت شديدة الحرارة. وكنت أسير على قدمي، ولم أكن أعرف إلى أين ذاهبة بالضبط، كنت أتحرك في طريق مجهول، وفي الوقت ذاته كنت أفقد طاقتني مع أي قدم أخطوها ولا جدوى منها، وأخشى أن أبتعد أكثر عن خيمتي. وهكذا ذقت الطعم المر للضياع الظاهري، وحينها عرفت أن معرفة الطريق يالها من نعمة كبرى، وكانت أفكر مع نفسي كم هو مر ومؤلم الضياع الحقيقي وعدم تحديد الهدف والمقصد بشكل دقيق... وفجأة رأيت السيد ستاري بين جموع الناس، فأرشدني إلى خيمتي.

ولشيعة النحر، فوضنا السيد ستاري نيابة عنا ليذبح القربان، وبعدها قصرنا قليلاً من الشعر وخرجنا من الإحرام، إلا أننا كنا لا نزال محرومين من شم العطر لعدم اكتمال أعمال الحج.. لذلك تحركنا بعد منتصف الليل نحو مكة المكرمة تنفيذاً لاقتراح الدليل، وقمنا بأعمال الطواف والسعي والصلوة، وعدنا ثانية إلى منى.. في اليوم الثاني من بقائنا في منى، رمي الجمرات الثلاث برفقة السيد أحمد.

كانت أوضاعنا جيدة ومناسبة، حتى قبل الانطلاق نحو منى وعرفة، إلا أن الطقس في منى كان حاراً جداً، وبسبب قلة الإمكانيات الصحية والخدمية، فقد مرض حسن بشدة وأغمى عليه هناك، ولم يُقصّر الحاج المراافقون لنا، في تقديم أنواع المساعدة، ما أدى إلى تحسّن حالته قليلاً. وفي مكة ارتفعت حرارة حسن بشدة ومرض مرة أخرى، وبعد أن أعطيناه دواء خافضاً للحرارة، غطّ في نوم عميق أثار قلق السيدة أم أحمد كثيراً واحتضنته، فشعرت بخطورة حالته، فأخذته السيدة أم أحمد بسرعة إلى الدكتور كاشاني^(١)، وبعد أن فحصه الدكتور تبين أنه بسبب حساسيته الشديدة للدواء الذي أعطي له، ضعفت قواه وأغمى عليه، فكتب له دواء آخر حسن من حالته كثيراً.

كذلك، فقد ذهبنا في أحد الأيام التي تلت أيام التشريق، إلى غار حراء في قمة جبل النور الشاهق، وهو الغار الذي كان رسول الله محمد (ص) يأوي إليه لعبادة الله جلّ وعلا، وينقطع عن الناس هناك

(١) أخبرتنا (السيدة صديقة) - شقيقة السيد أحمد - التي كانت قد جاءت إلى الحج مع إحدى القوافل الإيرانية، أن الدكتور كاشاني وهو طبيب ماهر ومحبوب في مدينة قم المقدسة، موجود معهم في القافلة. وكنا قد اعتدنا أن نأخذ حسن إلى عيادته عند مرضه، وقد فرحا كثيراً عند سمعنا هذا النباء.

ليختلي مع نفسه وربه قبل نزول الوحي عليه، حاملاً أول آية من القرآن الكريم وهو ما يشهد عليه المصلون في صلاتهم اليومية.

كما ذهنا مع السيد أحمد في اليوم التالي إلى مقبرة أبي طالب (رضوان الله عليه) وزرنا مرقد السيدة أم المؤمنين خديجة (رضوان الله عليها)، هذه المرأة العظيمة التي آمنت برسالة زوجها النبي (ص) منذ نزول الوحي، وأعانته في أداء هذه الرسالة الكبرى الخالدة...

كذلك تجول السيد أحمد على عدد من مكتبات مكة المكرمة، ليطلع على أحدث الكتب المطبوعة في المجالات السياسية والعقائدية وغيرها.

في الأيام الأخيرة من وجودنا في مكة المكرمة، أُصِيبت أنا أيضاً، بحمى شديدة.. وانطلقنا إلى المدينة المنورة وأنا على هذه الحالة.

المدينة المنورة

في المدينة المنورة اجتنزا الأزمة الضيقية التي كانت تضم بيوت الأئمة (ع)، فالبعض منها تم تخريبه والبعض الآخر على وشك التخريب. وكانت مشاهدة تلك البيوت والأزقة أمراً رائعاً وجميلاً بالنسبة لي.

ساعات حالي الصحية بشدة في المدينة المنورة، ولم أتمكن من زيارة الحرم النبوي، ولكن في أحد الأيام وبعد إصرار السيد أحمد دخلت حرم رسول الله (ص) بصعوبة، فلم أكن أقوى حتى على السلام أو الوقوف والجلوس ولو للحظة واحدة.. راجعت الطبيب عبضاً مرات عدّة، ولم تتحسن صحتي أبداً إلى أن نصحني أحد الأطباء أن أغادر المدينة المنورة سريعاً، إلا أن عقبات عدّة كانت تحول دون ذلك، منها:

أن المسافة التي تفصل المدينة المنورة عن جدة كانت طويلة ويصعب علي أن أقطع هذه المسافة بتلك الحالة، بل وحتى لو قررنا الذهاب جواً إلى جدة، فإن شراء تذكرة طائرة في تلك الليلة كان صعب علينا. كما أن السيدة أم أحمد كانت تقول إنها لم تزر بعد المسجد النبوي الشريف والموقف الطاهر للرسول الكريم (ص) ولا تعرف هل توقف بالزيارة في فرصة أخرى في المستقبل أم لا؟!.. وأخيراً اقترحت السيدة أن تبقى هي في المدينة لفترة معينة ونحن نغادر إلى جدة ومنها إلى سوريا ومن ثم إيران، وقالت إننا بالتالي ستفترق في سوريا (لأنها كانت ستذهب إلى العراق من هناك). وكان هذا الاقتراح يواجه مشكلة واحدة فقط، وهي أننا سنحتاج إلى السيد ستاري عند مراجعتنا الطبيب في جدة، وكذلك السيدة أم أحمد تحتاجه أيضاً، إن مكثت وحدها في المدينة المنورة. ثم قالت السيدة: «سأذهب إلى بيت السيد لواساني^(١) وسيراقبكم السيد ستاري إلى جدة، وبعد أن يطمئن عليكم، يعود مرة أخرى إلى المدينة المنورة»، فتم قبول هذا الاقتراح.

استأجر السيد ستاري سيارة وأوصلنا إلى جدة، واستقرينا في أحد الفنادق. وبعد وصولنا جدة بحوالي نصف ساعة، شعرت بتحسن حالي الصحية ورغبي في النزول إلى الشارع وتناول الطعام. فاقترحت على السيد أمحمد أن نخرج معاً، فوافق بسرور على ذلك، وخرجنا أنا وأحمد

(١) آية الله السيد محمد لواساني من أصدقاء أسرتنا، وكان عنده بيت في المدينة المنورة وهو نجل آية الله السيد أحمد لواساني من علماء طهران الذي كان يقضي عدة أشهر من كل سنة في المدينة المنورة بالنيابة عن آية الله بروجردي لمساعدة السعوديين من الشيعة، وبعد وفاة السيد أحمد لواساني حل محله نجله السيد محمد في هذه المهمة.

وبقي حسن عند السيد ستاري في الفندق.. فخلال أيام المرض لم تكن لي رغبة في تناول الطعام. ذهبنا إلى أحد المطاعم وتناولنا الطعام هناك. وهكذا تحسنت صحتي قليلاً، وكانت هذه النزهة الثنائية جذابة كثيراً بالنسبة لي ولا تنسى أبداً، لأن مثل هذه الفرصة يندر أن تنسح أمامنا، سواء في إيران أو العراق.

لا زلت أتذكر أننا ذهبنا في إحدى المرات (برفقة السيد أحمد ووالدته) إلى مدينة أصفهان، وقد رغبت يومها، أن أتناول الطعام في المطعم هناك، ولكن أجواء المطعم آنذاك، لم تكن مناسبة لعلماء الدين، مما اضطر السيد أحمد أن ينزلني بالقرب من أحد المطاعم، وقال لي: «اذهبني وتناولني طعامك في المطعم وأجلب لي معك وجة طعام لأننا ولها في مكان آخر..». وهكذا غادرنا في اليوم التالي جدة جواً إلى دمشق.

دمشق

جريدة البرد القارص مرة أخرى في مطار دمشق بسبب تساقط الثلوج الكثيف، وتجمعت على الأرض. وكان السيد أحمد يرغب أن ننتقل جواً من دمشق إلى بيروت حتى نراجع الطبيب هناك، لأنني كنت لا أزال أعاني من الحمى، إلا أنني لم أقبل بالفكرة، وكانت أرغب أن نذهب إلى نفس البيت ونأخذ الحقيقة وبباقي أمتعتنا وننطلق عبر الحدود البرية إلى بيروت.

وخلال ذلك عرفنا أن الطريق بين دمشق وبيروت مغلقة بسبب تساقط الثلوج الكثيف والبرد الشديد، لذا أجلينا سفرنا حتى يفتح الطريق.. وقد قضينا الليلة الأولى بصعوبة في دمشق، بسبب البرد الشديد

وقلة إمكانيات التدفئة المتوفرة وتقنيات النفط المستخدم للتدفئة، إثر حرب تشنين^(١) بين العرب وإسرائيل.

إن أزمة النفط التي شهدناها في دمشق ذكرتني بما قاله أخي صادق حول القرار الذي اتخذته الدول العربية بقيادة الملك السعودي خالد بن عبد العزيز خلال حرب تشنين عام ١٩٧٣، بمنع تصدير النفط إلى الأوروبيين بسبب دعمهم لإسرائيل، مما أدى إلى تأثير الاقتصاد الأوروبي بذلك، وكان يقول: «محطات البنزين لم تتمكن من توفير حاجات الناس من البنزين، وتحولت الطرقات السريعة إلى ملاعب كرة القدم بسبب قلة السيارات التي تسير عليها.. يومها كسر شاه إيران هذه المقاطعة الاقتصادية وضاعف من صادراته النفطية لأوروبا للتعويض عن أزمة النفط هناك».

قضينا عدة أيام في دمشق ننتظر فتح الطريق إلى بيروت، وكنا نسأل صاحب البيت عن ذلك، واستمررنا على هذه الحالة لأسبوع تقريباً.. وخلال تلك الأيام تعرفت على عدد من الزائرات القادمات من إيران من خلال الالتقاء بهن في المطبخ المشتركة للبيت. وقد طلبن مني في أحد الأيام أن أرافقهن للتسوق، بعد أن شاهدوني أتحدث بالعربية مع صاحب البيت، ففرح السيد أحمد لتحسين حالي واستعدادي للخروج معهن،

(١) اندلعت هذه الحرب في ٦ تشنين الأول عام ١٩٧٣ المصادف للثامن من شهر رمضان ١٣٩٣ هـ. ق بهجوم شنه الجيشان المصري والسوسي ضد إسرائيل، واستغرقت الحرب حوالي ثلاثة أسابيع حيث حقق العرب في البدء الانتصارات إلا أن التدخل الأميركي ودعمه لإسرائيل، قلب الموازين واحتلت إسرائيل الجولان؛ وقد أصدر الإمام بياناً بهذه المناسبة.. يمكن مراجعة الهاشم ١٤ في نهاية الفصل.

فوافق أن يبقى مع حسن لعدة ساعات في البيت وأخرج معهـنـا إلى السوق.

رافقت الزائرات إلى السوق وتجولنا عدة ساعات، وساعدتهـنـ في شراء الأقمشة وبعض الحاجات الأخرى، وكانت تجربة موفقة حيث عـدـنا إلى البيت عـصـراً.

وبعد أن أخـبـرـنا بفتح طريق بيـرـوـتـ، استأجرـنا سيـارـةـ صغيرةـ وانطلـقـنا نحو بيـرـوـتـ إلى بـيـتـ خـالـيـ الإمام مـوسـىـ الصـدرـ.

ومـاـ أنـ رـأـىـ أـحـمـدـ خـالـيـ (الإـمـامـ الصـدرـ)ـ قالـ لهـ: «أـسـلـمـكـ بـنـتـ اـخـتـكـ سـالـمـةـ بـعـدـ أـنـ قـضـيـنـاـ أـيـامـاـ صـعـبـةـ فـيـ هـذـهـ الرـحـلـةـ».. سـأـلـ خـالـيـ: «لـمـاـذـاـ»؟ فـشـرـحـ أـحـمـدـ لـهـ تـفـاصـيلـ مـرـضـيـ، وـقـالـ لهـ: «حـقـاـ كـنـتـ أـعـدـ السـاعـاتـ وـالـأـيـامـ حـتـىـ أـوـصـلـهـ إـلـيـكـمـ».. وـأـضـافـ يـقـولـ: «أـخـبـرـنـيـ الطـبـيـبـ بـعـدـ فـحـصـهـاـ، أـنـهـاـ قـدـ تـمـوتـ إـنـ لـمـ تـغـادـرـواـ المـدـيـنـةـ.. وـقـدـ خـفـتـ كـثـيرـاـ عـلـيـهـاـ بـعـدـ أـنـ رـأـيـتـ حـالـاتـ مـشـابـهـةـ، وـوـفـاةـ عـدـدـ مـنـ الـحـجـاجـ بـسـبـبـ إـصـابـتـهـمـ بـالـحـمـىـ!.. وـدـعـوتـ اللهـ أـنـ لـاـ يـوـفـقـنـيـ مـرـةـ أـخـرـىـ إـلـىـ الـحـجـ بـهـذاـ الشـكـلـ»!.. بـعـدـ أـنـ أـصـغـىـ إـلـيـهـ خـالـيـ، قـالـ لهـ: «يـبـدوـ أـنـكـ كـنـتـ مـريـضاـ أـكـثـرـ مـنـهـاـ».

وـفـيـ نـفـسـ الـيـوـمـ زـارـنـاـ الـدـكـتـورـ مـصـطـفـيـ شـمـرانـ وـطـلـبـ مـنـهـ خـالـيـ أـنـ يـأـخـذـ أـحـمـدـ مـعـهـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ صـورـ لـيـسـتـرـيـعـ قـلـيلـاـ هـنـاكـ، وـبـقـيـتـ فـيـ بـيـتـ خـالـيـ حـيـثـ تـمـ اـسـتـدـعـاءـ أـحـدـ الـأـطـبـاءـ الـأـصـدـقاءـ، وـأـعـطـانـيـ دـوـاءـاـ شـفـيـعـاـ عـلـىـ إـثـرـهـ.. وـبـدـأـنـاـ حـيـنـهـاـ التـفـكـيرـ بـالـعـودـةـ إـلـىـ إـيـرـانـ.

الهوامش

١ - محمد متظري: نجل آية الله حسين علي متظري، من مواليد مدينة نجف آباد بمحافظة أصفهان عام ١٩٤٤، وكان يزاول مهنة الزراعة تزامناً مع تحصيله العلمي الديني.. بعد إنتهاء المرحلة الابتدائية وبسبب حبه الشديد للإمام، ومن أجل لقاء سماحته، سافر إلى مدينة قم والتحق بالحوزة العلمية الدينية في هذه المدينة. وسرعان ما نال الدرجات العلمية العالية بسبب ذكائه الحاد ووعيه العميق. وكان ينظر للحوزة العلمية بأنها ساحة مناسبة لمقارعة اللاعدالة والظلم الذي تميز به نظام الشاه البائد. لذلك، فإنه كان يدرس الاقتصاد الإسلامي إلى جانب دراسته للعلوم الحوزوية. كذلك كان يدرس في الحوزة العلمية ويحضر الطلبة دروسه بأعداد كبيرة. وكان من خلال خطاباته يسعى إلى توعية الجماهير وتعريفهم أكثر بظلم وجور الشاه البائد إلى أن اعتقل في العام ١٩٦٦ بينما كان يوزع أحد بيانات الإمام الثورية وألقى في السجن ومكث فيه ثلاثة سنوات متحملاً أقسى أنواع التعذيب من قبل زبانية الأمن (السافاك). وبعد إطلاق سراحه، واصل نشاطاته المعادية للسافاك وبباقي قوى النظام البائد، واستطاع في العام ١٩٧١ أن يهرب من أيدي رجال الأمن ويعادر إلى الخارج.

أقام خلال وجوده في الخارج علاقات جيدة مع مختلف الحركات

التحررية مؤكداً حضوره الفاعل في المخيمات والمعسكرات التدريبية. كان الشيخ محمد منتظرى يعتقد بضرورة إزالة الحدود القومية والعنصرية والجغرافية بين المسلمين، وبالتالي تأسيس الأمة الإسلامية الواحدة. بعد ذلك غادر إلى النجف الأشرف واستقر هناك وحضر دروس الإمام الخميني (رض) ولكن بعد فترة غادر النجف.

نظم الشيخ منتظرى إضراباً واسعاً عن الطعام في إحدى كنائس باريس الكبرى ليلفت أنظار الناس إلى ما يجري في إيران من جرائم على يد أزلام الشاه.. وقد وصلت أخبار ذلك الإضراب إلى إيران، مما دفع أهالي طهران إلى تنظيم تجمع جماهيري كبير في تشرين الأول ١٩٧٧ في صحن السيد عبد العظيم الحسني بمدينة «ري» معلين وجوب عودة الإمام الخميني إلى إيران.

بعد انتصار الثورة الإسلامية عاد الشيخ محمد منتظرى إلى إيران وشارك في أول انتخابات برلمانية وفاز فيها نائباً عن مدينة نجف آباد في مجلس الشورى الإسلامي.. واستشهد في الانفجار الكبير الذي نفذه المنافقون في مقر الحزب الجمهوري الإسلامي بطهران بتاريخ ٢٧/٧/١٩٨١.

٢ - تبلغ مساحة سجادة بهارستان حوالي ٩٠٠ متراً مربعاً، وتصور بستانًا واسعاً رائعاً في الجمال. أرضية السجادة ذهبية اللون رسمت عليها الأنهر والقنوات والممرات المرصعة بالمجوهرات مثل الياقوت واللؤلؤ. كما أن الأشجار تحمل أوراقاً من الحرير، والأغصان من الذهب والفضة، والفاواكه من مختلف أنواع المجوهرات والدرر الثمينة التي كانت موجودة في العالم آنذاك.

أطراف السجادة تمت حياكتها بشكل أرضية مزرعة خضراء استخدم

فيها الزمرد. وقد اعتاد الملوك الساسانيون خلال الشتاء، أن ينظروا إلى هذه السجادة عندما كانت تخلو الحقول من الأعشاب والأزهار. وكانت هذه السجادة يحتفظ بها في خزانة الملوك الخاصة في المداين، ولأنها كانت ثقيلة الوزن، فلم يتمكن الإيرانيون من حملها معهم، فوُقعت بيد المسلمين العرب وتم تقسيمها بين المسلمين خلال الفتح الإسلامي في العام ١١ للهجرة.

٣ - الحاج الشيخ نصر الله خلخالي: كان يزاول مهنة التجارة تزامناً مع تحصيله العلمي الديني في النجف الأشرف، وهو معروف بثرائه؛ ولأنه طبقاً للقانون العراقي، لا يحق لغير المواطنين العراقيين امتلاك الأراضي، فإن أكثر أملاك الإيرانيين تم تسجيلها باسم السيد خلخالي. كما أن الشؤون المالية لكتاب المراجع مثل آية الله العظمى البروجردي والحكيم والخوانساري، كانت لسنوات طويلة تحت إشراف الشيخ خلخالي، وكان نفس الأمر بالنسبة لمرجعية الإمام الخميني (رض) فيما بعد. وكان نشاطه يراقب من قبل عمالء السافاك في العراق.

الشيخ خلخالي كان من أنصار الإمام الخميني، وهو يتحمل مسؤولية إدارة مدرسة آية الله بروجردي في النجف الأشرف وكرباء. وقد نفاه النظام العراقي البائد لفترة إلى لبنان وسوريا.

وقد توفي في العام ١٩٧٧ في سوريا ونقل جثمانه إلى العراق ودفن في إحدى المقابر داخل الصحن الشريف للإمام علي (ع)، وقد شارك الإمام الخميني في مراسم تشيعه وفي مجلس العزاء الذي أقيم له في النجف الأشرف.

٤ - نقل هنا مقتطفات من خطاب الإمام الخميني الذي ألقاء بتاريخ

١١/٢٤/١٩٦٤ ضد المصادقة على لائحة الكابيتولاسيون (منح
العصابة القضائية للمستشارين الأميركيين في إيران) وإعلانه الحداد
العام:

(... إيران ليس لها عيد بعد اليوم، لقد حولوا عيد إيران إلى عزاء،
واحتفلوا بذلك ورقصوا بشكل جماعي.. لقد باعونا، وباععوا استقلالنا،
وأضاؤوا الطرق احتفاءً بذلك. أجل، فقد استهدفوا عزتنا وأبادوا عظمة
إيران... لقد تعاملوا مع الشعب الإيراني على أنه أسوأ من الكلاب
الأميركية. ماذا نعمل بهذه المصيبة؟) وأضاف يقول: (أيها السيد، إعلن
حالة الخطر! أيها الجيش الإيراني، إعلن حالة الخطر!).

(صحيفة الإمام: ج ١ ص ٤١٥ و ٤١٨).).

ثم خاطب سماحته السياسيين والتجار ومراجع النجف وطهران
وشيراز قائلاً: (اعلموا أنهم خططوا لنا الكثير وسينفذون ذلك وأقسموا
على ذلك. مذنب من لا يصرخ بوجههم).

(نفس المصدر/ ص ٤١٩ و ٤٢٠).

وفي نفس الخطاب يعلن الإمام بكل حسم ويقول: (إن أميركا
أسوأ من بريطانيا، وبريطانيا أسوأ من أميركا، والاتحاد السوفيتي أسوأ
من كليهما).

(نفس المصدر: ص ٤٢٠).

ويذكر سماحته ويقول: (...إن جميع مشاكلنا هي بسبب أميركا!
وإن جميع مشاكلنا هي بسبب إسرائيل).

(نفس المصدر: ص ٢٤٦).

(إننا لانعترف بهذا القانون الذي وضعوه بأنفسهم، كما أننا لا

نعرف بهذا المجلس ولا بهذه الحكومة. إنهم خونة بحق إيران! نعم خونة!).

(نفس المصدر: ص ٤٢٦).

انتهى الخطاب دون حدوث أي اشتباك، وتم نسخ الخطاب وتوزيعه في أكثر مناطق إيران. ولكن في منتصف تلك الليلة ألقى القبض على الإمام الخميني من قبل السافاك وشرطة قم، ونقلوه إلى مطار مهرآباد بطهران، وتم نفيه مباشرة إلى تركية. وفي اليوم التالي أعلن السافاك أنه تم نفي السيد الخميني من إيران.

٥ - كتب الإمام الخميني أجزاءً من كتاب (تحرير الوسيلة) عندما كان في مدينة قم المقدسة، وقام بتكميله في تركية. وعند سماحته في هذا الكتاب، إلى إصدار الأحكام المرتبطة بالجهاد والدفاع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي من الأمور التي كانت منسية آنذاك. حول سبب تسمية الكتاب بـ (تحرير الوسيلة) يقول آية الله السيد محمد بنجوردي: «عندما جاء الإمام للقاء أبي (آية الله السيد ميرزا حسن موسوي بنجوردي) في النجف الأشرف، سأله أبي: هل أنجزتم أعمالاً علمية في تركية؟» أجاب الإمام: «أجل، أضفت تعليقاتي على نص كتاب الوسيلة لآية الله السيد أبو الحسن أصفهاني». فسأله أبي: «وماذا أسميتها؟» قال الإمام: «لم أفكر بالاسم حتى الآن»، فاقتصرت أبي على الإمام إسمًا للكتاب قائلاً: «يمكن أن تسميه (تحرير الوسيلة) مثلما هو عليه كتاب (تحرير أقليدس) حتى يبقى هذا الكتاب حياً وخالداً».

٦ - بعد عدة سنوات من وصول الإمام ونجله الحاج السيد مصطفى إلى العراق، أرسل المسؤولون العراقيون سيارة فيها عدد من رجال

الأمن إلى منزل السيد مصطفى في النجف الأشرف واصطحبوه إلى مكتب رئيس الجمهورية العراقية أحمد حسن البكر حيث تباحثا لعدة ساعات حول مختلف الشؤون، ثم أعادوه إلى منزله. وقد قلق عليه الأخوة بشدة بسبب طول فترة اللقاء حيث اعتبر هذا اللقاء فرصة جيدة ليتعرف المسؤولون العراقيون عن كثب على شخصية السيد مصطفى نجل الإمام. بعد هذا اللقاء سافر السيد مصطفى إلى مدينة كربلاء المقدسة والتقى آية الله السيد محمد الشيرازي ونصحه بمعادرة العراق، لأنه شعر خلال لقائه البكر أن حياته معرضة للخطر، فغادر الآخوان الشيرازي العراق إلى سوريا، وبعدها انتقل آية الله السيد محمد الشيرازي إلى الكويت. واستقر السيد حسن الشيرازي في بيروت حيث لم يسلم من مؤامرات الحكومة البعثية العراقية، واستشهد هناك على يد أزلام البعث العراقي في نيسان ١٩٨٠.

٧ - ولد آية الله العظمى ميرزا حسن موسوي بجنوردي عام ١٣١٠ هـ. ق في إحدى قرى بجنورد وكان من نوابع علماء الشيعة، وقد عرف بنزاهته وتقواه وحفظه للقرآن الكريم وأنسه الشديد بنهج البلاغة والصحيفة السجادية. من الأحداث العجيبة التي شهدتها في حياته، اعتقال نجله السيد كاظم بجنوردي زعيم حزب (ملل إسلام) والذي يشغل حالياً منصب (مدير مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى) بتهمة نضاله المسلح ضد نظام الشاه البائد في إيران وصدر حكم الإعدام بحقه من قبل إحدى المحاكم العسكرية. حيث سعى العديد من علماء النجف الأشرف وإيران، حتى لا ينفذ هذا الحكم بحق السيد كاظم، ومنها الطلب من والده أن يكتب رسالة إلى الشاه يطالبه فيها إلغاء هذا الحكم، إلا أنه أعلن: أنه غير مستعد أن يكتب رسالة إلى هذا الخبيث.

وعندما وصل الإمام الخميني من تركية إلى منفاه الثاني النجف الأشرف، حث العديد من العلماء ومنهم آية الله العظمى السيد حسن بجنوردي، الإمام على بدء التدريس هناك. وكان الهدف من ذلك إثبات بطلان ادعاء السافاك في أن الإمام هو عالم سياسي وليس مرجع تقليد. بالطبع، فإن السافاك لم ينس له هذه المبادرة حيث طلب من الحكومة العراقية أن يضيقوا عليه ويخلقوا المشاكل أمامه، منها عدم تمديد إقامته في العراق. إلا أن هذه المشكلة حلّت بعد تدخل السيد موسى حفيد السيد أبو الحسن أصفهاني مرجع تقليد الشيعة في العالم آنذاك.

من مؤلفات السيد بجنوردي نذكر الآتي:

- متهى الأصول، دورة كاملة في أصول الفقه.
- القواعد الفقهية، سبعة مجلدات.
- تعليقة على (العروة الوثقى).
- تعليقة على (وسيلة النجاة).
- قولنا في الحكم (تعليق على أسفار ملا صدرا).

وقد توفي بالتزامن مع ذكرى مولد السيدة فاطمة الزهراء (ع) عام ١٩٧٣م.

٨ - مؤلفات الإمام الخميني (رض):

- شرح دعاء السحر.
- التعليقة على الفوائد الرضوية.
- شرح حديث جنود العقل والجهل.
- مصباح الهدایة إلى الخلافة والولاية.

- تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس.
- شرح الأربعون حديثاً.
- سر الصلاة.
- آداب الصلاة.
- رسالة لقاء الله.
- كشف الأسرار.
- أنوار الهدایة في التعليقة على الكفاية، (مجلدان).
- بدائع الدرر في قاعدة نفي الضرر.
- الاستصحاب.
- التعادل والتراجح.
- الاجتهاد والتقليد.
- مناهج الوصول إلى علم الأصول، (مجلدان).
- الطلب والإرادة.
- رسالة في التقىة.
- رسالة في قاعدة من ملك شيئاً ملك الإقرار به.
- رسالة في تعين الفجر في الليالي المقممة.
- فروع العلم الإجمالي.
- موضوع علم الأصول.
- تنزيل العلل التشريعية على التكوينية.
- كتاب الطهارة، (٤ مجلدات).
- تعليقة على العروة الوثقى.
- المكاسب المحرمة، (مجلدان).

- تعليقة على وسيلة النجاة.
- رسالة نجاة العباد.
- حاشية على رسالة الإرث.
- لمحات الأصول.
- رسالة توضيح المسائل.
- تحرير الوسيلة، (مجلدان).
- كتاب البيع، (٥ مجلدات).
- الخلل في الصلاة.
- الحكومة الإسلامية أو ولاية الفقيه.
- الجهاد الأكبر أو جهاد النفس.
- تفسير سورة الحمد.
- ديوان شعر.

فضلاً عن مؤلفات عديدة أخرى منها :

- تقارير الدروس.
 - الاستفتاءات.
 - مجموعة الرسائل واللقاءات والأحكام والخطابات.
- ٩ - مدرسة أحمديّة: حين اشغالني بتأليف هذا الكتاب التقيت بالحاج السيد أحمد مستوفي (ابن شقيقة الإمام) حيث تحدث لي حول هذه المدرسة قائلاً: «بعد انتصار الحركة الدستورية وتقلد السلطان أحمد شاه منصبه الملكي، تم تأسيس عدد من المدارس في بعض المدن الإيرانية باسم (مدرسة أحمديّة)، ومنها مدينة خمين حيث شيد لها عدد من الأبرار وأهل الخير. وكانت هذه المدارس تدار بأسلوب

إدارة المدارس الأروبية من حيث استخدام الطاولات والمقاعد والكراسي ولوحات الكتابة في الصفوف، وبعد فترة تم تعيين ثلاثة أساتذة من طهران وقم المقدسة وخرمین، لتدريس الأدب واللغة الفرنسية والمحاسبة، إلا أن المدرسة عُطلت بعد فترة من الزمن بسبب نقص الإمكانيات المالية. وتوزع طلابها حسب عمرهم ومستواهم العلمي والدراسي، على المدن القريبة لمواصلة دراستهم مثل اراك واصفهان وطهران. وقد درس الإمام الخميني في مدرسة أحمدية. بعد إغلاق المدرسة بقي الإمام الخميني في مدينة خمين بسبب صغر سنّه، وواصل دراسته عند خاله (آقا ميرزا محمد مهدي) و(آقا رضا نجفي) وشقيقه الأكبر السيد بستنديدة، قبل أن ينتقل إلى اراك ليواصل دراسته في الحوزة العلمية الدينية في المدينة. وكانت أغلب أسر طلاب مدرسة أحمدية من المتمكّنين مالياً.

١٠ - تزوجت السيدة (صاحب خانم) عمّة الإمام من السيد شكر الله سرلکي من أعيان سرلک. وبعده تزوجت من السيد آخوند ملا محمد جواد (عم هاجر آغا أم الإمام) ؛ ولم ترزق بالأبناء. وبعد استشهاد شقيقها ذهبت إلى طهران للقصاص من قاتل شقيقها (والد الإمام) بمساعدة السيد محمد كمره اي، وبالتالي تطهير خمين من الأشرار، لذلك استأجرت بيتاً في العاصمة واستقرت هناك. وبعد استقرارها في طهران أرسلت السيدین بستنديدة وهندي (شقيقی الإمام) إلى أحد الكتاتيب الذي كان يُدار بأسلوب حديث، وانشغلت هي في متابعة المهمة التي جاءت من أجلها، إلى أن التقت في أحد الأيام مع الصدر الأعظم في بستان (عين الدولة) وخاطبته قائلة: «سبقى هنا حتى نقتض من قاتل شقيقی». وبعد عدة أيام التقت مع محمد علي ميرزا - الذي كان ينوب عن والده

مظفر الدين شاه الذي كان قد سافر إلى الخارج في إدارة البلاد - في قصر (كلستان) وبالتالي أخذت حكم قصاص القاتل، وبعد تنفيذ هذا الحكم عادت إلى مدينة خمين.

١١ - سمعت الكثير عن السيد أحمد جد الإمام الخميني، فمثلاً أنه كان معروفاً بأدائه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان والده معروفاً بـ (دين علي شاه) وتعرف على يوسف خان كمره أبي في النجف الأشرف. وتوجه لمدينة خمين تلبية لدعوة السيد كمره أبي وجمع من الزائرين، لإشاعة الدين الإسلامي ونشر الأحكام الإسلامية هناك.

ويعتقد الحاج آقا أحمد خان مستوفى أن جد الإمام (دين علي شاه) كان من العرافاء السادة الشيعة الاثنا عشرية وهذا اللقب هو يعبر عن طريقته العرفانية. تزوج السيد أحمد بنتاً من مدينة كلبايكان باسم شيرين وبعدها مع بنت من خمين اسمها «بي بي جان خانم» وفي العام ١٣٥٧ هـ. ق تزوج «السيدة سكينة خانم» بنت السيد محمد حسين بيك فرفاهاش شقيقة يوسف خان. وكان مهر جدة الإمام «السيدة سكينة خانم» يبلغ عشرين تومان نقداً و ١٥ مثقال من الذهب بقيمة عشرين تومان ومقادير من الأدوات النحاسية ومفروشات وأجزاء من أملاك متفرقة في خمين.

يقول البعض إن السيد أحمد كان من طائفه مير حامد حسين هندي مؤلف كتاب (عقبات الأنوار)، إلا أن السيد بسنديدة لا يعتقد بوجود أي دليل لإثبات ذلك، كما أن السيد مستوفى يؤيده في ذلك.. يقول السيد مستوفى طبقاً لوثائق لديه إن السيد أحمد بعد مرور حوالي ١٢ سنة من حضوره في خمين، اشتري من محسن خان أرضاً مساحتها ٥٠٠٠ مترأ مربعاً. وخصص جزء منها كمهر لزوجته (سكينة خانم) وتم تشييد عدة منازل على هذه الأرض تتخللها حقول ورياض، ومحاطة بجدران مرتفعة

ويرج للرصد، وأصبحت منذ العام ١٢٥٥ هـ ق محل لسكن جميع أفراد أسرة السيد أحمد والسيد مصطفى.

وكتب وصيته قبل وفاته، وقسم فيها أملاكه بين أبنائه مع الاحتفاظ بجزء منها لطفله الذي قد يولد بعد وفاته، على أن يصرف هذا المبلغ للأعمال الخيرية إن لم يولد له ذلك. يقول السيد مستوفى: كان السيد أحمد من المقربين لدى حكومة محمد علي شاه الذي كان معروفاً بمليوله العرفانية وأصدر له أمراً بذلك في شهر صفر عام ١٢٥١ هـ. ق وأمراً آخر بتاريخ محرم ١٢٥٧ هـ. ق.

١٢ - أشار آية الله السيد بستنديدة في مذكراته، إلى سبب التفاوت الموجود بين ألقاب الإمام وأشقاءه قائلاً: «في عام ١٩٢٥ راجعنا أحد موظفي دائرة الأحصاء والأحوال المدنية في بيتنا وطلب منا أن ننتخب لقباً لنا لم يتكرر من قبل. فأردنا أن يكون ذلك متناسباً مع اسم والدنا السيد مصطفى ليصبح (مصطفى) فرفضوا ذلك. لذلك انتخبت لقب (هندي)، ولأن هذا اللقب يضم فيه التبعية للأنجليز فطلبوا أن نغيره، فانتخبت لقب (أحمدى) وهو لقب خالنا، ورفضوا ذلك لأنه لقب عربي، فكتبت عدة ألقاب فارسية وبعثتها إلى طهران فانتخبو لي لقب (بستانديدة) وبقي أخي الآخر محتفظاً بلقب (هندي) وحافظ الإمام على لقبه الأول (مصطفى) لذلك أصبحنا نحن الأشقاء الثلاثة كل منا يحمل لقباً مختلفاً عن الآخر.

١٣ - تم تكليف السادة ناصري، الشيخ مرتضى نيكنام، السيد باقر موسوي، علي حكمت، محمد حكمت، السيد هاشم دستغيب نجل آية الله الشهيد دستغيب ومحمد حسن شريعتي في العام ١٩٧٠م، بمهمة نقل نداء الإمام الخميني إلى حاج بيت الله

الحرام الإيرانيين وغير الإيرانيين، من أنصار ومقلدي سماحته، وسافروا إلى السعودية من أجل ذلك؛ وقد تم اعتقال آية الله ناصري وسجن لمدة سنتين. وفي العام ١٩٧٢م لجأ عدد من أصدقائه إلى أحد علماء النجف الأشرف هو الحاج الشيخ علي كاشف الغطاء (من أحفاد العلامة كاشف الغطاء) الذي كان عازماً على السفر للتشريف ببيت الله الحرام ضيفاً على آل سعود، ليتوسط لدى المسؤولين السعوديين لإطلاق سراح الشيخ ناصرى من السجن. وقد تم ذلك بعد توسطه لديهم. وعاد إلى النجف الأشرف. كذلك تم اعتقال السيد علي أكبر محتشمى عندما كان يوزع النداء مع زوجته السيدة «فاطمة خضرى»، إلا أنه هرب من أيديهم لفراسته وحنكته. كما أن زوجته الحامل، هربت بصعوبة منهم.

١٤ - تزامناً مع حرب رمضان عام ١٩٧٣ (حرب تشرين)، أصدر الإمام الخميني من النجف الأشرف ثلاثة نداءات خلال أيام ٦ و ٧ و ١٢ / ١٠ / ١٩٧٣م، إلى مسلمي العالم دعاهم فيها إلى التوكل على الله والتمسك بالقرآن الكريم والوقوف إلى جانب القوات التي تدافع عن أرض فلسطين وأن لا يبخلوا بأرواحهم وأموالهم في سبيل الدفاع عن فلسطين، داعياً رؤساء الدول الإسلامية وكل المسلمين، لتوجيه ضرباتهم ضد المصالح الأمريكية.

وجاء في النداء مخاطباً الشعب الإيراني المسلم قائلاً :

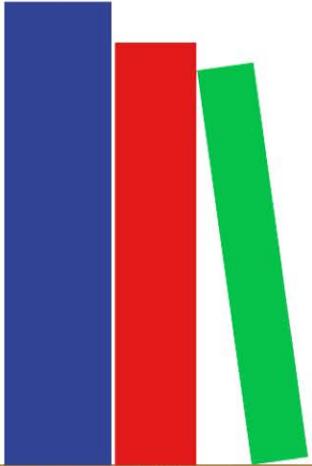
(إن شاه إيران هو الذي جعل الأيدي الإسرائيلية حرّة في أنحاء إيران وعرض الاقتصاد الإيراني للخطر، وكما ذكرت بعض الصحف الأجنبية، فإنه أرسل الضباط الإيرانيين ليتدرّبوا في إسرائيل. أجل إن شاه إيران هو الذي منح النفط الإيراني لأعداء الإسلام والإنسانية ليستخدموه

في حربهم ضد المسلمين والعرب الغيارى. وهو الذي أوجد الغلاء في المجتمع الإيرانى، مما أدى إلى ارتفاع تكاليف الحياة والمعيشة وجعل إيران مهددة ب مختلف الأزمات. وأنا أخشى من أن يقدم الأسلحة التي اشتراها من أسياده الظالمين بمليارات الدولارات إلى إسرائيل لتوجه إلى صدور المجاهدين المسلمين. لذا، فإن واجب العلماء الأعلام والمبلغين، أن يحذروا الناس من الجرائم الإسرائيلية في خطبهم في المساجد والأوساط الدينية).

(صحيفة الإمام: ج ٣ ص ٦ - ٧)

الفصل الخامس

المتميزون



مكتبة مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
(إمام الصادق (ع))

العودة إلى الوطن

بعد سبعة أشهر من فراق الوطن، غادرنا لبنان باتجاه إيران.. حطت طائرتنا في مطار مهراباد بطهران حوالي منتصف الليل وذلك بتاريخ ١٤/٢/١٩٧٤م. استأجرنا سيارة من المطار إلى مدينة قم وذهبنا إلى منزل والدي، حيث انقطعت أخبارهم عناً منذ مغادرتنا العراق لأن الاتصال كان صعباً للغاية في تلك السنوات.

لم نكن نعرف بالضبط كيف جرت الأمور معهم في تلك الأيام، فطرقنا الباب بقلق، فتحت والدتي الباب، وما أن وقعت عينها علينا أجهشت بالبكاء وذرفت دموع الفرح وهي تبكي بصوت مرتفع وقالت: «كDNA أن نموت بسبب انقطاع أخباركم، فقد جاءنا مرة أحد المسافرين الذي كان قد رأكم في مكة المكرمة، وقال لنا: «لقد رأيتم مرأة واحدة في (مني) حينما كان حسن مغمى عليه وكتتم تضعون الثلاج على رأسه». وقال لنا آخر: «رأيت السيد أحمد في (المدينة المنورة) وهو يساعد زوجته المنهكة وهما متوجهان نحو الحرم النبوي الشريف».. وهكذا مرت علينا تلك الأيام الصعبة ونحن نستقبل مثل هذه الأخبار المؤلمة والمحبطة».

دخلنا غرفة والدي الذي استقبلنا بحرارة ودموعه تتلاألأ على وجنتيه واحتضنا بحفاوة وقلنا.. وهكذا انتهت رحلة الحج.

بعد عدة أيام من وصولنا والانتهاء من استقبال ضيوفنا ومقربينا،

بدأنا نفكك بكيفية تسديد القرض الذي أخذناه من سماحة الإمام، وقد وفقنا والله الحمد في جمع المبلغ اللازم وتقديمه خلال فترة قصيرة للسيد بستنديدة (وكيل سماحة الإمام).

بعد فترة حان وقت امتحانات الثلث الثالث من السنة الدراسية، حيث كنت قد امتحنت الثلثين الأول والثاني للصف الثالث المتوسط في العام الماضي، قبل رحلتنا إلى العراق، وكانت أظن أنني سأعود سريعاً من النجف الأشرف لأداء امتحانات الثلث الثالث، إلا أن التقدير كان غير ما توقعنا حيث أُدْيَت امتحانات الثلث الثالث بعد عام واحد من الموعود المقرر.

وعندما ذهبت إلى المدرسة لاستلام نتيجة الامتحان، وقفت أمام قائمة أسماء الناجحين بكل سرور وغرور، وبدأت في البحث عن اسمي في القائمة، فلم أجده.. استغربت ذلك، وبدأت البحث عن اسمي بكل قلق ورهبة في قائمة الراسبين ولم أجده هناك كذلك. وبعد أن تحطم غروري وتکبّري إثر ذلك، اتجهت نحو مكتب مدير المدرسة وعيوني مغروقة بالدموع، وكانت المديرة السيدة «قدس كاظمي» تعرفي جيداً. فعندما رأتهني بتلك الحالة سألتني بكل دهشة: «الماذا تبكين؟؟»، أجبتها: «لا أصدق أنني قد رسبت في الامتحان».. فقالت: «كلا يا عزيزتي، لا داعي للقلق! لأن تلك القائمة تضم أسماء طالبات المدرسة الرسمية، بينما أنت امتحنت ضمن مجموعة الطالبات من خارج المدرسة، فإن اسمك موجود ضمن قائمة أخرى، وقد نجحت بدرجة جيدة».

بعد انتهاء العطلة وكسب موافقة السيد أحمد، قررت التسجيل في الدروس المسائية لأواصل دراستي.

مخالفة التقاليد

رغم أن الأجواء الثقافية - الاجتماعية السائدة في مدينة قُم، آنذاك، كانت قد تغيرت عما كانت عليه في السابق، إلا أن الخطوة التي أقدمت عليها تعتبر نوعاً من مخالفة التقاليد السائدة بنظر بعض المقربين، حيث كان أحد أصدقاء السيد أحمد يكرر القول بأنه ليس من اللائق بالنسبة للإمام أن تحضر كته مثل هذه الدروس، لأن أكثر الدروس كانت تقدم من قبل المعلمين الرجال، وأغلب البنات لم تكن تراعي الشؤون الإسلامية. وكان هذا الشخص يصر كثيراً على رأيه ويحاول أن يقنع الآخرين به، مما دعا السيد أحمد أن يقول له في إحدى المرات: «لماذا هذا الإصرار منك؟ وما علاقتك بهذه القضية أصلاً؟». وأضاف قائلاً له: «لا يمكنني أن أقنع زوجتي أن لا تقوم بذلك».

وهكذا كنت أحضر الدروس عصر كل يوم بعد أن أترك حسن عند السيدة «سكينة سلطان»، وعندما كانت تعذر عن ذلك لسبب ما، كنت أترك حسن في بيت والدي وأطلب من والدتي أن لا تخبر أحداً عن ذهابي للمدرسة قدر الإمكان خشية أن يزداد عدد المعارضين على ذلك. وفي أحد الأيام حينما كنت أوصي والدتي بذلك خاطبني بعصبية: «إن كان ما تقومين به أمراً سيئاً فلماذا إذن تذهبين للمدرسة؟ وإن كان جيداً اتركي الآخرين يعرفوا ذلك!!». وبينما كنا منشغلين في الجدال والحوار حول الموضوع، تدخل والدي كالعادة وتوسط وانتهى الأمر بخير.

تعرفت في الدرس على سيدة لم تكن تشبهني أبداً من الناحية الثقافية والالتزام بظواهر الشريعة الإسلامية.. حيث كانت قد تربت في أسرة غير متدينة بينما كنت مرتبطة بأسرة متدينة وعلمائية.. وكانت حواراتنا في البدء تدور حول مشكلات الدروس، وقد اختارتني من بين

الجميع لتحدث معي وتجلس بجانبي ، وكنا نجلس معاً خلف طاولة دراسية واحدة.. ومن خصائص هذه السيدة الإيجابية والجيدة، أنها لم تكن تتدخل في القضايا المرتبطة بحياتي الخاصة وأسرتي ولم تكن ترغب في الخوض في مثل هذه الأمور، وبدوري كنت أشعر معها براحة لأنني لم أكن أرغب في أن يتعرف على الآخرون.

كانت هذه السيدة تأتي إلى الصف غالباً بشعر مصفف ومكياج خفيف وتنورة قصيرة، وكان مستواها الدراسي متوسطاً نوعاً ما. كما أن زوجها كان يعمل موظفاً في شركة النفط ولا بد أن يمكث عدة سنوات في مدينة فُم بسبب ذلك. وكانت أحياناً تشكو عدم وجود تفاهم بينها وبين زوجها ، حيث قالت لي يوماً : «أشعر أنك مرتاحه كثيراً في حياتك الزوجية وأغبطك بسبب نجاحك في اختيار زوجك وتفاهمك معه. وقد اندھشت كثيراً عندما قلت لها : «لم أنتخب زوجي ، بل رضيت بقرار اتخذه والدي ووالدتي».. كما تعجبت منها كثيراً حينما قالت لي أنها وزوجها كانوا يتزاوران خلال عام تقريباً قبل الزواج ، ورغم ذلك فإنهما يفتقدان التفاهم الفكري الآن.. ومن هنا بدأت حواراتنا تدور حول الأعراف والتقاليد السائدة داخل أسرتيها. قالت تلك السيدة بهذا الشأن: «عندما جاء زوجي طالباً بي من أسرتي قال له والدي : «ينبغي أن يتعرف أحدكم على الآخر وتفقا بشأن حياتكم المستقبلية». وبهذا ترك والدي حق الاختيار لي. وأضافت تقول: «كنا نقضي ساعات طويلة معاً ونخرج إلى الحدائق ودور السينما ونتحادث معاً مطولاً حتى شعرنا وبالتالي أن بإمكاننا أن نبدأ حياة جيدة ونشكل أسرة موفقة معاً، لذا اتخذنا قرار الزواج وتم ذلك».

من جانبي قلت لها: «لم يكن لي أي دور في اختيار السيد أحمد، لأنه في الواقع تم اختيارنا من قبل الآخرين؛ وفكّر كل منا بشأن الآخر

بعد أن قامت بهذه المهمة الأستاذان، ثم أعلن كل منا قبوله بالأخر، لأن التقليد المتبع في أسرتنا في مثل هذه الحالة، هو أن يعقد اجتماع نهائي بعد حصول الموافقة الأولية يحضره الوالدان وعدد آخر من الأشخاص ذوي التجارب الحياتية الغنية، ويتم خلال الاجتماع دراسة سمعة أسرة المتقدم للخطوبة وأخلاقه بشكل عام، وبالتالي تقييم مختلف الأمور المرتبطة بالشخص المعنى وأسرته قبل إصدار الحكم النهائي بشأنه». وقد ذكرت لها بعض الأمثلة ومنها: «تقدم لخطبتي أحد الأشخاص وتمت الموافقة عليه من قبل الأسرة مبدئياً إلا أن والدي قال: «اثبتت تحرياتي أنه إنسان بخيل ولا يتناسب مع أخلاقك وروحيتك»، لأنني كنت قد قلت لوالدي سابقاً إن هناك اختلافاً كبيراً بين أن لا يملك الشخص شيئاً أو أن يكون بخيلاً، حيث يمكن لأي إنسان أن يتلاعماً مع الشخص غير المتمكن مالياً ولكن لا يمكن ذلك إطلاقاً مع البخيل.. كذلك تقدم لخطبتي شخص آخر كان مقبولاً من ناحية الأسرة التي ينتمي إليها إلا أنه لم يكسب رضا والدي لأنه لم يكن يهتمه كثيراً الدرس والبحث العلمي؛ حيث قدم والدي شرحاً عن شخصيته قائلاً: «صحيح أنه مشغول بالدراسة إلا أنه يبدو أكثر اهتماماً بالأمور المادية وجمع الثروة؛ وهو وبالتالي لا يتناسب مع اهتمامي وتركيزي على التحصيل العلمي». وكان والدي يقول لي: «مهما بذل هذا الشخص من جهود ليوفر حياةً مرفهة لك، فلا أظنه سيلبي كل رغباتك طبقاً لمعرفتي بك ولن يرضي أي منكمَا عن الآخر».

وفي إحدى المرات تبادلنا الحديث حول بعض القضايا السياسية - الاجتماعية وتحدثت معها عن أنواع الظلم والخيانة التي تحدث في ظل نظام الشاه حسب فهمي للأمور آنذاك.

وكانت مثل هذه الأحاديث جديدة على تلك السيدة، بل وتصغي

هناك رجل أمن بين كل ثلاثة أشخاص، فلا بد أن تخبرني صديقتك أن تحتاط في كلامها حتى لا تحصل مشاكل لها.. وهكذا عرفت أنها تنقل لزوجها ما يدور بيننا من أحاديث.. بالطبع فإن أجواء الدرس لم تكن تسمح أبداً لتبادل مثل هذه الأحاديث. كمثال على ذلك، فإن عدداً من الطالبات كن يجلبن معهن إلى الصف صور الفنانين ويتبادلن الكلام حول اختيار ملوكات الجمال وكان اهتمام الطالبات ينصب أكثر حول مثل هذه الأمور، كما كانت أكثر عناوين الصحف والمجلات تركز على مثل هذه الأخبار والواقع.. وأنذكر أن إحدى الصحف كانت قد اختارت هذا العنوان على صفحتها الأولى وكتبت بخط عريض: «هل إن المطربة الفلانية ستقضى عطلة آخر الأسبوع مع الفنان الفلاني؟!».. وكان هذه القضية تمثل أهم حادثة أو أكبر هاجس يشغل أذهان أبناء المجتمع.

وكنت أسمع أحياناً بعض البنات يتداولن الأحاديث والأخبار بشأن الحفلات المسائية الخاصة التي حضرنها بكل تفاصيلها.. بالطبع كانت هناك طالبات يتحدثن حول أمور من نوع آخر، ومنها تعرفت في المدرسة على طالبة اسمها «زهراء رباني» ابنة آية الله رباني أملشى كانت تتحدث أحياناً عن الفقر الثقافي للناس وكيف أن النظام الحاكم يسعى شيئاً من أجل إبقاء الناس في حالة من الجهل.

وهكذا قضيت السنتين الأولى والثانية من الثانوية. أما الصف الثالث الثانوي فإن الدروس كانت كثيرة ومرهقة، وكانت الصعوبة أكثر بالنسبة لي لأنني كنت أتحمل مسؤوليات أخرى فضلاً عن الدراسة والتحصيل العلمي.. وكان السيد أحمد يشجعني دائماً على الدراسة

ومواصلة التحصيل العلمي ويوفر لي أفضل أجواء الدراسة وبخصوص من وقته للاحتفاظ بحسن ومراقبته بدلاً عنِّي، لاسيما عندما اعتذرت السيدة «سكينة سلطان» لفترة عن القيام بمهمتها بسبب تعرض قدميها للكسر.. اقترح السيد أحمد بعد عطلة عيد نوروز في تلك السنة، أن أذهب صباح كل يوم إلى منزل السيد الإمام وحتى العصر، لأركز على الدراسة هناك بعيداً عن البيت ورعاية حسن، وقد رحبَت بهذا الاقتراح وتعهد السيد (مشهدي رضا) العامل المخلص الوفي في منزل سماحة الإمام، بمهمة إعداد غرفة القبو التي كانت معتدلة الحرارة في صيف مدينة قم الحار والجاف، وتجهيزها لي لأواصل دراستي وتحصيلي العلمي بشكل مناسب.

وهكذا كنت أذهب صباح كل يوم إلى منزل سماحة الإمام وكان السيد مشهدي رضا يجلب لي وجبة الغذاء عندما يحين وقتها وكانت أعود إلى منزلي قبل الغروب، وبهذا الشكل اجتزت السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية وأخذت الشهادة الدراسية النهائية لهذه المرحلة.

حوارات علمية ساخنة

بعد إنهاء المرحلة الثانوية، أصر السيد أحمد على أن أواصل دراستي في فرع الطب البشري؛ حيث كان يعتقد أن بإمكانني في هذا الفرع العلمي أن أخدم المجتمع أفضل، لا سيما النساء. إلا أنه لم أكن أرغب كثيراً في دراسة الطب البشري، لذلك قررت الالتحاق بدروس حرفة تقدمها مؤسسة دار التبليغ الإسلامي - القسم النسائي - حتى يحين موعد امتحان البكالوريا الذي يوفر لمن ينجح فيه فرصة الالتحاق بالجامعات.

كانت دار التبليغ وهي مؤسسة علمية - دينية، تدار في مدينة قم

تحت إشراف آية الله سيد محمد كاظم شريعتمداري^(١) .. وكان أصدقاؤنا الثوريون لا يؤيدون هذه المؤسسة أوائل تأسيسها ويقولون: إن تأسيس مثل هذا المركز يخدم النظام الشاهنشاهي أكثر مما يساهم في نشر وإشاعة المعارف الإسلامية الشيعية، إلا أنهم توقفوا عن مخالفتهم لهذه المؤسسة بعد مدة من تأسيسها حفاظاً على وحدة صفوف علماء الدين.

وقد نجحت دار التبليغ من خلال تأسيس (دار التوحيد) في توفير فرصة التحصيل العلمي أمام الأخوات في حوزة قم العلمية، وهكذا حصل تحول ملفت في المجتمع النسوی بمدينة قم بسبب حضور عدد من الشابات القادمات من آبادان وباقی المدن الإيرانية، ما لبث عدد من هذه النسوة أن غادرن مدينة قم إلى المدن الأخرى من أجل التبليغ الديني بعد تخرجهن من هذا المركز.. وقد قال أحد أصدقائنا من أصحاب المكتبات في قم: «إن مراجعة الأخوات للمكتبات وشرائهن للكتب الفقهية التخصصية شكل ظاهرة جديدة في المدينة».

(١) وضع حجر الأساس لمبنى دار التبليغ بعد عامين من وفاة آية الله البروجردي تزامناً مع عيد الغدير الأغر في أيار عام ١٩٦٤ في شارع صفائية (الشهداء) بمدينة قم. وكان بعض الثوريين يقولون إن هذا المركز يمثل نفس الجامعة الإسلامية التي سعى الشاه لتأسيسها وكانوا يعتقدون أن مثل هذه المؤسسة تحول دون تطور وتقدم النهضة الإسلامية، إلا أن شخصيات كبيرة من أنصار الإمام والثورة، كانوا ينشطون فيها مثل: السادة مطهری، سبحانی، مکارم شیرازی، السيد موسی الصدر، السيد هادی خسروشاهی، على حاجی، رضا کلسرخی وغيرهم.. سمعت أن السيدین مکارم شیرازی و سبحانی قالا مرة للإمام الخمينی: نحن تلاميذك وتعلمنا من سماحتك ضرورة إيجاد تحول في الحوزة العلمية، وقد حدث هذا التحول الآن إلا أن بعض أنصارك يخالفون ذلك، فأجاب سماحته: لا يحق لأي أحد أن يقول أي شيء نيابة عنی في نفي أو إثبات ذلك.

كذلك كنت أحضر دروس (النظرة الكونية الإسلامية) للدكتور أحمد بهشتی و(فلسفة الأخلاق) للدكتور أحمد أحمدي، حيث كانا يأتيان إلى قم من طهران، فضلاً عن حضور درس (الفلسفة المتعالية) للملأصدا.. ولأن أستاذ الفلسفة كان من ناقدی فلسفة أرسطو، فإن الدرس كان يشهد حواراً جاداً حول الفلسفة المشائة لأرسطو، وكان ذلك مفيداً للغاية بالنسبة لي بشكل عام.

كان المجتمع الإيراني تُغطيه آنذاك سحب داكنة من الهموم بسبب انتشار الخوف والرعب الشديد بين الناس، فضلاً عن اعتقال وإعدام الناشطين الثوريين؛ وكان البعض يدعو إلى الهدوء والسكون ويبحث على المجاهدين بالقول إن نشاطاتكم تثير غضب الجهاز الحاكم، كما كان بعض المنتقدين للوضع القائم لا يرى إلا التزام الصمت والسكوت. وفي مثل هذه الأجواء، فإن الدخول في الحوارات والأبحاث العلمية يعتبر عملاً مملاً وغير مجدٍ، بينما كان العديد من الأشخاص يفارقون الحياة إثر تعذيب جلاوزة النظام الشاهنشاهي، فإن التزام الهدوء والسكون والتركيز على مثل هذه الأبحاث العلمية يعتبر أمراً بعيداً عن الشهامة والرجلة، ولكن ما الحل؟، لأن مثل هذه الأبحاث التي تؤدي إلى تقوية الفكر الديني وتعزيزه يمكنها أن تكون عامل تسكين إلى حدٍ ما.

من الأبحاث التي كان الدكتور أحمد بهشتی يركز عليها في درس (النظرة الكونية) هي أن على جميع المسلمين التعرف على النظرة الكونية الإسلامية. ويعدم بعد ذلك إلى نقد النظريتين الكونيتيين وهما (الكينونة) و(الصيرونة) ويقول: «لن نؤيد النظرة الكونية (الكينونة) التي تعني أن نتصور أن لا وجود إلا للثبات والسكون ولا النظرة الكونية (الصيرونة) التي تعني أن نقبل أن لا وجود إلا للتغيير والتحول؛ بل إننا نعتقد بالنظرة الكونية من النوع الثالث ونقول: إن العالم يكون أحياناً من نوع

(الصيرونة) وأحياناً أخرى من نوع (الكينونة) ؛ لأن العالم، من منظار الإسلام، يتكون من قسمين: الأول عالم الغيب (الثبات) وعالم الشهادة (التغيير).. لذلك، فإن النظرة الكونية الإسلامية تختلف عن النظرة الكونية لهراء كلية (الفيلسوف البكاء) وهيغل وأتباعهم».

إن مثل هذه المباحث بما تميز به من جاذبية، كانت تفتح أمامي آفاقاً جديدة وتؤدي إلى إثارة أبحاث شيقة في الدرس، لا سيما الحوار حول الديالكتيك الذي كان مطروحاً بكثرة آنذاك.

إن أسلوب تدريس الأستاذ كان ملفتاً لنظرى آنذاك، لأنه خلال المرحلة الثانوية كان المدرس يلقي الدرس والطلاب يدونون ملاحظاتهم، وكنا، فيما بعد، نمتحن في تلك الدروس، ولكن الجو السائد هنا كان بشكل حوار ويبحث متواصل، حيث كان الأستاذ يلقي درسه كناقد ويعمد الطلاب بدورهم إلى التباحث معه في القبول بالفكرة المعروضة أو رفضها. وكمثال على ذلك: كان الأستاذ يقول بشأن هذه العبارة (إن كل شيء في طور الصيرونة والتغيير) ما يلي: «هل تعتقدون إن هذه القضية بحد ذاتها هي في طور التحول أم لا؟ فلو قبلكم أن هذه القضية هي ليست في معرض التحول، إذن أقررت بمبدأ وحقيقة ثابتة وقبلتم لا ارادياً، بمبدأ (امتناع واستحالة اجتماع النقضيين)، ولو قبلتم بتحول هذه القضية، فلا بد أن تقبلوا أن هذه القضية بحد ذاتها، هي في معرض التحول». والمبحث الآخر هو بحث حركة التاريخ وفلسفته التاريخ، حيث كان البعض يقول: «إن مؤيدي النظرة الكونية (الكينونة) وأنصار الديالكتيك فقط يمكنهم أن يفكروا بفلسفة التاريخ».

وفي نقه للماديين كان الأستاذ يقول: كل العقلاة يعتقدون أن مسيرة القافلة البشرية هي معلول لعوامل عديدة، ومنها الإنسان في حركة

التاريخ، إلا أن الماديين غفلوا ذلك، وكان يستند إلى هذه الآية القرآنية المباركة «...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ»^(١) وغيرها ليستخرج فلسفة التاريخ.

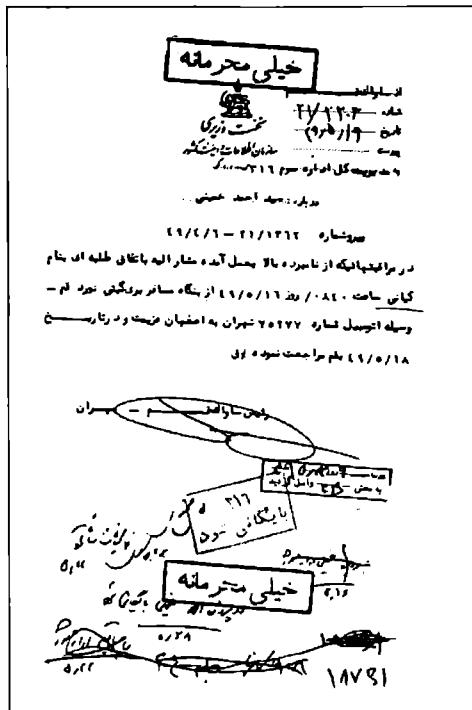
وكانت حصيلة هذه الأبحاث هي أن الجميع كان يشعر بمسؤوليته حيال الوضع المؤسف السائد في المجتمع آنذاك، ولا بد أن نعتبر التغيير في ذلك الوضع هو رسالتنا الإنسانية.

من المباحث الجيدة والمفيدة الأخرى، هو درس (فلسفة الأخلاق) للدكتور أحمدي، حيث كان يقول: «إن الأخلاق هي علم يبحث في الأفكار والسلوك الإرادي أو شبه الإرادي للأشخاص، ولكن ليس من ناحية ما يملكونه بل من ناحية ما يجب أن يملكونه؛ وكان يعتبر المباحث الأخلاقية غير مجده بالنسبة لمن يعتقد بالجبر سواء كان جبراً علمياً أو فلسفياً أو مادياً أو حتى دينياً».

كما أن مبحث العدالة الاجتماعية كان من الأبحاث الساخنة والشيقه والمثيرة للاستفهام والتساؤل في الوقت ذاته. وكان الأستاذ يعتبر الدفاع عن الكرامة والشرف والمال، قانوناً عاماً يقبل به كل الأشخاص المتمتعين بالسلامة العقلية.. وكان يقول: «إن الدفاع عن الشرف والعزة يحدث في كل عصر ومن قبل أي شعب وبأي شكل من الأشكال، فقد يكون أحياناً من خلال النضال والجهاد وال الحرب أو من طرق أخرى أحياناً».

وفي أحد الأيام كتبت إحدى الطالبات هذه العبارة لجان جاك روسو على لوحة الصف قبل مجيء الآخريات: (افتح مدرسة، واغلق

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.



تقرير السافاك حول إحدى رحلات السيد
أحمد الجهادية

سجناً) وكتب تحتها: (إلا أن النظام البهلوi يغلق الجامعات والحوزات العلمية ويؤسس السجون بدلاً عنها)، وقد شعرت بعض الطالبات بالخوف من قراءة ما كتب على اللوحة، فبادرن إلى مسحها بسرعة.

وهكذا كان درس الفلسفة جذاباً بالنسبة لي بحيث غيرت رأيي، فبدل أن اختار دراسة علم الطب قررت أن أواصل دراستي في فرع الفلسفة.

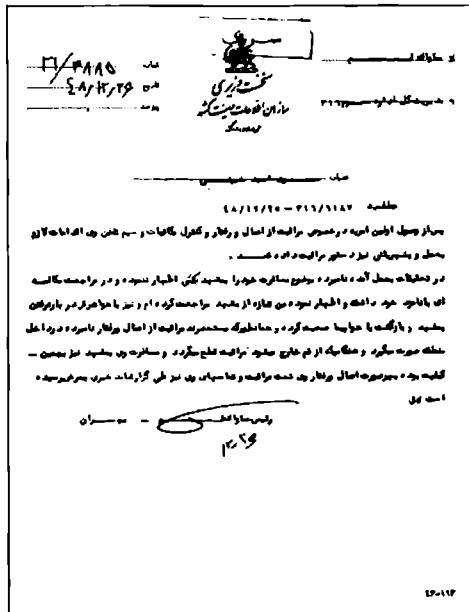
ظروف jihad

خلال السنوات الأولى من حياتنا المشتركة، كان السيد أحمد يخفى عنّي الأخبار المرتبطة بالجهاد والكافح ضد النظام الحاكم ونشاطاته في هذا المجال، وكانت أتضجر عندما كان السيد أحمد يضطر أحياناً إلى أن يذهب خارج قم في أيام العطلة لأداء بعض الأعمال.. وقد قلت له مرة بانزعاج: «إنك لا تهتم بأسرتك، لأنك تشغل بالدرس والمطالعة خلال أيام الأسبوع وتغادرنا إلى بيوت أصدقائك في أيام العطلة».. فأجابني قائلاً: «إن الأمور ليست كما تظنين، لأن لقاءاتي وسفرني خارج قم هو ضمن عملي».. ولم يوضح أكثر من ذلك. وكنا أحياناً نتجادل معاً بسبب ذلك؛ وكانت أعاتب السيد أحمد بسبب عدم مصارحته لي بشأن نشاطاته الجهادية وسعيه لإبعادي عن هذه الأ JW

إلا أنني بعد العودة من العراق، بدأت أطلع أكثر على جهود السيد أحمد ومساعيه الجهادية وتغيرت نظرتي للحياة، وأصبحتأشعر أن هناك عالماً أكبر مما كنت أظنه، وأن هناك رجالاً كباراً يقومون بأعمال عظيمة وملفتة لهم يحملون في قلوبهم آمالاً وتطلعات يجهدون من أجل تحقيقها ويحرّمون عليهم الحياة الهدئة والمريةحة من أجلها، وإن زوجي السيد أحمد أحد هؤلاء الرجال.

بعد مرور عدة سنوات، صار حني السيد أحمد قائلاً: «لقد مرت عليّ سنوات صعبة للغاية، لأنني كنت أشعر أنك تظنين أنني أتركك بإرادتي وأذهب للتتنزه وقضاء الوقت عبثاً، ولم أكن أقدر على أن أخبرك بالحقيقة بسبب الاحتياطات الأمنية.. حيث إنني عندما كنت أودعكمما أنت وحسن صباح كل يوم وأغادر البيت، كنت أحتمل أكثر أن ذلك اللقاء هو آخر لقاء بيننا. كما أن اعتقال عدد من أصدقائنا كان يزيد من احتمال القاء القبض عليّ، لذلك كنت التزم الصمت والسكوت من أجل الحفاظ على هدوئك وراحتك إلى جانب رعاية الشؤون الأمنية اللازمـة، وكانت أكتفي بالقول إنني أذهب للقاء الأصدقاء وزيارتـهم في بيوتهم، وفي الوقت ذاته أعطيك الحق أن تزعجـي وتعترضـي علىـ بسبب ذلك».

كذلك شرح لي التفاصيل المتعلقة بحادثة إيصال بيانات الإمام الخميني للحدود الباكستانية بالقول: «كان من المقرر أن ترسل آنذاك نسخ من بيانات الإمام الخميني إلى باكستان، فأخذتها إلى المنطقة الحدودية، إلا أنني أخبرتك أنني ذاهب مع أصدقائي للتتنزه.. وكنت أعرف مدى انزعاجـك مني بسبب ذلك، وإنك حتمـاً تساءـلين، لماذا يفضل السفر مع أصدقائه علىـ مرافقتـي لهـ في تلك الرحلـات؟.. ولكن كنت أفضـل أن أتحمل مراـرة ذلك علىـ أن أصارـحـك بالـحقيقة، وبالـتالي أجعلـك تقلـقي أكثر، إلا أنـي رغمـ معرفـتي بـعدمـ استـحقـاقـي مثلـ هذا



تقرير السافاك بشأن ضرورة فرض الرقابة الصارمة على نشاطات السيد أحمد

إحدى غرف البيت، وكان يتردد لوحده على تلك الغرفة بشكل سري، ويحاول إخفاء ذلك عنى مما جعلني أبحث عن السبب وأحاول كشف السر من خلال رؤية داخل الغرفة من النافذة الزجاجية العلوية لها. ولم أشاهد في الغرفة سوى أكواام من الورق، ففكرت مع نفسي أن المحافظة على مثل هذه الأوراق لا يستلزم كل هذه السرية والتحرك غير العلني!.. ولم أتحمل أكثر وسأله عن ذلك، فلم يجبنى بشكل صريح، وقال لي: «الأفضل أن لا تعرفي».. وكنت قد تعودت على مثل هذه الأجرة، ولم يكن الأمر جديداً بالنسبة لي. وكان السيد أحمد قد قال لي سابقاً: «من الأفضل أن لا تعرفي تفاصيل البرامج والنشاطات التي تقوم بها ولا أسماء الناشطين السياسيين من زملائنا، لأنك ربما تضطرين أن تعرفي بكل شيء تحت ضغط جلاوة الأمن، وبالتالي تحدث مشاكل لعدد من الرجال بسبب ذلك».. ولكن جوابه هذه المرة لم يقلل من إصراري على

الحكم، فقد كنت أرجح التزام الصمت والسكوت واعتبره ضمن المصاعب التي ينبغي تحملها في طريق الجهاد».

وهكذا، فإن تعرُّفه على
ظروف الجهاد للسيد أحمد
وزملائه، كان أمراً قيماً بالنسبة
لي رغم الرهبة والقلق
والاضطراب الذي يصاحب
ذلك. أتذكر أن السيد أحمد
عمد في أحد الأيام إلى إقفال

معرفة الحقيقة، لذلك أخبرني السيد أحمد بعد عدة أيام أن أحد بيانات الإمام الخميني كان قد وصل إليهم ولا بدّ من نسخه وتوزيعه بين الناس، فاشترينا آلة طباعة وكمية من الورق وأخفيتها في تلك الغرفة، ولأنني كنت أعرف أن جميع تحركاتي ونشاطاتي تخضع لرقابة السافاك، لذا كنت مضطراً أن التزم الحذر والاحتياط، وبالتالي إخراجها من البيت».

وقد قال لي السيد أحمد فيما بعد، أن الكتب التي كانت ممنوعة في إيران كانوا ينسخونها وتوزع في الداخل أو ترسل إلى الخارج كما هو الحال في كتاب (حول خدمة وخيانة المثقفين) للاستاذ جلال آل أحمد.

هذا وقد نقل لي شقيق السيد صادق عن السيد أحمد بشأن كيفية إرسال هذا الكتاب من إيران إلى الخارج حيث كان السيد أحمد قد أخفاه في كمية من خليط المكسرات والموالح التي أرسلها له عندما كان خارج إيران.

المريضة الفطينة

عندما كان السيد أحمد رضيّعاً، وبسبب قلة كمية الحليب لدى والدته، اضطررت أسرته الكريمة وبعد توصية الطبيب، أن يبحثوا عن مرضعة له.. وبعد التقصي تم انتخاب السيدة «فاطمة»، التي كانت تسكن بالقرب من بيت الإمام في محلة (يخرجال قاضي) وكانت أمها تعمل سابقاً في بيت سماحته، مرضعة للسيد أحمد.. وقد أدى تناول السيد أحمد من ذلك الحليب إلى أن تسود حالة من المحبة العميقه بينه والسيدة «فاطمة»؛ وكانت تتعامل معه كأحد أبنائها وفي المقابل كان السيد أحمد يسميهها (نه نه جان). وكانت هذه السيدة في الأصل من سكان قرية (قلعة جم) في ضواحي قم. وكنا قد ذهبنا عدة مرات إلى هذه المنطقة في الصيف. وكان أقرباء السيدة «فاطمة» يتجمعون حول السيد

أحمد ويعرفون أنفسهم بأنهم أخوات أو أبناء أخت أو أخوة أو أبناء أخوة السيد أحمد.. وكان هو بدوره يجلس بينهم ويتبادل الأحاديث الشيقة معهم.

وكانت السيدة «فاطمة» امرأة ذكية وفطنة وتعنى دائمًا من أجل حل مشاكل الناس، رغم أنها كانت قد فقدت إحدى قدميها بسبب إصابتها بمرض السكري، ولكنها واصلت مساعدتها لحل هذه المشاكل، لذلك أصبحت معروفة بين الناس، لا سيما في أواسط بعض العلماء وأعيان مديتها قم وطهران.

وكان السيد أحمد قد عمد إلى تركيز نشاطاته الجهادية في فترة من الزمن في بيت السيدة «فاطمة». وكان بيته يتكون من غرفتين وقبو كان السيد أحمد قد استأجره في الظاهر لصديق حجة الإسلام الشيخ محمود واحدي، إلا أنه كان قد وضع هناك أجهزة الطباعة ونسخ البيانات الثورية.

وفي معرض إشادته بفطنة مرضعته، قال السيد أحمد: «في أحد الأيام كنت مع السيد واحدي منشغلًا في القبو بطباعة بيان الإمام الخميني حيث سمعنا ارتفاع صوت الهاون بشدة، واستمرت تلك الضوضاء حوالي نصف ساعة، وبعد أن أنهينا عملنا خرجنا من القبو وغادرنا البيت بعد التأكد من الوضع الأمني المحيط بنا.. وكانت السيدة (نه نه جان) اعتادت أن تراقب الزقاق المقابل للبيت قبل مغادرتنا للتأكد من خلوه، وتعطي علامة بأن نخرج سريعاً من البيت؛ وبهذا لم يكن أحد يعرف بوقت دخولنا ومن ثم خروجنا من البيت، لأن ترددنا الكبير هناك كان من الممكن أن يثير علامات استفهام أو يسبب مشاكل لأصحاب البيت.. وهكذا غادرنا البيت كالعادة سريعاً دون أن نسأل عن سبب ارتفاع صوت الهاون.. ولكنني سألتها - فيما بعد - عن ذلك عندما

جاءت إلى بيتنا وقلت لها: أيتها السيدة العزيزة، ما الذي حدث ذلك اليوم.. ألم يكن ممكناً أن تؤجلني استخدام الهاون إلى وقت آخر؟ فأجبت: عندما كنتما في القبو، وصلت شقيقتي السيدة «هاجر» فجأة وجلست في الباحة الخارجية للبيت، وحينها شعرت أن هناك أصواتاً تخرج من القبو، فقلت مع نفسي ماذا سأقول إن سألتني السيدة «هاجر» عن مصدر تلك الأصوات وماذا يجري في القبو؟!.. حيث لم يكن أحد يعرف بقضية تأجير القبو من قبلهما، مما اضطرني لأن أجأ إلى الهاون الذي كان موجوداً في أحد أطراف الباحة ووضعت فيه حجارة دون أن تشاهدني، وانشغلت بالدق عليها في الهاون، مما أدى إلى أن تتعرض شقيقتي وطلبت مني أن اتوقف عن ذلك لأنها تريد أن تتحدث معي حول قضية معينة، فقلت لها: لا يمكنني ذلك لأنني أريد أن أجهز شيئاً طلب زوجي أن أطحنه في الهاون بسرعة وأرسله إليه؛ مما دعاها إلى مغادرة البيت على أن تعود في فرصة أخرى.

بعد ذلك أعرب السيد أحمد عن إعجابه بقطنة السيدة «فاطمة» وحفظها للسر وعدم مصارحته قبل ذلك عن إنها تعرف ما يدور في القبو وأنه لم يؤجر للسكن بل لأمور أخرى.

وظل ذلك البيت إلى فترة من الزمن مركزاً للنشاطات السرية للسيد أحمد وزملائه ولم يتم كشفه من قبل السافاك أبداً، بينما كان بيتنا وهاتينا مراقبين منذ سنوات من قبل رجال الأمن الإيراني (السافاك).

بعد مرور فترة بدأ السيد أحمد يكلّفني تدريجياً بعض المهام في إطار الجهاد ومقارعة النظام المستبد البائد، وشعرت بالرضا المشوب بالخوف بسبب ذلك، ولكوني أقوم بعمل مؤثر ولو كان ضئيلاً في هذا السبيل.

نرفة مختلفة

بينما كنا في أحد الأيام في بيت والدي، وبعد الانتهاء من تناول طعام الغداء، اقترح السيد أحمد أن نعود معاً إلى بيتنا، فسألته مدهشة: «ولم الآن؟ ألم يكن عندك موعد للحوار والبحث؟ كما كان مقرراً أن تكون هنا في وقت العشاء!!.. والأهم من كل ذلك، لم نكن قد اعتدنا أن نسير معاً في الشارع (لانه لم يكن الناس متعددين أن يسير الرجال مع زوجاتهم، لا سيما علماء الدين، في الشارع)، فهز السيد أحمد رأسه وقال: «لنذهب الآن فوراً وسنعود بسرعة».. تحركتنا مشياً على الأقدام نحو بيتنا، وكان من المقرر أن نجتاز شارع (بهار)، إلا أن السيد أحمد غير الاتجاه نحو (المقبرة الجديدة) في المدينة وقال: «لنتجول قليلاً ونذهب إلى المقبرة ونقرأ الفاتحة على أرواح الموتى»!. فقلت مع نفسي: «يا لها من نرفة أن ندخل إلى المقبرة لنقرأ الفاتحة»؟!.. دخلنا المقبرة وقرأنا الفاتحة على عدد من الأموات، ثم سألني: «هل أنت مستعدة لتؤدي مهمة في سبيل مقارعة النظام الشاهنشاهي؟»، فعرفت قصده إلى حد ما، فأجبته بالموافقة.. ثم أشار إلى مقبرة خاصة من بعيد، وقال: «اذهب إلى تلك المقبرة وافتتحي بابها، وهناك على الرف توجد صورة كهل ميت وإلى جانبها توجد قطعة حجر، ستتجدين تحتها ورقة، أرجو أن تجلبها معك بحذر كامل؛ وعليك أن تراقبي الأمور بدقة، فلو رأك أحد ما فجأة، فلا تقلقي وحافظي على هدوئك وتظاهري بقراءة الفاتحة؛ ولا تنظري أبداً إلى ما حولك.. وإن أراد أي أحد أن يأخذ الورقة منك، فقاوميه وارفضي تسليمها له، وإن استطعت فاتلقي الورقة وتخلاصي منها»!!.. وسألني مرة أخرى عن مدى استعدادي لأداء هذه المهمة، فقلت له: «نعم».. وافترقنا.

اتجهت نحو تلك المقبرة، وفتحت بابها القديم بالضغط عليها، ودخلت، وتفاجأت لأن الأجواء هناك كانت مظلمة ورطبة، فاضطررت

نوعاً ما، إلا أنني توجهت إلى عمق المقبرة بكل رعب وخشية، و كنت أسمع أصوات أنفاسي كأن قلبي يريد أن يخرج من مكانه.. بحثت على الرف لكتني لم أجد الورقة.. فعدت سريعاً وأخبرت أحمد بذلك. فجأة تغير وجه السيد أحمد وقلق بشدة ولم يقل شيئاً. وحاول أن يحافظ على أعصابه ورباطة جأسه، فسألته: «ماذا حصل حسب ظنك»؟ فقال: «لا شيء، أرجو أن لا تخبرني أحداً بذلك. وعندما كنا نريد مغادرة المقبرة قال السيد أحمد: «يمكنك أن تعودي إلى بيتي والدك، وسألتحق بك بعد انتهاء الدرس»..

عرفت فيما بعد أن الشخص المكلف بوضع تلك الورقة المتضمنة لأحد البيانات قد تم اعتقاله بعد اكتشاف أمره، إلا أنه قاوم الضغوط ولم يكشف عن زمان ومكان الموعد المتفق بشأنه، لذا لم تحدث لنا أية مشكلة ومررت الحادثة بسلام!!.

إيصال الرسائل الثورية

سلمتني السيد أحمد يوماً مظروفاً وطلب مني أن آخذه معه إلى طهران وأضعه هناك في صندوق البريد، وأوصاني أن أقوم بهذه المهمة بنفسي^(١). وقد ذهبنا برفقة السيد لاهوتى الذي كان ضيفنا في ذلك اليوم إلى طهران؛ وحال دخولنا المدينة طلبت منه أن يتوقف بالقرب من أحد صناديق البريد، فسأل عن السبب قائلاً: «يمكنني أن أنوب عنك لإنجاز أي عمل تريدينه»؛ فقلت: «أريد أن أبعث رسالة عبر البريد». فقال: «لا داعي أن تنزلي من السيارة؛ يمكنني أن أضع الرسالة في الصندوق».. فتذكرت وصية السيد أحمد بأن أقوم بنفسي بوضع المظروف في الصندوق، لذا تذرعت بشتى الذرائع قبل أن أنزل من السيارة لأقوم

(١) إن احتمال كشف صاحب الرسالة في مدينة قم كان أكثر من طهران.

بوضع المظروف في الصندوق.. ثم تنفست الصعداء وزال قلقي بسبب حمي لتلك الأمانة.

وفي مرة أخرى سافرت إلى طهران وكان المقرر أن أزور السيدة «فهيمة» شقيقة السيد أحمد في بيتها، لذا سلمني السيد أحمد مغلفاً وطلب مني أن أسلمه للسيد موسوي خوئينيها^(١) وأكد أن لا يراني أحد عند قيامي بهذه المهمة.. ولكن بسبب كوني ضيفة، فإن مضيفي لن يتركني أذهب لوحدي إلى أي مكان هناك.

كان بيت السيدة «فهيمة» يقع في شارع (سلطنت آباد)^(٢) والمكان الذي تقرر فيه أن التقى السيد موسوي خوئينيها هو مسجد (جوزستان) في شارع (نياوران)^(٣).. ورغم أن المسافة التي تفصل المكانين ليست كثيرة، إلا أنني لم أكن أعرف منطقة نياوران ولا مسجد جوزستان ولم أكن كذلك قد رأيت السيد خوئينها سابقاً.. لذا كنت أفكر دوماً كيف يمكنني أن أؤدي هذه المهمة بنجاح دون أن يعرف مضيفي شيئاً عنها؛ فقلت: «لابد أن أذهب إلى مسجد جوزستان»، فاقترحوا أن أذهب معهم خلال توجههم عصراً إلى منزل جدتهم.. وهكذا تحركتنا معاً، فأخفيت

(١) يعتبر السيد محمد موسوي خوئينها (المولود عام ١٩٤٢م) من علماء الدين المناضلين ومن تلاميذ الإمام الراحل (رض)؛ وقد درس في حوزة قم العلمية واعتقل بسبب دعمه لسماته. يعود تاريخ تعرُّفه على السيد أحمد إلى عام ١٩٧٠ حيث قرر حينها أن يعتلي المنبر في مدينة قزوين ويلقي خطاباً حول مرجعية سماحة الإمام؛ وهناك تعرف على السيد أحمد.

بعد انتصار الثورة الإسلامية تقلد مناصب عديدة منها: عضو في الدورة الأولى لمجلس الخبراء عن محافظة زنجان، المدعي العام للثورة الإسلامية، ممثل الإمام الخميني في مؤسسة الإذاعة والتلفزة والحج و... كذلك أسس صحيفة (سلام) قبل أن تتوقف عن الصدور بعد فترة.

(٢) يعرف هذا الشارع حالياً بشارع (باسداران).

(٣) يعرف هذا الشارع حالياً بشارع (الشهيد باهنر).

المغلف الكبير نوعاً مَا تحت عباءتي؛ وعندما وصلنا أمام المسجد، لوح السيد بروجردي (زوج السيدة فهيمة) بيده من داخل السيارة لأحد الرجال مسلماً عليه وقال: «إنه السيد موسوي خوئينيها من أصدقائنا». وهكذا تخلصت من القلق الذي انتابني بسبب عدم معرفتي بالسيد خوئينيها. نزلت من السيارة واتجهت نحوه، وبعد السلام عليه سلمته المغلف بشكل سري حيث لم يرنا أحد.

ومن الأعمال الأخرى التي كنت أقوم بها في هذا السبيل، قراءة المقالات والبيانات وتسجيلها على الشريط، حيث كان السيد أحمد وزملاؤه يستمعون إليها أثناء قيادة السيارة وهم يتنقلون بين المدن لاداء المهام الموكلة لهم.

اللقاء مع المجاهدين

اعتقدنا أن نذهب برفقة السيد أحمد للقاء الشخصيات الثورية المنفية عن مدنها^(١)، وكانت هذه اللقاءات تتم بشكل سري وفي أجواء مشوبة بالخوف والرعب.

حينما ذهبنا للقاء آية الله منتظری^(٢)، سمعنا أن السافاك كان قد

(١) تميز حياة المنفى بمشاكل كثيرة ليست أقل من السجن، منها الابتعاد عن العائلة والأصدقاء ورافق الطريق والجهاد والتلاميذ، فضلاً عن رداءة الطقس في المنفى وغيرها. يمكن مراجعة الهاشم الاول في نهاية الفصل.

(٢) ولد آية الله الحاج الشيخ حسين علي منتظری (١٩٢٢ - ٢٠٠٩ م) في مدينة نجف آباد (قرب اصفهان) ودرس في الحوزة العلمية الدينية وكان من تلامذة سماحة الإمام الخميني (رض)، واعتقل قبل انتصار الثورة الإسلامية بسبب جهاده ضد النظام المستبد ومكث في السجن طويلاً ونفي أيضاً، مراراً إلى العديد من المدن مثل مسجد سليمان وطبس وخلخال وسفرز. وتقلد بعد الانتصار منصب رئيس مجلس خبراء الدستور ولعب دوراً مهماً في تدوين دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

طلب منه أن يراجع صباح كل يوم دائرة الأمن ويوقع في سجل الحضور هناك ولكنه كان يقول: «لو كنا أنساناً منصاعين وملتزمي الصمت، لما لجأوا إلى نفينا». لذلك كان رجال السافاك يراجعون بيته يومياً ليرفعوا تقريراً حول نشاطاته وحضوره. وفي أحد الأيام شاهد أحد رجال الأمن أناة مملوءة بالخيار الطازج الأخضر موضوعاً أمام آية الله منتظرى، رغم أن الموسم كان في أوله، فاندهش لهذا الرجل وتساءل مستنكراً: «يبدو أن الأمور تسير بشكل جيد هنا، أخبرنا من أين أتيت بالخيار؟»، أجابه الشيخ منتظرى: «إن أنصارى رغم ضغوطكم وتهديداتكم، جلبوا هذه الشمار من مكان بعيد، ولا بد أن تأخذوا العبر، لأنكم لا يمكنكم أن تلعبوا بقلوب الناس».

وخلال حضوري هذه اللقاءات عرفت تدريجياً أن السيد أحمد يرتبط بشبكة واسعة من الثوريين ويقوم بتوجيه عدد منهم، وبفضل وعيه وذكائه، يعمل دائماً للحؤول دون كشف نشاطاتهم أو تراجعها. وعرفت أنه كان يغتنم الفرص المتوفرة بأفضل شكل ممكن من خلال الاستفادة من العناصر المناسبة في المكان المناسب، وكمثال على ذلك نذكر هذه الحادثة: بادر النظام الشاهنشاهي إلى إغلاق مكتب سماحة الإمام الخميني في مدينة قم عام ١٩٦٤ ومنع أعضاء المكتب من الحضور هناك، وبالتالي نفيهم إلى أماكن بعيدة ومتفرقة في البلاد. لذا سارع السيد أحمد إلى معالجة الموقف من خلال دعوة السيد بسنديدة الشقيق الأكبر للإمام ليهاجر إلى مدينة قم ويدير مكتب سماحة الإمام، لأنه كان يعتقد أن السيد بسنديدة الوحيد الذي يمكنه أن يقوم بهذه المهمة.. وهكذا أقنع السيد أحمد عمه أن يغادر مدينة خمين إلى قم، وبالتالي سلمه مهمة إدارة مكتب الإمام هناك تدريجياً.

عرف السيد بسنديدة بشخصيته القوية والمتشددة في الشؤون المالية

وكان حريصاً وحذراً للغاية ومحطاً بهذا الشأن، فعندما كان يريد كتابة رسائله الخاصة، كان يعمد إلى إطفاء ضوء مكتب الإمام ويستفيد من النور المنبعث من مصباح صغير خاص به.. لذا، فإن إقناعه لقبول هذه المسؤولية لم يكن أمراً سهلاً بل كان يستلزم اتباع أسلوب دقيق وخاص نجح السيد أحمد في ذلك بشكل كامل.

وبعد استقرار السيد بسنديدة في المكتب، كان السيد أحمد يتصرف بشكل يومي أنه ليس سوى طالب علم بسيط، لا يهمه سوى الدروس والبحث العلمي ولا يتدخل في الشؤون السياسية، بينما كان في الواقع يمارس نشاطاته السياسية والجهادية بشكل سري وبأساليب خاصة به، دون أن يثير الشكوك حوله.

وعندما استقر آية الله السيد بسنديدة في مدينة قم، اعتاد شقيقه السيد هندي، المعروف بأخلاقه الدهمة وعلاقاته الاجتماعية الواسعة، وأولاده وأقرباؤه الآخرون على المجيء إلى قم من خمين أو طهران لزيارته والاطمئنان على صحته، وكانت أكثر هذه اللقاءات تتم في بيتنا بسبب منع السلطات الحكومية التردد على بيت الإمام في مدينة قم.

أذكر في إحدى الليالي حيث كان الجميع في بيتنا، شعر السيد بسنديدة بضيق في صدره، فبادر السيد أحمد لاستدعاء الدكتور (ايرج كردستي) - وهو من أشهر أطباء قم - عبر الهاتف، وبعد أن فحصه قال: «الحسن الحظ ليست هناك مشكلة في القلب ولا داعي للقلق». وبعد أن سمعت هذا الكلام الطيب من الطبيب قلت للسيد بسنديدة: «لقد سرت كثيراً لهذا الخبر». فقال سماحته: «ولماذا سرت؟»، وأردف قائلاً: «أشكرك على مشاعرك».

وكان السيد أحمد يفرح كثيراً عندما يشاهد أعماله وأقرباؤه في بيته ويستقبلهم بحفاوة بالغة.. وكان الدكتور كردستي أخبرنا، فيما بعد: «بعد

أن اتصلت بي عبر الهاتف، اتصل أحد رجال السفاك معي وقال: يجب أن لا تذهب إلى بيت السيد أحمد. فقلت له: أنا طبيب المدينة ولا يمكنني أن أرفض طلبهم وأن لا أفحص مريضي، وبالتالي وافقوا على المجيء إلى بيتك».

وكان بعض الأصدقاء يقولون لنا إن الدكتور كردستي يعمل لدى قوات الدرك الملكي، ولا بد أن تحدروا منه!.. إلا أن هذا الطبيب كان في غاية الأدب والرحمة والمهنية ولم يبدر منه ما يجعلنا نشك به، كما أنه لم يدخل علينا بمحبته ولطفه أبداً.

تقرير السافاك حول النصت الهاتفي على بيتنا

تقرير السافاك عن النشاطات الجهادية للسيد أحمد باستخدام اسم مستعار

التعرف على رفاق أحمد في الجهاد

لم أكن أعرف جميع أصدقاء السيد أحمد ورفاقه في الجهاد، لأنَّه كان من المقرر أن لا تكشف أسماؤهم، حيث كانوا يتنادون فيما بينهم بأسماء مستعارة. وكنت أعرف البعض منهم نوعاً مَا مثل: آية الله السيد الخامنئي^(١). حيث ذهبنا إلى مدينة مشهد في أول صيف بعد زواجنا، وقد مرضت هناك؛ وطلب السيد أحمد منه المساعدة للعثور على طبيب لمعالجتي، وإذا بالسيد آية الله الخامنئي يحضر برفقة الطبيب. وقد عرفت من كلامهما أنهما يتشارران دوماً في الأمور المتعلقة بالجهاد، كما أنه صديق حميم لخال والدتي السيد جعفر الطباطبائي القمي ويشتريان في الرؤى في القضايا المرتبطة بالجهاد والنضال ضد النظام الحاكم.. مع الإشارة إلى أن السيد جعفر اعتقل في مدينة مشهد وتوفي في سن الشباب. وقد سمعت من والدتي أن رجال السافاك توجهوا يوماً إلى بيته وطرقوا الباب، فتحت إحدى البارات ذات سبع أو ثمانية سنوات الباب وسألوها عن السيد جعفر القمي، وكانت هذه الطفلة قد سمعت من الكبار عن السجن، فقالت بكل بساطة وسذاجة: «إنكم تريدون اعتقال عمِي وتقتلونه، فلن أخبركم عن مكانه، لأنني أحبه كثيراً».

(١) يعتبر آية الله السيد علي الخامنئي (المولود عام ١٩٣٩م) من تلاميذ الإمام الخميني في الفقه والأصول والسياسة والثورة، وقد اعتقل مراراً في طريق الجهاد ومقارعة النظام الشاهنشاهي المستبد وعذب وُنفي إلى المناطق النائية. وخلال أيام الثورة انتخبه الإمام (رض) عضواً في مجلس قيادة الثورة. وبعد انتصار الثورة الإسلامية أصبح عضواً في مجلس الشورى الإسلامي ومن ثم رئيساً له، كما أنه أصبح ممثلاً للإمام الخميني في مجلس الدفاع الأعلى وكذلك رئيس المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ومن ثم رئيساً للجمهورية الإسلامية الإيرانية لدورتين رئاسيتين. بعد وفاة الإمام الخميني انتخب مجلس خبراء القيادة لمنصب قائد الجمهورية الإسلامية وكان حينها رئيساً للجمهورية. من مؤلفاته ذكر: حول علم الرجال، ترجمة كتاب «صلح الإمام الحسن (ع)» تأليف راضي آل ياسين، ترجمة كتاب «المستقبل للإسلام» تأليف سيد قطب وغيرها.

ومن الأصدقاء الآخرين ورفاق جهاد السيد أحمد أذكر آية الله هاشمي رفسنجاني^(١) وقد سمعت اسمه من السيد أحمد في تلك الفترة التي أراد السيد أحمد إقناعي أن أوافق تحصيلي العلمي في الطب البشري، فقلت له: «كيف يمكن تحقق طلبك عملياً مع هذا الوضع السائد في الجامعات؟!»، فقال: «لا تقلقي، لأن لدى أصدقاء يمكنهم مساعدتك»؛ وحينها ذكر اسم السيد هاشمي رفسنجاني، وواصل كلامه قائلاً: «يمكنه أن يوفر الظروف التي تضمن تحصيلك العلمي في خارج إيران إن تعذر ذلك في الداخل».

وكان السيد هاشمي رفسنجاني قد عاد لتوه إلى إيران بعد عدة سنوات قضتها في الخارج رغم قلق زملائه عليه لثلا يعتقل بعد عودته، وقال لهم: «لربما يؤدي اعتقالي إلى تقوية حركة جهادنا ضد الاستبداد».

أما زوجته السيدة «عفت مرعشی»، فقد تعرفت عليها في بيت حجة الإسلام على حجتي (صهر خالي)؛ و كنت أسمع منها أحياناً حكايات عن الشيخ هاشمي رفسنجاني.. فقد قالت يوماً: «سافرت برفقة عدد آخر من زوجات المعتقلين إلى مدينة قم للقاء أحد المراجع الذين كنا نظن أن السافاك يصعي لكلامه للإفراج عنهم؛ إلا أنها لم نوفق بلقائه، بل شعرنا عندما خرجنا من بيته أن ثمة هناك من يتبعينا، فاتجهنا نحو حرم السيدة

(١) يعتبر آية الله الشيخ علي أكبر هاشمي بهرمانی (المولود عام ١٩٣٤م) المشهور برفسنجاني، أحد علماء الدين السياسيين البارزين ومن الشخصيات السياسية البارزة في الجمهورية الإسلامية. وهو رابع رئيس للجمهورية الإسلامية خلال سنوات ١٩٨٩ - ١٩٩٧م. تم اعتقاله قبل انتصار الثورة الإسلامية عدة مرات خلال سنوات ١٩٦٤ و حتى ١٩٧٨ بسبب نشاطاته السرية ضد النظام المستبد. من مؤلفاته ذكر كتب: أميركبير بطل النضال ضد الاستعمار، تفسير المرشد (راهنما)، سنوات النضال، و مجموعة الذكريات، كما ترجم من العربية للفارسية كتاب (القضية الفلسطينية).

فاطمة المعصومة (ع) هرباً منهم، إلا أنهم كانوا لنا بالمرصاد حال خروجنا من الحرم، وكشفوا أمرنا، وأخذونا إلى دائرة السافاك في مدينة قم.. وسألونا هناك عن سبب مجينا إلى قم ولماذا ذهبنا إلى بيت السيد الفلاني وأمثال هذه الأسئلة.. وبعد انتهاء التحقيق معنا أطلقوا سراحنا.. والم ملفت أننا عندما عدنا إلى بيتنا في طهران، عرفنا أنهم أطلقوا سراح أزواجنا وكانوا قد وصلوا إلى البيت قبلنا».

ويعتبر حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي كروبي، أحد أصدقاء السيد أحمد ورفيق دربه، حيث درس (الكافية) لدى والدي ودرس كذلك في كلية الشريعة بجامعة طهران. وقد سجن عدة مرات ونفي لفترة إلى مدينة كنبد كاووس. وفي العام ١٩٦٧م، تم توزيع رسالة الإمام الخميني (رض) إلى أمير عباس هويدا (رئيس الوزراء الإيراني) بين الناس^(١) خلال خطاب له في مدينة كاشان، وقد اعتقل بعد ذلك وتم نقله إلى سجن اللجنة الأمنية لمكافحة التخريب. وغادر إلى العراق بعد إطلاق سراحه، لم يمكث هناك طويلاً لعدم تناسب الأجواء هناك مع روحه الثورية وعاد مرة أخرى إلى البلاد وواصل نشاطه وإلقاء الخطابات الإرشادية والثورية التي أدت به مرة أخرى إلى السجن.

في تلك السنة تم اعتقال الكثير من العلماء منهم آية الله الشيخ منتظرى والشيخ فاضل لنكراني.. ومن الأصدقاء الآخرين للسيد أحمد هو حجة الإسلام محمد حسن لاهوتى أشكوري حيث رأيته لأول مرة في بيتنا، ولن أنسى شدة فرح السيد أحمد وسروره عندما انضم السيد لاهوتى، فجأة، إلى جمع من الضيوف كانوا متجمعين في البيت حين قال لي معبراً

(١) الرسالة المفتوحة التي بعثها الإمام الخميني لأمير عباس هويدا بتاريخ ٤/١٧/١٩٦٧.

عن فرحة: «إن أحد أصدقائي المقربين قد وصل برفقة زوجته. السيد لا هوتي هو أحد المجاهدين البارزين من أنصار الإمام الخميني (رض)، لقد تحمل الكثير من التعذيب في السجون وأفله إطفاء السجائر على جسمه إلا أنه بقي صامداً ومقاوماً ورافضاً الاستجابة لطلب السافاك بأن يوجه أدنى إهانة للإمام الخميني (رض).. ورغم أنهم طلبوا منه أن لا يذكر أبداً اسم الإمام وأسرته، إلا أنه في اليوم الأول من إطلاق سراحه من السجن، جاء إلى قم حال سماعه بنبي هذه الجلسة ليشارك فيها».

كذلك فإن نجله الصغير وحيد^(١) الذي كان يشارك في مقارعة نظام الشاه البائد، ألقى القبض عليه وحكم بالإعدام، إلا أن هذا الحكم لم ينفذ لأنه لم يكن يبلغ آنذاك، السن القانونية وهي ١٨ عاماً.

الصديق الآخر للسيد أحمد ورفيق دربه هو حجة الإسلام السيد مهدي إمام جماراني^(٢) وهو متولّي مسجد جماران، وكان غالباً ما يدعو عدداً من الخطباء الثوريين لإلقاء خطابات في هذا المسجد في مختلف المناسبات^(٣).

(١) بعد انتصار الثورة الإسلامية رأيت وحيداً مرة، حيث جاءنا إلى بيتنا يحمل رسالة من (منظمة المجاهدين) وطلب من السيد أحمد أن يعطيه وقتاً للقاء رجوي. وطلب مني تحديد موعد ليجري لقاء صحيفياً معه ولم يتم ذلك. لقد كان شاباً لطيفاً وودوداً وكان السيد أحمد يحترمه ويقول بشأنه: نحن نحترم مثل هذا الشاب لأنه صحي بكل شيء في مقتبل عمره للدفاع عن دينه وتحرير بلده.. وكان السيد أحمد يقول له أحياناً: هل لا زال أصدقاؤك يعتقدون أن أصحاب العوائم لا يشعرون بخطر الإمبريالية؟!!.

(٢) قام السيد مهدي إمام جماراني بعد انتصار الثورة الإسلامية بوضع المسجد والحسينية وبيتها وبيت شقيقه وشقيقته تحت تصرف الإمام الخميني (رض).

(٣) كان السيد أحمد يتذكر دوماً السيد إمام جماراني وزوجته السيدة فريدة محمدي ومدى استضافتهم الكريمة لضيوفهم وبعضهم كانوا من السياسيين الناشطين وتحملهم لشئ المشاكل والمصاعب بسبب ذلك.

الصديق الآخر للسيد أحمد ورفيق دربه، هو حجة الإسلام السيد محمد موسوي خوئييها. بعد نفي الإمام الخميني (رض) ذهب السيد خوئييها إلى النجف الأشرف إلا أنه عاد إلى قم بعد عام واحد بسبب رفض السلطات العراقية تمديد إقامته هناك.. بعد ذلك غادر قم إلى طهران وأقام في مسجد جوزستان في خيابان نياوران درساً لتفسير القرآن الكريم الذي كان يحضره الشباب بكثرة. وبعد اتساع نشاطاته ألقي القبض عليه ومكث لعدة أشهر في سجن اللجنة الأمنية ضد التخريب (لجنة مشتركة من السافاك والجيش والشرطة والدرك) ثم نقل إلى سجن أوين المركزي، حيث بعث من هناك نداءً إلى السيد أحمد من خلال زوجته السيدة (محبوبة خانم) أن يغادر إيران. وقد غادر السيد أحمد البلاد برفقة السيد محمد منتظرى سراً عبر الحدود الباكستانية. وكنت أراه أحياناً في بيتنا؛ وفي إحدى المرات كان السيد أحمد قد أخبر السيد خوئييها هاتفيأً، أن ملابسك تمت خياطتها وهي جاهزة في محل السيد عرب بور أرجو أن ترسل شخصاً لأخذها من هناك أو أبعتها لك. بعد مدة اعتقل السافاك السيد خوئييها وسألوه في التحقيق عن تلك الملابس ومن يخيطها، وأين، ومن يوصلها إلى طهران.. حيث كانوا قد شكّوا في أمرها وأن تلك الجمل التي قالها السيد أحمد هي ليست سوى شفرات سرية بينهما، وأصرروا عليه في التحقيق أن يكشف السر من ورائها!!.

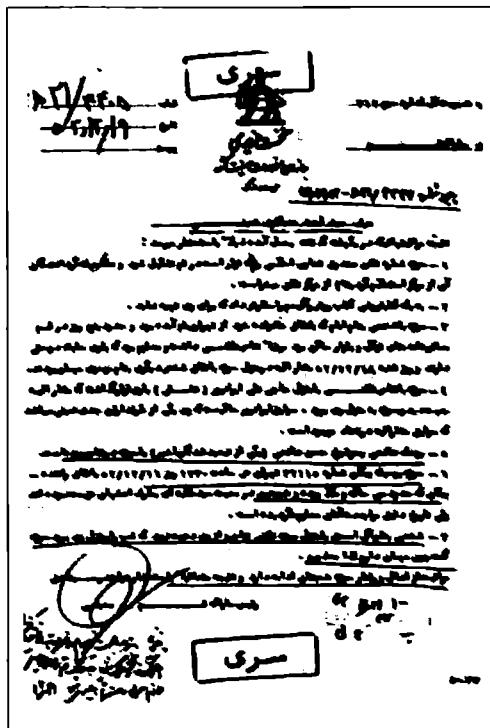
وانقل حادثة أخرى عن نصوت السافاك على المكالمات الهاتفية:
ففي إحدى المرات طلب السيد إشرافي صهر - الإمام الخميني (رض) - من شقيقته عبر الهاتف أن تبعث لهم إحدى (السلطين). أحضره السافاك وسألوه عن ما هو قصده من (السلطين)? فأوضح السيد إشرافي أن أهل

فُم اعتادوا على دعوة العمال الخدم بكلمات معينة، إما تُستخدم لوحدها أو تُلحق بأسمائهم فللرجال الخدم تستخدم غالباً هذه الكلمات: (مشهدي، كربلائي وأوستا) وللنساء الخادمات تستخدم كلمات (سلطان أو ننه أو مشهدي) وهكذا. وكان يقصد بالسلطانين إحدى هذه السيدات التي طلبتها لتساعد زوجته في البيت.

ومن الأصدقاء المقربين الآخرين هو حجة الإسلام السيد محمد خاتمي؛ حيث كنت أراه في منزل السيد صدوقى أو في بيتنا أحياناً؛ وبعد زواجه من ابنة خالتى السيدة «زهرة صادقى» توثقت علاقاتنا العائلية، وكانت أكثر البيانات التي تكتب ضد النظام المستبد البائد بقلمه.

ويعتبر حجة الإسلام محمد منتظرى الصديق الآخر للسيد أحمد الذي رأيته لأول مرة في بيروت في أول رحلة لنا إلى لبنان، وقد أشرت إليها آنفاً.

والصديق الآخر للسيد أحمد هو حجة الإسلام والمسلمين علي أصغر مرواريد الذي مكث لفترة في السجن قبل أن ينفى إلى مدينة خلخال (شمال غرب إيران)، وقد سافر أخي جواد برفقة السادة كروبي وحسن صانعي وموسوى خوئينيها للقاءه في المنفى، وكانت هذه اللقاءات مؤثرة كثيراً على معنويات المنفيين ومفرحة لهم، وقد نقل أخي جواد عن السيد مرواريد أنه قال: «كلما كان يأتي ضيف لزيارتانا يسأله السافاك عن شخصية الضيف القادم، وكنت أرفض ذكر أسماء الضيوف، كما كان يطلب من ضيوفه أن يخبروا باقي الشخصيات المنفية أن يرفضوا التوقيع يومياً في سجل الحضور لأن السافاك سيتمادون في طلباتهم إن لينا الطلب الأول لهم.



تقرير السافاك حول نشاطات الحاج شاطر
(علي إيرانبور)

والشخص الآخر في هذه المجموعة من الأصدقاء هو الحاج علي إيرانبور المعروف بـ (حاج شاطر) وكان يعمل خبازاً في مدينة قم ويدرك سيارة خاصة من نوع مرسدس يضعها غالباً تحت تصرف السيد أحمد وأصدقائه ليستفيدوا منها في رحلاتهم وتوزيع البيانات الثورية في المدن.. وكان السافاك قد أحضروه مرة وقالوا له: «أنت خباز وهؤلاء

الذين تصادقهم ليسوا من صنفك، فما هو الرابط بينك وبين أمثال أحمد الخميني وجاد الطباطبائي وموسى خوئيبيها، فهو لاء طيبة حوزة علمية وجامعيون؟! وعليك أن لا تصافق أحداً إلا إن كان من الخبازين أو القصابين»!!.

اعتماد (الحاج شاطر) أن يشتري عدداً من البطيخ الأصفر في الصيف ويرسلها إلى الإمام الخميني في النجف الأشرف لأنه كان يعرف أن سماحته يحب هذه الفاكهة الصيفية، ولا يوجد مثل جودتها في العراق، وكان السيد أحمد يقول مازحاً: «إن حاج شاطر يعتبر هذا العمل نوعاً من النضال ضد النظام المستبد لأن السافاك لو اطلع على ذلك لأحضره للتحقيق معه حتماً.. وقد بعث الإمام نداءً له أن لا يقوم



من اليمين: الحاج شاطر، حسن، والدي والسيد أحمد



السيد أحمد واقفاً بجانب سيارة الحاج شاطر

بمثل هذا العمل لأنه لا يرضى أن يتأنى أحد بسببه، ولكنه كان يقوم بذلك بكل عشق.

أتذكر ان حاج شاطر هو الذي علمنى مبادئ قيادة السيارة بسيارته الخاصة. ففي أحد الأيام وبينما كنت أتمرن على القيادة انحرفتُ بالسيارة عن الشارع الأصلى خشية الاصطدام بشاحنة كبيرة كانت قادمة من الأمام،

وسقطنا في منخفض صغير مما أدى إلى إصابته برأسه وخروج الدم من أنفه، إلا أنه تحمل كل ذلك برحابة صدر ولم يغضب أو يشكو من ذلك أبداً.

وكان السيد أحمد يصادق عدداً آخر من الأشخاص ويشاركونهم هموم الجهاد ضد النظام المستبد، وكنت قد سمعت بأسمائهم فقط مثل: آية الله عبد الرحيم ربانی شیرازی، آية الله محمد مهدي ربانی امشی، آية الله الشيخ حسن صانعی، وحجج الإسلام الشيخ فضل الله محلاتی والشيخ محمد علي رحمنی اللذين كانا مع السيد أحمد في دروس البحث والحوار في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، فضلاً عن السادة محمود دعائی، أسد الله خادمی، محمد حسن شریعتی المعروف بشیخ الشریعة، الشیخ املائی وأحمد مولایی وغيرهم.

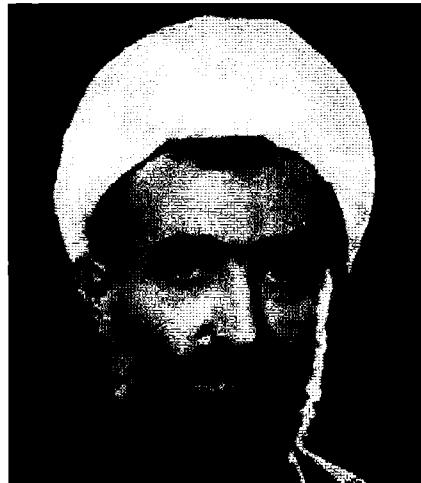
الصديق الآخر للسيد أحمد ورفيق دربه الجهادي هو آية الله عباس علي روحانی الذي تعرف عليه في عام ١٩٧٢م عندما زاره في بيته في محلة يخجال قاضي بمدينة قم وأخبره أن الشيخ رفسنجانی عرفه عليه ليؤمّن قسطاً من الحاجات المادية والمالية للجهاد ضد النظام المستبد البائد، من مصادر غير الوجوه الشرعية وسهم الإمام قدر الإمكان، وكان الدكتور بهشتی هو الذي عرّف الشيخ هاشمی رفسنجانی على الشيخ روحانی.

من الأشخاص الذين كان السيد أحمد قد التقى بهم سراً هو الدكتور علي شریعتی.. ففي أحد الأيام وصل الدكتور شریعتی إلى مدينة قم بدعوة من عدد من علماء الحوزة، واشترك السيد أحمد في الجلسة الحوارية المهمة معه. كذلك حضر السيد أحمد في جلسة أخرى عقدت بطهران بحضور عدد آخر من العلماء والشخصيات مثل الدكتور بهشتی

والدكتور محمد مفتح^(١) وحجة الإسلام موسوي خوئينيها والأستاذ محمد تقى شريعى، وتم التحاور حول المسائل الاعتقادية.



آية الله السيد الخامنئي



آية الله املشى

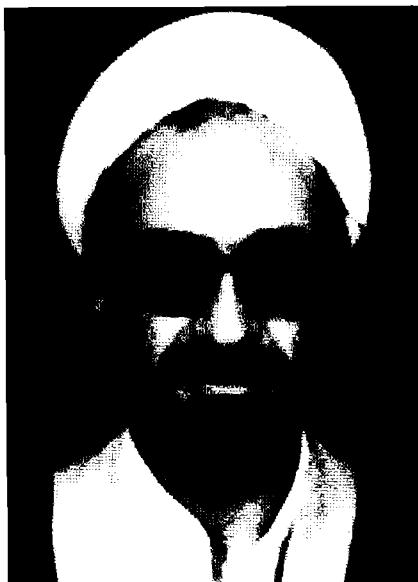
(١) ولد الدكتور محمد مفتح (١٩٢٨ - ١٩٧٩م) في مدينة همدان، وهو من تلامذة الإمام الخميني (رض) الذي عانى الكثير في طريق الجهاد ومقارعة النظام المستبد البائد سجناً وتعذيباً.. وأصبح إماماً لمسجد قبا عام ١٩٧٦م وكان هذا المسجد من أبرز المساجد التي لعبت دوراً مهماً في الثورة الإسلامية وكان أحد معاقلها الرئيسية.. وقد أعلن الدكتور مفتح في عام ١٩٧٧م أن صلاة عيد الفطر ستقام على أرض القيطرية (شمال طهران)، مما دعا القوات المسلحة ورجال الأمن للنظام البائد إلى احتلال المنطقة بشكل كامل ونشر عناصرهم عليها وذلك صباح يوم الخميس ٩/٧/١٩٧٧م.. إلا أن صلاة العيد أقيمت بكل روعة وحفاوة.. وبعد الصلاة سارت الجماهير الغاضبة في مسيرة كبيرة رفعت خلالها شعارات ضد النظام الملكي المستبد، وقد وصلت أخبار المسيرة إلى العالم عبر الإعلام.. بعد انتصار الثورة الإسلامية بعده أشهر استشهاد الدكتور مفتح الذي كان عميداً لكلية الشريعة بجامعة طهران برصاصات غادره أطلقها عناصر من مجموعة (الفرقان) المنحرفة.



آية الله الشيخ المتظري



حجۃ الإسلام الشيخ كروبي



حجۃ الإسلام الشيخ املائي



حجۃ الإسلام محمد متظري



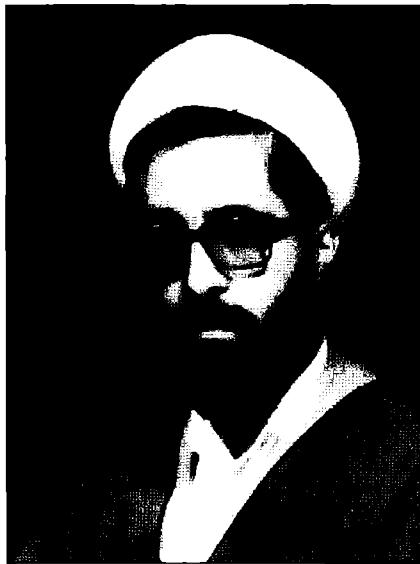
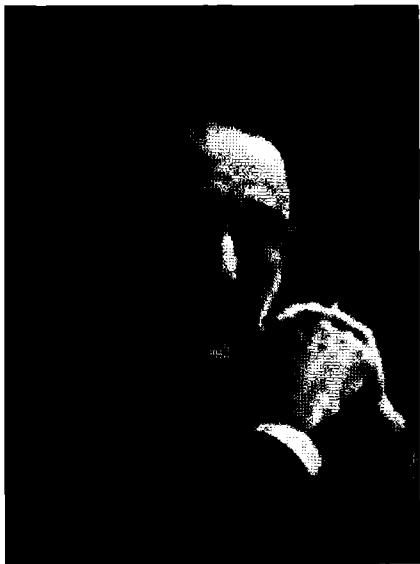
حجۃ الإسلام السيد هادي موسوی



حجۃ الإسلام السيد محمود دعائی



من اليمين: السادة حسين إمام جماراني، عبائي، موسوی خوئیتها، وهاشمی رفسنجانی في حفل زواج السيد مهدي إمام جماراني (جماران)



حجۃ الإسلام محمد خاتمي

آیة الله عیاس علی روحانی



من اليمين: السادة محمد حسن شريعتي، السيد أحمد وحسن كروبي

اعتماد السيد أحمد أن يطالع بإمعان كتب الدكتور شريعتي ويدقق فيها، وكان يعتبره مثقفاً واعياً بزمانه وعصره ويمكنه الارتباط بشكل جيد مع الشباب ويؤثر عليهم، مع الاحتفاظ بحقه في نقد بعض أفكاره وآرائه أو رفضها.

عرف الدكتور شريعتي أن له موافقين ومخالفين كثيرين، وفي أحد الأيام اجتمع عدد من موافقي الدكتور شريعتي ومناوئيه في منزل والدي، وتحاوروا حول أفكار واعتقادات الدكتور شريعتي، وكل منهم بدأ باتهام الآخر بعدم فهم الدين بشكل جيد، أو أنهم غير متدينين وهكذا.. مما دعا والدي لأن يدخل وسط جمعهم ويخاطبهم: اسعوا لأن تكونوا واقعيين ولا تغالوا في إصدار الأوامر المتسرعة والعاطفية على الآخرين وانصفوهم.

عندما كنا في النجف الأشرف خاطب السيد أحمد مرة أحد الأشخاص الذين كانوا يهاجمون الدكتور شريعتي بشدة ويدينه، قائلاً: «هل قرأت مؤلفاته؟»، أجاب: «كلاً، لأنني أخشى لو قرأتها سأكون من المدافعين عنه». فقال له السيد أحمد باندهاش: «إذن كيف تسمح لنفسك أن تخالف شخصاً لم تطلع على أفكاره وأقواله أصلاً».

الإرشاد غير المباشر

كان السيد أحمد إلى جانب نشاطاته الجهادية ضد النظام المستبد، منشغلًا بكل شوق في الدرس والبحث العلمي، بحيث لم يكن يغب عن الحصص الدراسية، وكان حضوره في الدروس مشهوداً ومؤثراً بسبب كفاءاته العلمية وذكائه الحاد، لذلك فإن السافاك كان يجهل الكبير عن نشاطاته السياسية. ولم يكن السيد أحمد معروفاً بخطاباته العامة إلا أنه اعتاد على الدخول في النقاشات والحوارات العقائدية داخل التجمعات



من اليمين: آية الله السيد محمود طالقاني،
المهندس مهدي بازرگان، آية الله مرتضى مطهرى

المستبد، مشيراً إلى الحوادث التي تجري في البلاد ومؤكداً أن تلك
الحوادث لا تناسب مع مكانة وكرامة الشعب الإيراني، مضيفاً أنها تهدد
الاستقلال الوطني وتعمق التبعية للأجانب.. وهكذا.

كان هناك شابان يجلسان في الكرسي الأمامي لنا ويستمعان بدقة
ل الحديث السيد أحمد، وعندما سمعت السيدة «فهيمة» (شقيقة السيد
أحمد) ذلك، أيضاً، سعت لأن تفهمنا أن هناك مستمعين آخرين في
الحافلة، وكان السيد أحمد يعرف ذلك وتعمّد أن يتحدث معي بهذا
الشكل ليوصل صوته للآخرين.

حينما كنا نريد أن ننزل من الحافلة، جاء الشابان إلى السيد أحمد
و قبلة وقالا له: «لم نكن نريد أن نتنصّت على حديثك، إلا أننا سمعنا
كلامك الشيق.. هل من الممكن أن نراك مرة أخرى؟».

وكنت أحياناً أسمع صوت السيد أحمد وهو يتباحث حول مختلف
القضايا العقائدية في المجتمعات التي كانت تعقد في بيتنا. ففي إحدى

الصغريرة غير الرسمية في
طريق الجهاد والكفاح،
ومتي شعر بضرورة ذلك.

ففي أحد الأيام كنا
في رحلة عائلية إلى
(دماؤند) داخل حافلة
برفقة الأخوات وأبنائهم؛
وببدأ السيد أحمد حديثاً
معي بصوت مرتفع نسبياً،
حول ضرورة الجهاد
والكفاح ضد النظام

الأمسيات سمعت السيد أحمد وهو يجيب على استفهام أثاره أحد الشباب الذي كان يشكك في القرآن الكريم ويدعى أنه كلام النبي الأكرم محمد (ص)، ولكونه إنساناً ذكياً للغاية، فقد استطاع أن يأتي بكلام يعجب الناس!! حيث سعى السيد أحمد كثيراً بكل قوة وإصرار، على إثبات أن جميع الآيات القرآنية ليست سوى كلام الله جل وعلا، وأنها كلها من الله سبحانه وتعالى، وليس كلام الرسول (ص). وكان شقيقتي جواد حاضراً في ذلك الاجتماع.

منظمة مجاهدي الشعب (خلق)

أثير الكثير من الحوارات والنقاشات خلال السنوات (١٩٦١ - ١٩٧١م) حول منظمة مجاهدي الشعب (خلق) في إيران، حيث كان لهذه المنظمة مؤيدون ومعارضون على حد سواء.. فالبعض من المجاهدين الثوريين كان يعتقد بضرورة الدفاع عنهم ومساندتهم لأنهم فضلاً عن تلقיהם دروس في أساليب النضال ضد النظام المستبد، فإن لديهم علاقات واسعة مع الفصائل الإسلامية الجهادية خارج إيران، وكذلك مع شخصيات علمائية داخل إيران مثل آية الله طالقاني^(١) ومطهرى ومنتظري.. إلا أن آخرين كانوا متربدين في القبول بهم، بل كانوا يتصدرون لأفكارهم، لذلك أثيرت الشكوك بشأن قبولهم أو رفضهم، وكانت تحدث أحياناً مشاكل ومنازعات بين الموافقين والمخالفين لهذه المنظمة بسبب ذلك لا سيما بعد أن رفض سماحة الإمام (رض) تأييدهم.

(١) ولد آية الله السيد محمود علائي طالقاني (١٩١٠ - ١٩٧٩م) في مدينة طالقان، وكان مخالفًا للنظام المستبد الحاكم في إيران، وتم اعتقاله مراراً بسبب ذلك وتعرض للتعذيب والفي. وللتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهاشم الثاني في نهاية الفصل.

أما حادثة عدم تأييد المنظمة من قبل سماحة الإمام (رض) فكانت كالآتي: في أوائل عام ١٩٧٢م التقى ممثل المنظمة في النجف الأشرف السيد حسين أحمدي روحاني المعروف بـ (كمال) مع الإمام الخميني (رض) وطلب من سماحته أن يؤيد المنظمة^(١)، فطلب الإمام منه أن يزوده بالكراسات والبيانات التي توضح مواقف المنظمة وعقائدها بشكل تفصيلي.. وبعد عقد عدة جلسات منتظمة واستماع الإمام لكل ما تحدث به المشار إليه حول مواقف المنظمة وعقائدها، أعلن سماحة الإمام بصراحة: لا يمكنني تأييدهم، لأنني أرى أن هناك أفكاراً التقاطية في عقائدهم.

نقل لنا أحد الحاضرين في ذلك الاجتماع أن سماحة الإمام (رض) كان ينظر إلى الأرض أثناء حديث المشار إليه ولم ينطق بأية كلمة.. وقد فسر البعض هذا التصرف بأنه يدل على مدى فراسة الإمام (رض) وحكمته، وكانوا يقولون: «لو كان الإمام ينظر إلى عيني المتحدث لكان هذا الشخص قد تمكّن من خلال نظرات الإمام أن يشخص ما هي النقاط التي أثارت اهتمام الإمام (رض) ولغير من النقاط التي يريد توضيحها أو أسلوب عرض الحديث من خلال التركيز على بعض الأمور دون غيرها.

يذكر أن شخصيات كبيرة وبارزة مثل السادة طالقاني، مطهرى، منتظرى، بهشتى، هاشمى وبازركان، كانوا قد طلبوا من سماحة الإمام (رض) أن يؤيد هذه المنظمة، بل كانوا يعاتبون بسبب عدم تأييد

(١) قبل هذا اللقاء، كلف السيد تراب حقشناس من أعضاء المنظمة من قبل آية الله طالقاني للقاء سماحة الإمام (رض)، حيث كتب السيد طالقاني رسالة بحبر سري عرفه للإمام، وعند لقائه الإمام وضعت الورقة في أناء ماء وتم الكشف عن الرسالة المتضمنة خط يد آية الله طالقاني بشأن مهمة مبعوث المنظمة (يمكن مراجعة الهاشم الثالث في نهاية الفصل).

تحقق الوعد الإلهي ﴿إِنْ تَصْرُّفُوا أَلَّا يَنْصُرَكُمْ وَيُئْتِيَنَّكُمْ﴾^(١) حيث أعاد الله سبحانه وتعالى سماحة الإمام (رض) ونصره في موقف حساس، تأكيد من خلاله مدى حكمة ودرائية قائد الثورة الإسلامية ومؤسس نظام الجمهورية الإسلامية في إيران.

وفي معركتك تلك الحوادث العصيبة فإن ذلك الموقف التاريخي لسماحة الإمام (رض) الذي سبب انزعاج بعض رجال الثورة أدى إلى إعطاء ذريعة وحجة بأيدي بعض المناوئين لسماحة الإمام ليتصيدوا هذه الحادثة ويسيخرونها لصالحهم، بل ويسعوا إلى استغلال مشاعر الشباب الثوريين وتحريكهم ضد الإمام. وقد سمعت آنذاك أنهم يقولون: «إن علماء الدين أساساً لا يعرفون أبداً معنى النضال المبدئي والتنظيمي، ولا يفهمون أبداً الزوايا المعقدة والمبهمة للإمبريالية»!!.

على أية حال، لقد مرت أياماً صعبة ومرة على السيد أحمد، حيث كنت أشعر بمدى قلقه بسبب ذلك، رغم تحمله وصبره الكبير.. وكانت، أيضاً، متربدة في رفضهم أو قبولهم، فعندما كنت أسمع عن نضالهم وكفاحهم ضد النظام أو تصلنا معلومات عن صمود ودفاع بعض قادتهم في السجون، كانت نظرتي تصبح إيجابية بشأنهم، ولكن هذه النظرة تصبح سلبية عندما أسمع عما يدور داخل تنظيماتهم الداخلية أو أطلع على عقائدهم ورؤاهم الفكرية.

رحلات السيدة (أم أحمد) إلى إيران

اعتادت السيدة (أم أحمد) خلال سنوات نفي سماحة الإمام أن تزور إيران أحياناً للقاء الأقرباء، وكانت هذه الرحلات تتم، غالباً، في فصل

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

الصيف، وتستغرق شهرين أو ثلاثة أشهر.. وكانت تأتي مرة كل عامين، حيث تsofar من النجف الأشرف بالسيارة برفقة أحد أعضاء المكتب حتى تصل إلى الحدود الإيرانية - العراقية، وبعد أن تجتاز الحدود تواصل رحلتها حتى تصل إلى بيت والدتها في طهران. وبعد زيارة أقربائها في العاصمة، كانت تsofar إلى مدينة قم وتمكث فيها لحوالي أسبوعين حيث تستقر إما في مبني مكتبة الإمام السابقة أو في بيتنا.

كما تعودت السيدة أم أحمد أن تجلب معها الهدايا المتنوعة من النجف الأشرف، مثل الأقمشة والملابس وشرائف طاولة الطعام وسفرة المائدة، وهدايا أخرى مناسبة لذوات الذوق الرفيع.

في أحد الأيام وبعد أن عادت السيدة أم أحمد من زيارة حرم السيدة فاطمة المعصومة (ع) قالت: «لقد زرت اليوم المدرسة الفيوضية^(١).» فسألها السيد أحمد باندهاش: «وما هو الشيء الذي لفت نظرك هناك؟»؟ أجبت: «لا شيء هناك يلفت نظري، ولكن الأخبار المرتبطة بذلك المكان تتميز بالجاذبية عند سماحة الإمام.. فقد اعتاد والدك أن يستريح قليلاً خلال برنامجه اليومي، فيطلب مني أن أتحدث معه لعدة دقائق حول مختلف الأمور، لذا، فإن مشاهداتي اليوم في المدرسة الفيوضية، سأسردها على سماحته خلال مثل هذه الأوقات.

أحاديث السيدة أم أحمد

خلال تلك الأيام التي كانت تقضيها معنا السيدة (أم أحمد) في مدينة قم، كنت أستغل فرصة اللقاء معها لتسرد لي ذكرياتها الشيقة

(١) تأسست المدرسة الفيوضية في عهد السلطان القاجاري فتح علي شاه (يمكن مراجعة الهاشم الرابع في نهاية الفصل).

ومنها : تحدثت لي عن حياتها في بيت جدها (آقا ماماني) وجدتها «خانم ماماني» وأوضحت أن أمها كانت البنت الوحيدة لعائلتها ، لذلك كانت مدللة داخل أسرتها.

وعندما تزوجت أمها ما لبست بعد عام تقريبا ، أن ولدتها في عام ١٩١٣م وولدت أختها «شمس آفاق» بعدها بعام. لذا اقترحـت جدتها على أمها أن تعهد بمسؤولية تربيتها بدلاً عنها لتعيينها ، وبالتالي ليخرجـوا من وحدتهم ويسلـوا معها. وهكـذا تربـت في بـيت جـدها وجـدتها.. وأضـافت تقول : «كان والـدي من علمـاء الدين المـتعصـبين ، حيث لم يكن يـسمـح باـستخدام المـلعـقة والـشوـكة أثناء تـناـول الطـعـام لأن هـذه الطـرـيقـة في تـناـول الطـعـام لم تـكـن شـائـعة بين أـغلـبية المـسـلـمـين آنـذاـك.. كما إـنـي كـنـت اـخـتـلـف مع أـخـواتـي من نـاحـية وـسـائـل الـبـيـت وـالـمـلـابـس وـأـسـلـوب الـحـيـاة الـيـومـيـة ، فـيـنـما كـانـت أـخـواتـي تـعيـش حـيـاة بـسيـطـة لـلـغـاـيـة ، كـانـت الـظـرـوف الـمـهـيـأـة لـي كـشـراء الـمـلـابـس وـالـأـحـذـية الـرـاقـيـة وـالـغـالـيـة ، لا تـقـارـن أـبـداً مع غـيرـي من شـقـيقـاتـي ». .

مرحلة طفولة السيدة (أم أحمد)

تحدثـت السـيـدة (أمـ أحمدـ) مـرـة عن طـفـولـتها وـقـالتـ: «ذهبـتـ في أحدـ الأـيـامـ، عـنـدـمـاـ كـنـتـ طـفـلـةـ، مـنـ بـيـتـ جـدـتـيـ «خـانـمـ مـامـانـيـ» إـلـىـ بـيـتـ أـبـيـ، وـكـانـ يـزـيـنـ ضـفـائـرـيـ مشـطـ صـغـيرـ مـرـصـعـ بـأـحـجـارـ ثـمـيـةـ بـيـضـاءـ. وـفـجـأـةـ رـأـيـتـ شـقـيقـاتـيـ تـهـمـسـ كـلـ مـنـهـنـ بـإـذـنـ الـأـخـرـيـ وـذـهـبـنـ نـحـوـ الـدـتـيـ وـقـلـنـ شـيـئـاـ فـيـ أـذـنـهـاـ. وـهـكـذاـ.. وـعـنـدـمـاـ عـدـنـاـ إـلـىـ الـبـيـتـ قـالـتـ جـدـتـيـ لـيـ: «إـنـ أـمـكـ هـمـسـتـ فـيـ أـذـنـيـ شـيـئـاـ وـأـخـبـرـتـنيـ أـنـهـ فـيـ الـمـرـةـ السـابـقـةـ التـيـ ذـهـبـنـاـ فـيـهـاـ إـلـىـ بـيـتـهـمـ كـانـتـ «قـدـسـيـ»ـ قـدـ وـضـعـتـ عـلـىـ ضـفـائـرـهـاـ دـبـوـسـيـنـ جـمـيلـيـنـ أـعـجـبـتـ بـهـمـاـ شـقـيقـاتـهاـ وـقـدـ أـشـرـيـتـ لـهـنـ ماـ يـمـاثـلـهـ بـسـعـرـ أـرـخصـ وـسـرـرـنـ

به وقلن أنهن سيضعنه على شعرهن عندما تأتي «قدسى» إلى البيت؛ ولكنني رأيت أنكم أشتريتم لها شيئاً آخر أجمل من السابق. وقد أشارت والدتي على جدتي أن لا يستمر هذا الحال، لأن ذلك سيسبب لها مشاكل في المستقبل؛ إلا أن جدتي كانت تشتري لي أحذية غالبية الثمن لا تشتري أمي حتى أمثالها، ورغم ذلك لم أكن افكر بذلك أبداً، بل كنت في أجواء أخرى».

كذلك تحدثت عن ظروف تحصيلها العلمي وقالت: «إن جدي وفر لي فرصة التحصيل العلمي ومواصلة الدراسة في أفضل المدارس وكانت أذهب إلى المدرسة بعربة خاصة وأدرس اللغة الفرنسية بشكل جيد، كذلك كنا نسافر مع جدي وجدتي أحياناً إلى مازندران (شمال إيران). وكانا يمتلكان الكثير من البيوت والأراضي هناك، وكان عندهم بيت واسع رائع في مدينة بابلسر (على بحر قزوين).. وعندهما كانت السيارات الصغيرة قد دخلت إلى إيران لتوها، اشتري جدي إحداها وسافرنا بها إلى شمال إيران. وكان ذلك رائعاً بالنسبة لي، وأنذكر أن الحيوانات كانت تخاف السيارات وتهرب منها، وأحياناً تسقط في الوادي وهي تهرب، ولا زلت أنذكر تلك المناظر المؤلمة والمرة.. لقد تمرضت مرة ونحن في مازندران حيث ارتفعت حرارة جسمي كثيراً مما دعاهم ليطلبوا طبيباً خاصاً من إحدى المدن القريبة ومكث عندنا لأسبوع كامل حتى تماثلت للشفاء بشكل تام». وأضافت تقول: «وأنذكر، أيضاً، أنه بينما كنت جالسة مع جدي وجدتي في باحة البيت وكان عمري سبع سنوات، ظهرت طائرة تشبه الطائر الكبير في السماء وقال جدي: إنه المنطاد الذي قيل أنه دخل أجواء إيران حديثاً؛ وأضاف مخاطباً جدتي: ينبغي أن ترتدي العباءة حتى لا يروك بالمنظار.. وهذا يدل على مدى تعصب جدي وحرصه على جدتي».

قصة الخطوبة حتى الزواج

سردت السيدة (أم أحمد) لي قصة زواجها من سماحة الإمام الخميني (رض) من الخطوبة وحتى عقد القران التي استغرقت عشرة أشهر، فقد سألتها: كيف يمكن أن تتفق بنت مثلك على الزواج من طالب علوم دينية قادم من مدينة خمين؟ فأجبت تقول: « حينها كان والدي قد انتقل لمدينة قم لدراسة العلوم الدينية وسكن لخمس سنوات في زقاق (آقا سيد اسماعيل) إلا أنني بقيت في طهران عند جدي وجدي.. وقد تقدم العديد لخطبة اختي الأصغر «شمسي» التي كانت تسكن مع والدي في قم؛ فقال أبي لوالدتي إنه من الأفضل أن تأتي «قدسى» إلى قم عندنا، لأنه إن لم نزوج البنت الأكبر «قدسى» أولاً لا يمكن تزويج الأصغر «شمسي»؛ وهكذا أخذوني إلى مدينة قم بعد موافقة جدي وجدي على ذلك.. وبعدها بدأت الوفود تأتي إلى بيتنا يطلبون يدي للزواج ومنهم السيد أحمد لواساني الذي تقدم بالنيابة عن سماحة الإمام» (رض).

وأضافت السيدة تقول: «ذكر أن السيد أحمد لواساني سأله الإمام يوماً: لقد حان وقت زواجك، لماذا لا تتزوج؟ أجابه الإمام: لم أتعثر على البنت المناسبة حتى الآن.. سأله السيد لواساني: ما هي صفات الزوجة التي تريدها؟ فذكر له الإمام صفات الزوجة التي يريد الاقتران بها.

«فقال السيد لواساني: أظن أن الصفات التي ذكرتها متوفرة لدى بنت السيد ثقفي كما ذكرت زوجتي التي كانت قد رأتها.. فأجاب السيد الإمام: أعتقد أن رأيك صائب لأنه لا يُتوقع من السيد ثقفي إلا مثل هذه البنت.

«وبعدها تم التقدم للخطوبة إلا أن الجواب كان النفي.. بعد عدة

أشهر طلب السيد الإمام من السيد لواساني أن يكرر الخطوبة مرة أخرى، وكان الجواب بالنفي أيضاً؛ وحينها كان والدي قد أنهى تحصيله العلمي في قم وعدنا إلى بيت جدتي في طهران.. إلا أن السيد لواساني وتلبية لطلب الإمام سار في طريق قم - طهران لعدة ساعات بوسائل النقل القديمة المتوفرة آنذاك حتى وصل بصعوبة إلى بيت أبي. وفي آخر مرة حصل السيد لواساني على جواب النفي، كان قد سأله والدي عن سبب ذلك، فأجابه بالقول: إن جدها وجدتها خالفاً هذا الزواج وأنا احترم رأيهما، حيث يقولوا إن البنت تربت في أجواء مرفهة ولا يمكن أن تتحمل حياة طلبة العلوم الدينية، كما أنهما قالا: الأهم من كل ذلك أننا لا نعرف شيئاً عن أسرته، وهل تزوج قبل هذا؟ وهل عنده أولاد في مدينة خمين؟.. فأجاب السيد لواساني: طبقاً لمعرفتي به أظن أن لا داعي لهذا القلق، ولكن للتأكد أكثر سأسافر بنفسي إلى مدينة خمين لأتتحقق عن كثب حول تفاصيل حياته وأسرته وأحصل على أجوبة مقنعة لاستفساراتكم التي أثرتموها.

«وهكذا سافر السيد لواساني إلى مدينة خمين، وبعد عودته نقل لوالدي نتائج مشاهداته وتحقيقاته هناك بالقول: إن أسرته أصيلة ومضيافة وكريمة وحسنة التعامل مع الناس وذات سمعة جيدة للغاية؛ كما أن وضعهم المالي جيد، وشاهدت في بيتهم طباخاً وخدماً. كذلك، فإن بيتهم كبير وباحاته واسعة، لذا لا داعي لقلق النساء أبداً بهذا الشأن.. وأضاف قائلاً: لقد سألت شقيقيه السيدتين (هندي وبسنديدة) حول أخلاقه وتعامله وعائداته المالية وهل أن له حصة في هذه البيوت التي رأيتها هناك؟ وهل سبق له أن يتزوج؟ فأجابا: أنه شخص متدين وملتزم للغاية وأن أحد هذه البيوت يعود له ويصله ثلاثون توماناً شهرياً كحصة له من الإرث ولم يتزوج حتى الآن أبداً».



آية الله السيد بستنديدة



السيد نور الدين هندي

وأضافت تقول: «رغم استماعنا لهذه الأمور إلا أن رأينا لم يتغير وأصر جدي وجدي على رأيهما المخالف لهذا الزواج؛ حتى حان ذلك اليوم الذي ذهب والدي للسيد لواساني وطلب منه أن يذهب مرة أخرى إلى طهران ويكرر الخطوبة للمرة الأخيرة، وإن سمع جواباً بالنفي، فلا بدّ أن يعتبر الأمر نهائياً لا رجعة فيه، لذلك سافر السيد لواساني إلى طهران».

الأحلام المصيرية

استغرقت السيدة أم أحمد في سرد ذكرياتها مشيرة إلى أحلام رأتها في المنام بهذا الخصوص حيث قالت: «لم أكن أؤمن كثيراً بالأحلام ولم أكن أعتبرها أحلاماً صادقة، إلا أنني غيرت رأيي شيئاً فشيئاً بشأنها». طلبت من السيدة أن تشرح لي تفاصيل تلك الأحلام^(١) فقالت: «عندما طلب السيد الإمام يدي من خلال السيد لواساني رأيت في المنام

(١) لقد سردت السيدة أم أحمد تفاصيل هذه الحادثة أمام آية الله الخامنئي عندما زارها في حزيران ٢٠٠٧ م (في ذكرى رحيل الإمام الخميني) كالعادة في كل عام بعد أن طلب منها ذلك.

عجوزاً كانت تسير في الزقاق، فسألتها: أين تذهبين؟ فقالت: أذهب لرؤية السيدة فاطمة الزهراء (ع)، فقلت لها: إذن خذيني معك!!.. فقالت: لنذهب معاً.. تحركنا معاً ودخلنا بستانًا فرش في إحدى زواياه بساطاً واسعاً جلست عليه سيدة ترتدي ملابس خضراء وهي تحضن طفلاً، سلمت على ووضعت الطفل في المهد، فبكى الطفل، فذهبت إليه واحتضنته ونظرت إلى وجهه فسكت الطفل. وضعت تلك السيدة كأساً من العصير أمامي فأردت تقديمها للسيدة العجوز إلا أنها رفضت أن تأخذه وقالت: «كلا، لقد جلبوه لك، ثم أخذت الطفل مني وجلست أمامي، وهنا استيقظت من النوم.. سررت تفاصيل الحلم لإحدى قريباتي فقالت: إنها السيدة فاطمة الزهراء (ع)، حيث قبلت بك كثة لها وسيكون ذلك السيد زوجك حتماً ويكون طفلك البكر صبياً أيضاً.

«وبعد عدة ليالٍ رأيت حلماً آخر حيث دخل رجل إلى بيتنا وسأل: هل أنت جاهزة أيتها السيدة؟ قلت: نعم.. خرجت من البيت ورأيت جملاً يجثم في أول الزقاق ولجامه بيده أحد الرجال العرب وأفراد أسرتي يقفون إلى جانبه، فأجلسوني على ظهر ذلك الجمل وودعني، فتحرك الجمل واجتاز محلة (آب سردار)^(١) حيث هناك بيتنا، ثم خرجت من المدينة.

«بعد عدة أيام رأيت للمرة الثالثة حلماً آخر، حيث دخلت غرفة كان يجلس في صدرها أربعة أشخاص، ورأيت العجوز التي رأيتها في الحلم الأول تقف في إحدى الروايا وعرفتني على الحاضرين؛ وأشارت

(١) محلة (آب سردار) تقع عند تقاطع شارعي (مجاهدي الإسلام) و(إيران) في المنطقة الثانية عشرة من بلدية طهران، وأن سبب تسمية هذه المحلة يعود إلى أن شخصاً ثرياً اسمه (آقا بالا خان سردار) حفر في أراضيه الواسعة بثراً وضعه في خدمة جميع الناس.

إلى أحد الحاضرين قائلة: إنه الرسول الكريم محمد (ص) ويقف على يمينه الإمام علي (ع) بعمته الخاصة والمتميزة كما يقف الإمام الحسن والإمام الحسين (ع) على يساره. فرحت كثيراً لذلك المشهد، فقالت العجوز: لماذا تفرحين وأنت لا تحبين هؤلاء؟! قلت: لماذا لا أحبهم، فأنا أحبهم كثيراً، إنه رسولي الأكرم محمد (ص) وأئمتي الأطهار (ع).. وفجأة استيقظت من النوم، فسردت الحلم لجدي فقالت: يبدو أن السيد سيكون من نصيبك ولن يجدني بعد الآن معارضتنا لذلك.

«بعد ثلاثة أيام جاءنا والدي وقال: جئت حتى أكمل الحجة مع السيدة «قدسي» وأنهي هذه الحكاية.. فالشاب الذي تقدم للخطبة هو من أسرة أصيلة وعريقة ويتميز بخصلتين قيمتين للغاية الأولى أنه شخص متدين وملتزم جداً والثانية يتميز بذكاء حاد ويطالع دروسه بشكل جاد، ولا بد للسيدة «قدسي» أن تقدر مثل هاتين الخصلتين وقد جئت إليكم حتى أسمع الجواب النهائي بنفسي.

«لقد خجلت كثيراً وتذكرت الأحلام التي رأيتها في المنام فضلاً عن آخر جملة نطقتها جدي بعد الحلم الثالث، وتعتمدت في التفكير والتزمت الصمت. حمل والدي صحن الحلويات الذي وضعته جدي أمامه وقال: سأتناول من هذه الحلويات احتفاءً بسكتوت ابنتي وسكتتها هو علامه رضاها.

«وهكذا نقل ردا الإيجابي للسيد لواساني الذي غادرنا فوراً إلى مدينة قم، وبعد عدة أيام وصلت أسرة العريس من خمين إلى طهران».

اللقاء المخفى

أضافت السيدة (أم أحمد) تقول: عندما وصل السيد الإمام وأشقاوه إلى بيتنا لأداء مراسم الخطوبة وعقد القران، طلبت والدتي من

عامل البيت أن يرتب الأجواء حتى ترى صهرها المستقبلي عن قرب، فاقتنع بالفكرة ووعد بذلك قائلًا: سأقوم بترتيب الأمور حتى تتمكنني وابنك العروس من رؤية العريس بعد أن أرسل العامل القادر معهم السيد (مشهدي مسيب) إلى السوق لشراء علبة كبريت وتدخلان في الغرفة المجاورة وتشاهدانه من خلال جانب النافذة التي تفصل الغرفتين.. وأضافت: ونُفذت الخطة وتمكنت مع والدتي من رؤية العريس القادر من مدينة خمين مع أشقائه وأقربائه. وقد عرف العامل أن إرساله إلى السوق لم يكن سوى ذريعة لإبعاده مؤقتاً عن البيت وتوفير الظروف المساعدة لتنفيذ الخطة.

سالت السيدة: «هل أعجبك السيد الإمام؟» فقالت: «أجل، أتذكر أنه كان شاباً ضعيفاً وبشرة وجهه تميل إلى الصفرة.. بالطبع، فإن، شكله الظاهري لم يكن مؤثراً على رأيي به لأن سبب اختياري له كان شيئاً آخر»^(١).

مراسيم عقد القران

تحدثت السيدة (أم أحمد) عن مراسيم عقد القران قائلة: «تمت مراسيم عقد القران وقراءة صيغة العقد في حرم السيد عبد العظيم الحسني (ع) في مدينة ري (جنوب طهران) في عام ١٩٢٩م بحضور السيد مرتضى بسنديدة الشقيق الأكبر للسيد الإمام والسيد نور الدين هندي (الشقيق الآخر للإمام) والعامل الخاص للأسرة (مشهدي مسيب) والسيد أحمد لواساني، وبلغت قيمة المهر ألف تومان.

«ولم تحضر أي من النساء من جانب أسرة العريس في مراسيم

(١) يبدو أنها كانت تشير إلى الأحلام التي رأتها في المنام كما ذكرنا آنفاً.

العقد لأن والدة السيد الإمام كانت متوفاة وشقيقة سماحته وزوجة السيد بسنديدة كانتا قد ولدتا توأً، ولم تكن الظروف ملائمة لسفرهن إلى طهران».

شراء لوازم العقد

ذكرت السيدة (أم أحمد) أنه تم شراء قطعتي قماش واحدة من المخمل والأخرى من الحرير وخاتم ثمين وقرطين من الذهب المرصع بالياقوت الأحمر ولوازم أخرى، قام بشرائها أحد أصدقاء السيد الإمام من السوق القريب من الحرم.

سألت السيدة: «هل أعجبكم ما تم شراؤه من لوازم آنذاك»؟ فأجابت: «أجل فقد استخدمت قماش المخمل كغطاء عند النوم لأن لونه لم يكن يناسب غير ذلك».

بيت الزوجية

تحدثت السيدة أم أحمد كذلك عن أثاث البيت الذي استقروا فيه بعد الزواج بالقول: «استأجر السيد الإمام بيته بالقرب من محلة بامنار^(١)، زقاق ميرزا محمود الوزير، وبعد عدة أيام من مراسم العقد، تم تجهيز البيت بالمستلزمات الالزمة والأثاث المناسب وبدأتنا حياتنا الزوجية المشتركة في شهر رمضان المبارك.. ومكثنا لشهرين في هذا البيت قبل أن ننتقل إلى مدينة قم بسبب بدء الدروس هناك.

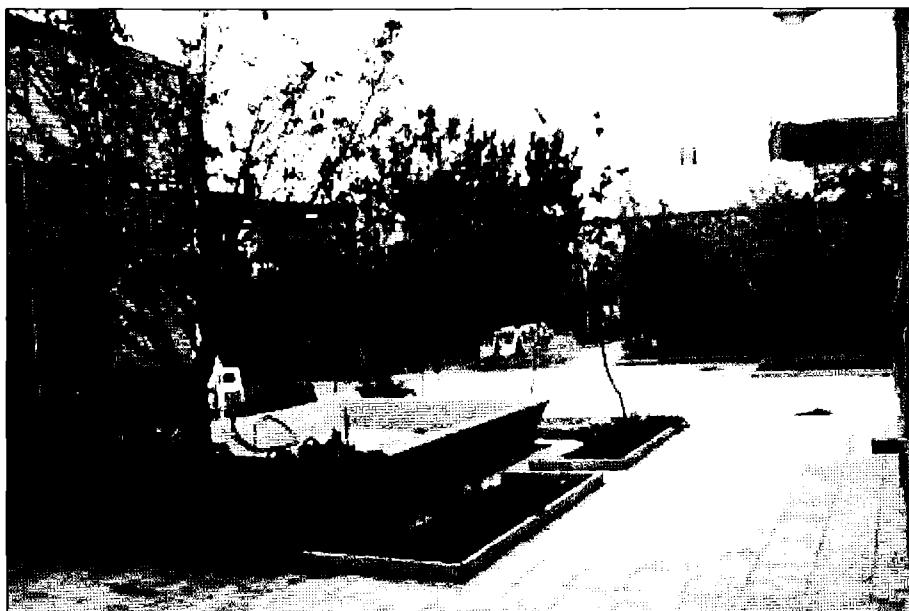
(١) محلة بامنار إحدى مناطق طهران القديمة وتقع في المنطقة الثانية عشرة من بلدية طهران (وسط المدينة)، ومركز هذه المحلة هي منارة تعود للقرن الثالث عشر الهجري؛ وفي عام ١٩٢٣ م تم تجهيز هذه المنطقة بخطوط الهاتف وهي أول منطقة في طهران تجهز بالهاتف.



أول بيت سكنه الإمام الخميني قدس سره بعد الزواج في مدينة قم، شارع أرم



الباحة الخارجية لبيت الإمام الخميني قدس سره



جانب آخر من نفس البيت



جانب آخر من نفس البيت



جانب آخر من نفس البيت

«كان البيت يتكون من ثلاثة غرف، اثنتان منها في الداخل خصصتا لسكننا والثالثة في الخارج خصصت لاستقبال الضيوف وتردد أصدقاء السيد الإمام. وتم تجهيز الغرفة الثالثة بأثاث جلب من بيت والدي حيث أرجعناه إليهم عند انتقالنا إلى مدينة قُم».

طلبت من السيدة (أم أحمد) أن تتحدث حول أثاث البيت والمستلزمات التي تم تجهيزه بها فقالت: «تم تجهيز البيت بكافة المستلزمات المناسبة والأثاث اللازم مثل قطعة من السجاد بمساحة ١٢ متراً مربعاً، وبساطين جيدين، وأربعة مساند، وفرش وأغطية وشرائف، ومدفأة، وأواني ولوازم مطبخ، وملاعق وشوكلات وسکاکین فضية، (لم يسمح السيد الإمام استخدام الأواني والملاعق والسكاكين الفضية) ودورق شاي وسماور، وستائر، وأربعة صناديق مغطاة بالمخمل

والحرير، ومناشف ولوازم الاستحمام وغيرها». واصلت السيدة حديثها بالقول: «مع بدء الدروس في حوزة قُم العلمية، جمعنا أثاث البيت واستعدّينا للانتقال إلى هناك. وقد حزنت كثيراً بسبب وجوب ابعادي عن عائلتي، وأن انتقل إلى مدينة لم أكن أحبها.

«استأجر السيد الإمام سيارة صغيرة وانطلقنا نحو مدينة قُم، ورغم أنني كنت دائماً أحب السفر إلا أنني هذه المرة بكيت طوال الطريق حتى وصلنا إلى المدينة».

«وكان السيد الإمام قد استأجر بيته في شارع ارم بمدينة قُم، وكان البيت فيه أربع غرف، اثنان منها عند المدخل تم استخدامهما لاستقبال الضيوف الرجال، والغرفتان الداخليةتان خصصتا لسكننا، وقد صادقت صاحبة البيت شيئاً فشيئاً وقضينا معاً لحظات سعيدة وهانئة».

«في أول رسالة بعثتها لوالدي كتبت أقول: «رغم إني ابتعلت بالغربة وبيؤلمني ابعادي عنكم، إلا أنني وجدت صديقة جيدة وطيبة، كما أن السيد الإمام استأجر لي بيته جميلاً فيه أربعة عشر نوعاً من الثمار والفاكهة، منها: العنب بأنواعه، والتين الأسود والأصفر، والرمان، والدراق، والسفرجل، والإجاص، والتفاح، والمسمّش، والكرز وغيرها. لذا أرجو أن لا تقلقاً بشأنني أبداً».

«وهكذا مكثنا لعامين في هذا البيت حيث ولد ابني البكر مصطفى فيه في عام ١٩٣٠م».

أسرة السيدة (أم أحمد)

واصلت السيدة (أم أحمد) حديثها حول أسرتها مشيرة إلى جدها آية الله الحاج ميرزا أبو الفضل ثقفي تهراني ابن آية الله ميرزا أبو القاسم



آية الله ميرزا أبو الفضل ثقفي تهراني
(جد السيدة أم أحمد)

الدينية حيث هاجر إلى مدينة قم عام ١٣٤١ هـ. ق وמקث هناك عدة سنوات، وحضر في درس خارج الأصول لآية الله الحاج الشيخ عبد الكريم حائری یزدی، وتلقى الفلسفة عند آية الله الحاج السيد أبو الحسن رفیعی قزوینی، ثم عاد إلى طهران، وسكن في محلة بامنار وانشغل بالتدريس وأصبح إماماً للجماعات في مسجد صالحية المعروف بمسجد بامنار»؛ وذكرت أسماء مؤلفات والدها^(٣).

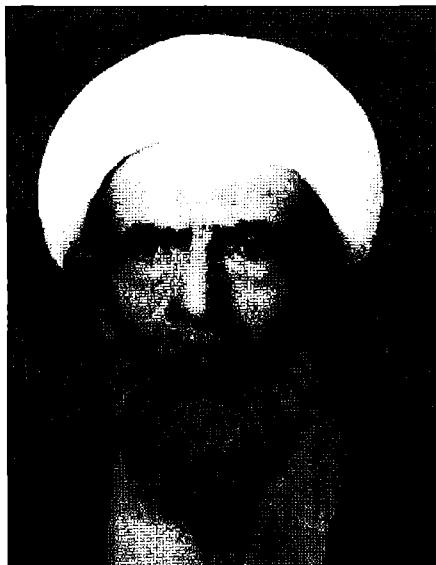
(١) كان آية الله ميرزا أبو القاسم كلانتر والياً لطهران وقد منح لقب كلانتر بسبب ذلك. ولد في الثالث من ربيع الثاني ١٢٣٦ هـ. ق وتوفي في الثالث من ربيع الثاني عام ١٢٩٢ هـ. ق. له عدة مؤلفات منها كتاب (مطارات الانظار) وتقريرات درس الشيخ الانصاري حول الاستصحاب والتعادل والتراجح.

(٢) للتعرف على مؤلفات آية الله ميرزا أبو الفضل ثقفي تهراني يمكن مراجعة الهاشم الخامس في نهاية الفصل.

(٣) للتعرف على مؤلفات آية الله ميرزا محمد ثقفي تهراني يمكن مراجعة الهاشم السادس في نهاية الفصل.

كلانتري تهراني^(١) حيث وصفته بأنه كان شخصية ضالعة في الفقه والأصول والفلسفة والأدب، وذو ذاكرة قوية للغاية وله عدة مؤلفات^(٢).

كذلك تحدثت السيدة عن والدها آية الله الحاج ميرزا محمد ثقفي تهراني ووصفت أنه شخصية حسنة الطالع والشكل، وقالت: «ولد في عام ١٣١٦ هـ. ق في طهران وانشغل بدراسة العلوم



آية الله ميرزا محمد ثقفي تهراني (والد
السيدة أم أحمد)

سألت السيدة (أم أحمد) عن سبب انفصال والدتها عن والدها فأجابت: «لقد تزوج والدي للمرة الثانية، وقرر أن يُسكن زوجته الثانية مع أبنائهما من زوجها الأول بالقرب من بيت والدتي، فانزعجنا جميعاً.. وعندما سمع السيد الإمام هذا الخبر انزعج هو، أيضاً، وذهب إلى والدي وتحدث معه بالتفصيل، إلا أن هذا الحديث لم يؤثر عليه، لذلك تألمت والدتي

كثيراً وانتقلت للسكن في بيت آخر، وكانت آنذاك عندها ثلاثة أصهار، فضلاً عن أن اختي الصغيرة «مينو» وأخي الوحيد (رضا) لم يكونوا قد تزوجا بعد».

أضافت السيدة تقول: «لم تلتقي والدتي مع والدي أبداً بعد تلك الحادثة، كما أن الأخوة والأخوات تضامنوا جميعاً مع الوالدة ولم يذهبوا لزيارة والدهم إلا نادراً، وفي المقابل كان أبناء والدي من زوجته الثانية يحترمون والدتي ويهتمون بها كثيراً.

«وكنا نجتمع غالباً في بيت الوالدة التي كانت تدير حياتها الخاصة بشكل مناسب بسبب مدخولها المالي الجيد.. وعندما كنت أعود من النجف الأشرف إلى إيران، كنت أذهب إلى بيت الوالدة، وكان والدي يأتي إلى هناك لرؤيتها، إلا أن والدتي لم تكن تحضر ذلك اللقاء، وكنت أقضى يوماً كاملاً في بيت والدي.. والمملفت أن والدي ووالدتي كانوا أبناء حالة وتزوجا بعد محبة متبادلة بينهما».

كذلك وصفت السيدة (أم أحمد) شقيقها الدكتور رضا بأنه «إنسان مؤدب وذكي وخلوق ومذوق، وكان السيد الإمام يحبه كثيراً، وكان يأتي أحياناً إلى بيتنا في مدينة قم في أيام العطلة وقد تخصص في اللغة والأدب الفارسي، وكان من أصدقاء الدكتور معين^(١) وهو حالياً أستاذ الأدب الفارسي في الجامعة، وزوجته السيدة «فرهمند علي آبادي» من أسرة مرفهة وعصيرية، وعندهما صبي وبنت واحدة».

كما قالت السيدة لي: «شقيقتي الأولى هي السيدة «شمس آفاق»، وقد تزوجت الدكتور علوى، وكان طيباً ملتزماً دينياً ولهمَا ولدان وثلاث بنات، وقد توفي الدكتور علوى في شبابه، وهاجر أولادها إلى أوروبا وأمريكا^(٢) وعاشت وحيدة مع والدتها». وأضافت تقول: «أختي الثانية هي «نجم الزمان» وتزوجت العقيد برهان آزاد، وكان هذا زواجه الثاني ولديه صبي وبنت من زوجته الأولى». وقد وصفت السيدة (أم أحمد) شقيقتها السيدة «نجم الزمان» بأنها نموذج الصبر والتدبر والعقل، وأضافت: «رغم أن زوجها قد توفي في شبابه إلا أنها تعهدت بتربية ابنها وبناتها الثلاثة، فضلاً عن ابني العقيد من زوجته الأولى، ونشرت بينهم أجواء المحبة والمودة والاحترام التام».

(١) ولد الدكتور محمد معين (١٩١٨ - ١٩٧١) في مدينة رشت (شمال إيران) وأمضى مرحلة الطفولة والفتولة في مسقط رأسه قبل أن يهاجر إلى طهران ويواصل تحصيله العلمي في المرحلة الثانوية في مدرسة (دار الفتوح) ويحصل على شهادة الدكتوراه في الأدب الفارسي من جامعة طهران. وكان أول من حصل على هذه الشهادة في إيران. ثم أصبح رئيساً لمؤسسة المعجم الفارسي في عام ١٩٥٧م وبقي في هذا المنصب حتى أصيب بنبوة قلبية في عام ١٩٦٦م واغمى عليه وهو في مكتبه وظل على هذه الحالة لخمس سنوات قبل أن يتوفى في عام ١٩٧١م. له عدة مؤلفات قيمة أهمها معجم اللغة الفارسية المعروف بـ (فرهنك معين) (معجم معين).

(٢) تم العثور على «فاطمة» إحدى بنات السيدة «شمس آفاق» مقتولة في بيتها في إحدى المدن الألمانية.



الدكتور رضا ثقفي تهراني (شقيق السيدة أم أحمد) مع السيدة أم أحمد



من اليمين: السيدات «صديقه مصطفوي»، «مينو ثقفي» والستة أم أحمد

«كذلك شقيقتي الثالثة هي السيدة «حوراء» التي تزوجت السيد درودي الموظف في المصرف والذي توفي أيضاً في شبابه وأبقى بعده ثلاثة أولاد وبنات واحدة^(١).

«أما أصغر شقيقاتي، فكان اسمها «عذراء» المعروفة بـ (مينو) وقد تزوجت العقيد اسفندياري الذي توفي كذلك شاباً، وكان عندهما بنتان وصبي واحد»^(٢).

كذلك ذكرت السيدة (أم أحمد) أسماء أربعة من أخواتها غير الشقيقات (السيدات مريم، بروين، زهرة ومهرى) وثلاثة من أخواتها غير الأشقاء (السادة حسن، علي ومهدي) وأكدت أن علاقتها العاطفية معهم كانت جيدة جداً.

البيوت التي استأجرها السيد الإمام قدس سره

بعد أن استمعت إلى التفاصيل المرتبطة بأول بيت استأجره سماحة السيد الإمام (رض) بعد الزواج، اشتقت أكثر أن استمع إلى التفاصيل المرتبطة بالبيوت الأخرى التي سكنها الإمام قبل نفيه خارج إيران، ولحسن الحظ فإن السيدة (أم أحمد) كانت تحتفظ في ذاكرتها بتلك التفاصيل حيث قالت: «في العام ١٩٣١ استأجرنا بيتاً في زقاق ارك،

(١) كذلك خرج السيد سعيد ابن حالة السيدة «حوراء» في عام ٢٠٠٥ من البيت ولم يعد.

(٢) عندما توفي العقيد اسفندياري، كنا في العراق وقد بادر السيد مصطفى بمعونة السيد أحمد إلى اخبار السيدة (أم أحمد) بالنبأ غير السار بشكل تدريجي.. وقد خاطب السيد الإمام (رض) حينها السيدة والدة (أحمد) مازحاً: يبدو أنني بفضل إبعادي إلى العراق خرجت من قافلة أصحابك وحالفنى الحظ أن أعيش أكثر من الباقي!!.

وكان البيت مرتفعاً قليلاً عن سطح الأرض وله ثلاث غرف مشرفة على باحة البيت، وكنا ندفع مبلغ ستة توامين بدل الإيجار الشهري، وكان غالياً نوعاً ما ولم يكن السيد الإمام يرغب في البقاء فيه، لذلك لم نبق فيه سوى ثلاثة أشهر.

« واستأجرنا بيته آخر في نفس الزقاق أرخص منه توماناً واحداً شهرياً. البيت الآخر الذي استأجرناه كان في (تكية ملا محمود) وبلغت مساحته حوالي مائتي متراً مربعاً وبدل إيجاره الشهري بلغ ثلاثة توامين، وصاحب البيت كان من أصدقاء السيد أحمد لواساني، وقد مكثنا فيه ثمانية أعوام، حيث ولد فيه نجلي علي^(١) .. وفي نفس العام وجبت فريضة الحج على السيد الإمام بعد أن وصله مبلغ من المال من عائدات أملاك ورثها عن والده، وقد أخر موعد سفره إلى الحج للاطمئنان على صحتي بعد الولادة.. وهكذا غادر سماحته في شهر شوال عن طريق أهواز وأبادان والعراق وسورية ولبنان، وأرسل لي رسالة من لبنان مع أحد المسافرين^(٢) وصف فيها جمال لبنان، ومن هناك غادر عبر البحر إلى مدينة جدة، وبعد حوالي خمسة أشهر عاد سماحته إلى مدينة قُم، وتزامنت عودته مع سيول جارفة اجتازت مدينة قُم بحيث أن أكثر سكانها لجأوا إلى مناطق مرتفعة خشية الغرق، وعندما تفاجأ السيد الإمام بهذه السيول أوصل نفسه بسرعة وقلق إلى البيت».

وأضافت السيدة تقول: «وبينما كنت جالسة في البيت رأيت ظلاً لرجل دخل باحة البيت، فقفزت مذعورةً وقلت: من القادم؟ قال: أنا

(١) علي هو الابن الثاني لسمامة الإمام (رض) الذي توفي في الصغر.

(٢) تاريخ الرسالة هو شهر نيسان عام ١٩٣٣م. يمكن مراجعة الهمامش السابع في نهاية الفصل.



منظر داخلي لبيت السيد الإمام في قم،
جزء من المبني الحالي لمدرسة حجتية



منظر خارجي لنفس البيت



بيت الإمام الخميني (رض) في قم (محلة يخجال قاضي)

روح الله. وسأل بقلق: ألم تخفك السيول؟ قلت: كلاً.. وذهبت بكل شوق لاستقبال الحاج القادم الذي كانت ملابسه قد تبللت بالمطر، فأبدلها بملابس جديدة كنا قد احتفظنا بها من السابق، وقال سماحته: لقد قلقت عليكم كثيراً عندما شاهدت أوضاع المدينة حال دخولي إليها.

«بقينا لفترة أخرى في هذا البيت إلى أن تركناه بطلب من صاحبه. البيت الآخر الذي استأجرناه بخمسة توامين شهرياً، كان في محلة (كذر جداً) بالقرب من حرم السيدة فاطمة المعصومة (ع) وله أربع غرف بطبقتين، وبقينا فيه حوالي ثلاثة سنوات.

«البيت الآخر الذي سكنا فيه كان واسعاً جداً، ويقع في شارع حجتية، ويعرف بالحديقة، وقد أجره صاحبه لنا بمبلغ زهيد، حيث ولد السيد أحمد فيه، وكان في البيت ست غرف وباحة واسعة جداً، وقد تم تبديله فيما بعد، إلى ما تعرف الآن بمدرسة حجتية العلمية.

البيت الأخير الذي استأجرناه كان في محلة (يخرج قاضي) (وشرحناه بالتفصيل سابقاً وأشارنا إلى ظروف تأجيره ومن ثم شرائه).

«بعد انطلاق الجهاد ضد النظام الملكي المستبد في عامي ١٩٦٢ - ١٩٦٣، ازداد تردد العلماء والطلبة والناس علينا، مما اضطرّنا إلى استئجار بيت صغير ملاصق للبيت للسكن من صاحبته «السيدة نصرت»، وقد أعدنا لها بعد نفي السيد الإمام إلى خارج البلاد».

التزام مشهود

بينما تنتقد السيدة (أم أحمد) بعض آراء الإمام الخميني (رض) في مجال الأسرة وتعتبرها نوعاً من التعصب، إلا أنها تشيد في الوقت ذاته بالتزام سماحته الديني ووفائه بعهوده ووعوده، وتذكر أن ما قاله والدها عن السيد الإمام عندما تقدم لخطبتها، كان صحيحاً تماماً.. فقد كان سماحته ملتزماً بكل الوعود التي قطعها على نفسه أمام والدي، وكمثال على ذلك أذكر هذا النموذج حيث كان سماحة الإمام صعباً جداً وشديداً فيما يخص بعض المصاريف كغيره من طلبة العلوم الدينية، إلا أنه في المقابل لم يعارض أبداً تشغيل أحد العمال لمساعدتنا في البيت كما وعد بذلك لوالدي، ولم يتركني ولو حتى يوم واحد بدون وجود عامل لمساعدتي، ولم يطلب مني أبداً أن أقوم بأداء واجبات المنزل، إلا أنني كنت أقوم بنفسي بالكثير من أعمال البيت وكانت أقضى عدة ساعات مساء كل يوم في خياطة الملابس لأنبائي».

أجل عرفت السيدة (أم أحمد) بذوقها الرفيع في أداء واجباتها المنزليّة بأحسن شكل، وكانت تخيط الأقمشة العاديّة وتحولها إلى ملابس جميلة، بخاصة لبناتها، بحيث تلفت أنظار الآخرين وتثير اندهاشهم.

عمال بيت الإمام

خلال سردها لذكرياتها، كانت السيدة (أم أحمد) تذكر مراراً العمال الذين دأبوا على خدمتها وكانتوا إلى جانب أسرة سماحة الإمام خلال مراحل المد والجزر المختلفة، وتحملوا الصعاب في هذه الطريق، وقد طلبت منها أن تذكر شيئاً عنهم فقالت: «إن أول عاملة كانت إلى جانبنا واستفدىنا من خدماتها، كانت سيدة في الأربعين من عمرها، وكنا نعطيها تومانين شهرياً (وكان هذا المبلغ كثيراً آنذاك) وقد وافق السيد الإمام على ذلك وفاءً لعهده مع أسرتي، وبقيت هذه السيدة معنا حتى أخطأت في أحد الأيام، حيث قامت برمي بعض قصاصات الورق العائدة لسماحة الإمام وهي تنظف غرفتنا، وقد انزعج سماحته منها وأخرجها من الخدمة.

«العاملة الثانية هي السيدة «رباب سلطان»، وكنا ندفع إليها أربعة ريالات شهرياً، وتركتنا بعد زواج ابنتها.

«العاملة الثالثة هي السيدة «زهرا سلطان» واستمرت معنا لعام تقريباً وكنا ندفع لها سبعة ريالات شهرياً.

«العاملة الرابعة هي السيدة «خاور سلطان»، وكانت معنا عندما كنا نسكن في بيت (تكية ملا محمود).

«العاملة الخامسة هي السيدة «زيور سلطان»، وكانت معنا في البيت الكبير الذي كان يسمى (حديقة)، وكانت تحافظ على السيد أحمد وترعايه، وكانت لها بنتان باسم «هاجر» و«فاطمة» التي كانت تُرضع السيد أحمد وأصبحت مرضعته. وكانت للسيدة «زيور سلطان» حفيدة من ابنها اسمها «كبرى»، وقد تربت في بيتنا وتزوجت فيما بعد مع مشهدي أحمد كرمجكاني^(١).

(١) لا تزال السيدة «كبرى خانم» ومشهدي أحمد يعيشان في قرية كرمجكان (بالقرب =

«كذلك كانت عندنا السيدة «أمين آغا» التي تطوعت لخدمتنا في قُم بعد اعتقال سماحة الإمام ونفيه عن البلاد في عام ١٩٦٣ م.

وعندما وصل الإمام الخميني إلى مدينة النجف الأشرف بالعراق وتقرر أن نلتحق بسماحته هناك، رافقنا في رحلتنا إلى هناك عامل وعاملة.. العاملة كان اسمها السيدة «سكينة سلطان» وبقيت في العراق أكثر من عامين، وعادت إلى إيران بعد أن اشتاقت كثيراً لأولادها، وكانت ترى في المنام أحلاماً مزعجة^(١)؛ وعندما عادت عرفت أن ابنها يواجه مشاكل يستلزم حضورها إلى جانبه، وبذلك عرفت صدق تلك الأحلام.

«العاملة الأخرى هي السيدة «مشهدی عصمت» التي بقیت ثلاثة سنوات معنا في العراق وقد تشرفت إلى الحج وكانت سيدة مؤدبة وفعالة للغاية وكانت لديها بنت اسمها «مشهدی کبری» وكانت تساعدننا، أيضاً، عندما كنا في قُم.

«العاملة الأخرى هي السيدة «اقليما» التي بقیت معنا في النجف الأشرف حوالي ثلاثة سنوات وتشرفت إلى الحج، وكانت أسرتها من الثوريين الملتزمين وكانت تتقن الخياطة بشكل رائع.

«العاملة الأخرى هي السيدة «نه فاضل» وكانت سيدة أفغانية تعيش في النجف الأشرف^(٢) وتساعدنا هناك».

= من قم) وغالباً ما يجلبان لنا معهما بعض الهدايا مثل الجوز واللبن والخبز واللحوم.

(١) بعد الزواج، جاءت إلى بيتنا وكانت ترعى السيد حسن وكانت معنا حتى سافرنا إلى العراق.

(٢) بعد انتصار الثورة الإسلامية وصلت هذه السيدة إلى إيران وبدأت بتقديم خدماتها في بيت الإمام الخميني بجماران وكانت سيدة ذكية وفعالة، وكان السيد أحمد =

كذلك ذكرت السيدة (أم أحمد) أسماء العمال الذين خدموا أسرة الإمام (رض) وقالت: «كان السيدان مشهدي رضا وميرزا ناد علي في بيت الإمام الخميني (رض) عندما اعتقل سماحته، وبعد نفي الإمام وفرض الحصار على البيت من قبل السافاك، بقيا في البيت وكانا يتشارحان أحياناً مع رجال الأمن، وفي الوقت ذاته كانوا يساعدان السيد أحمد في أداء بعض الأعمال إذ كان يعيش في البيت نفسه».

كما ذكرت السيدة أحد العمال باسم مشهدي علي وقالت: «السيد مشهدي علي كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة وكان يحدد الأشياء التي يريد شراءها من خلال رسمنها على الورق ويحضرها لي. وفي أحد الأيام عشر رجال السافاك في جيشه على عدد من هذه الصور وشكوا في أمره وسألوه عن سر هذه الصور ولم يصدقوا، فاحتجزوه ليلة في المعتقل حتى تأكدوا من صدق ادعائه، ثم أطلقوا سراحه^(١).

وذكرت السيدة (أم أحمد) أسماء بعض العمال الآخرين ومنهم مشهدي حسين وسيد مرتضى وحاج إبراهيم، وقالت إنهم لا زالوا في النجف الأشرف.

الرحلات الصيفية

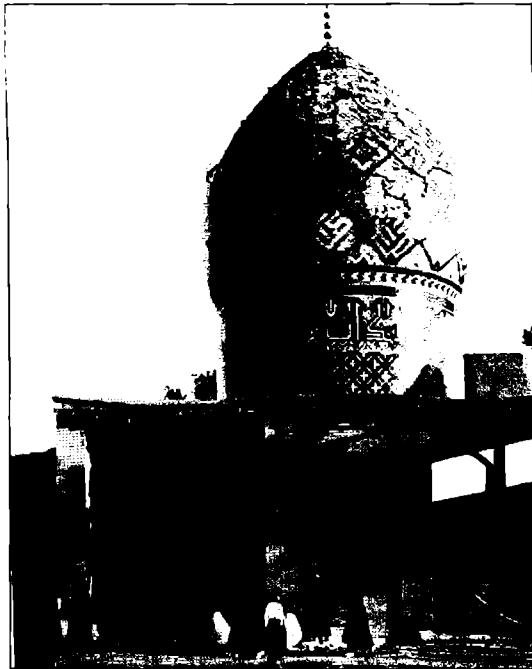
في مراسم عقد القران وَعَدَ السيد الإمام السيد ثقفي أن يعمد

= يمازحها بالقول: أظن أنك رئيسة حزب سياسي في أفغانستان. وفي أحد الأيام، بينما كنت التقط صورة لسماحة الإمام، جاءت هذه السيدة وطلبت أن تصورها مع سماحته حتى يعرف العالم أن الإمام الخميني لا يفرق بين المسلمين الإيرانيين وغيرهم. وكانت تقول إن هذه الصور ستبقى للتاريخ ولا بد من الاهتمام بها لتكون صالحة للنشر.

(١) لا زال السيد مشهدي علي يتذكرا ويعبر علينا بين فترة وأخرى.

لتخفيف العبء عن ابنته خلال فصل الصيف ويسعى إلى تخلصها من حر وجفاف مدينة قم في هذا الفصل اللاهب، والسماح لها لتسافر إلى مناطق أقل حرارة؛ وبقي السيد الإمام وفياً لعهده هذا، حيث نقلت السيدة (أم أحمد) أن سماحة الإمام اعتاد مع بدء فصل الصيف، أن يأخذني مع أطفاله إلى بيت والدي في طهران ويعود وحده إلى مدينة قم ليشغل في تأليف الكتب خلال أشهر الصيف، وكان يتردد علينا بين فترة وأخرى، واستمر ذلك لحوالي ستة أعوام متالية، إلا أنه في العام ١٩٤٣ حيث كانت ابنتي لطيفة قد ولدت لتوها، وبينما كنا جالسين في باحة بيت والدي وكان ولدي السيد مصطفى مشغولاً بلعب الكرة، وإذا به يرمي بها على زجاجة نافذة غرفة والدي مما أدى إلى كسرها، وبالتالي انزعاج والدي وإثارة أعصابه ومحاسبة الصغير مصطفى، وتوبيقه بسبب ذلك. وقد أدت هذه الحادثة التي جرت بحضور السيد الإمام، إلى أن يخاطبني سماحته بعد مرور عدة أيام بالقول: «هل ترغبين بالذهاب إلى مدينة مشهد ونقضي باقي أيام الصيف هناك»؟!.. لم أتردد في قبول الفكرة بل وفرحت كثيراً بسبب ذلك.

«اشترينا تذاكر القطار ودعا سماحة الإمام والدتي لترافقنا في هذه الرحلة وسافرنا معاً إلى مدينة مشهد؛ وهناك استأجرنا بيته صغيراً وبقينا فيه لشهرين. ولم يتحدث السيد الإمام معه بشأن هذا القرار الذي اتخذه، ولكنني أظن أن سماحته قد تألم بسبب توبيقه مصطفى من قبل والدي، أو أنه أدرك أن الفوضى التي سببها الصغير مصطفى سلبت والدي هدوئه، ولا بد من تغيير الأجواء والسفر إلى مشهد.. وبعدها، أدى ذلك إلى أن نسافر في صيف كل عام إلى مدن أخرى ونقضي أشهر الصيف هناك، ويُمكّن سماحة الإمام معنا، فقد سافرنا لعامين إلى مدينة محلات ومثلها إلى مشهد ومرتين إلى منطقة (اماوزاده قاسم) في شمال طهران، ومرة إلى



القبة القديمة لمرقد السيد (أمامزاده قاسم) في
شمال طهران

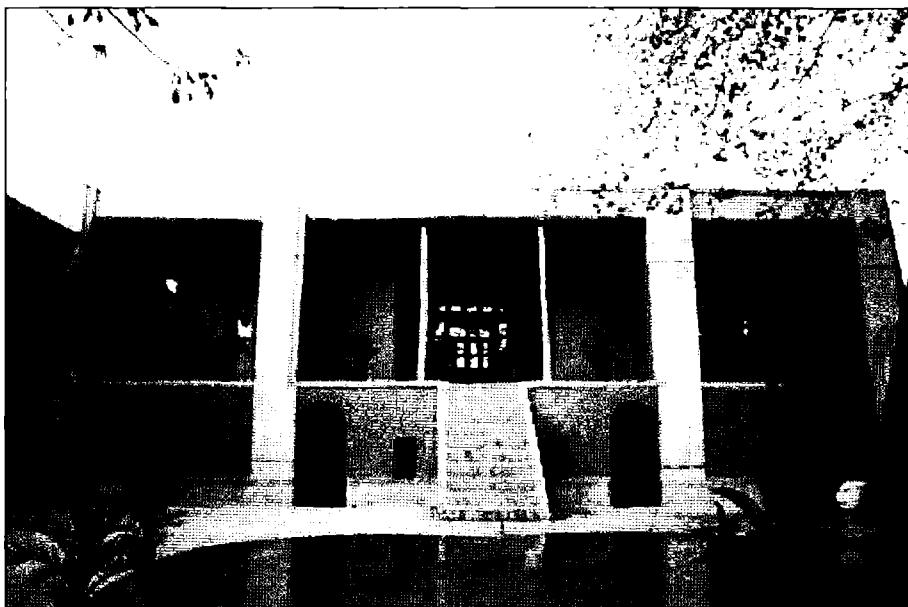
فصول الصيف المنصرمة التي قضيناها في المناطق المعتدلة التي
ذكرناها».

أصفهان، ومثلها إلى
همدان.. وهكذا، وكان
السيد الإمام يشغل غالباً
في الصيف بتأليف الكتب
أو كتابة تقارير دروسه التي
ألقاها خلال العام
المنصرم».

واضافت السيدة
تقول: «بالطبع مع نفي
سماحة الإمام (رض) إلى
النجف الأشرف التي تشبه
في طقسها الحار والجاف
مدينة قم، تم التعويض عن

السفر إلى مدينة خمين

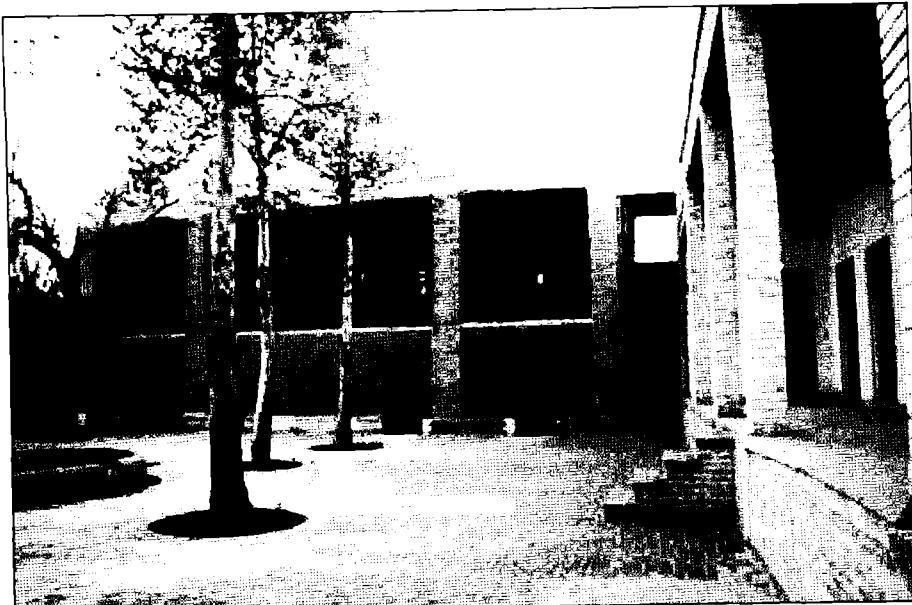
تحديث السيدة (أم أحمد) عن أول رحلة قامت بها إلى مدينة
خمين مسقط رأس السيد الإمام وقالت: «في العام ١٩٣٤م، وبينما كان
عمر نجلي مصطفى أربع سنوات، ذهبنا إلى مدينة آراك في طريقنا لمدينة
خمين، حيث توقفنا فيها لفترة زمنية قليلة، لإتاحة الفرصة للسيد الإمام
لزيارة صديق له يعمل طبيباً في آراك، وبقيت مع نجلي مصطفى في
 موقف السيارات قبل أن نتجول في السوق القريب الذي كان ينتهي
بساحة غزيرة بالأشجار الجميلة.



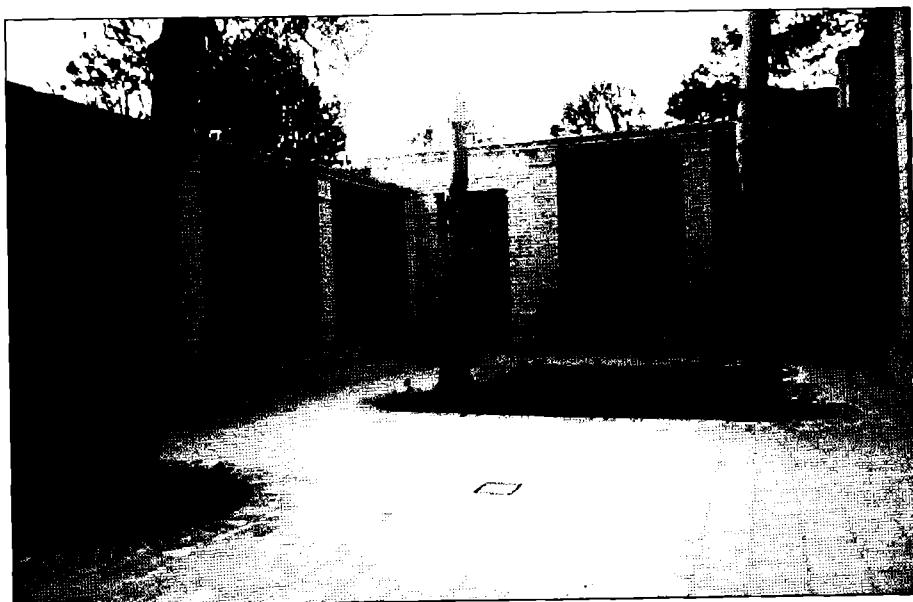
بيت والد الإمام الخميني في مدينة خمين



جانب آخر من بيت والد الإمام الخميني في مدينة خمين



جانب آخر من بيت والد الإمام الخميني في مدينة خمين



جانب آخر من بيت والد الإمام الخميني في مدينة خمين

«عدت إلى الموقف حيث كان السيد الإمام قد وصل أيضاً، وذهبنا معاً إلى بيت صديقه الطبيب الذي استضافنا عنده، وبعد استراحة قصيرة انطلقتنا نحو خمين».

وصفت السيدة مدينة خمين قائلة: «لم تكن مدينة خمين آنذاك عامرة، بل كانت أشبه بالقرية ذات الطبيعة الخلابة والأراضي الزراعية الخصبة. ذهبنا إلى بيت السيد بستندية - الأخ الأكبر للسيد الإمام - وبقينا هناك أربعين يوماً، وحينها كان الأخ الآخر له السيد هندي الذي كان قد انفصل عن زوجته، يعيش في نفس البيت مع أبنائه الثلاثة، وكانت علاقة السيد الإمام حسنة جداً مع شقيقه، وكان يكن احتراماً خاصاً لشقيقه الأكبر السيد بستندية. وكانت السيدة عمة سماحة الإمام، تعهدت بمهمة تقسيم الإرث الذي وصل إليهم بعد وفاة والدهم، حيث منح المبني الكبير بثلاث غرف وباحة واسعة إلى السيد بستندية لأنه مضياف ويتردد عليه الضيوف بكثرة. والمبني الثاني الذي كان كاملاً من كل النواحي، منح للسيد الإمام. كما منحت الأراضي المحيطة بالمبنيين للسيد هندي، لأن بإمكانه استثمارها أو تشييد بناء مناسب عليها لتمتعه بالإمكانية المالية الكافية.

«في العام ١٩٤٢ سافرت للمرة الثانية إلى مدينة خمين برفقة مصطفى وبناتي: «صديقة» و«فريدة» و«زهراء»، وكذلك السيد مشهدي مسib العامل لدى السيد هندي الذي كان قد جاء إلى قُم لإنجاز بعض الأعمال، والتحق بنا السيد الإمام بعد عدة أيام، وكان هدف الرحلة المشاركة في مراسم زواج السيد هندي مع ابنة أخي السيد باقر خان مستوفي (زوج اخته)».

خصلتان جميльтان

ذكرت السيدة (أم أحمد) أن سماحة الإمام «لم يكن قادرًا على تحقيق جميع طلباتي، إلا أنه كان دائمًا يراعي حالي.. ولأن سماحته كان يحبني ويحترمني بشدة، فإن مصاعب الحياة كانت تسهل نتيجة لذلك»؛ وأشارت إلى أمثلة على ذلك:

- في أحد الأيام أخذت السيد أحمد إلى الحلاق لتقصير شعر رأسه، فقام الحلاق بذلك حسب الموديل الألماني، وعندما عاد سماحة الإمام إلى البيت وشاهد موديل شعر رأس نجله أحمد وكان لونه أشقرًا انزعج من ذلك، إلا أنه لم يعرض علي.. وبينما كان غاضبًا بشدة قال: «لماذا يجب أن يحلق شعر رأس ابني، أنا طالب العلوم الدينية، بهذا الشكل»؟ وبدأ بقص الشعر بالمقص طبقاً لرغبته، وقد انزعجت من ذلك بشدة وتعصبت بسبب ذلك، إلا أنني فضلت الصمت!.

- أهدتني والدتي في أحد الأيام، قطعة قماش للستائر وقمت بخياطتها وإعدادها لأعلقها في الغرفة باستخدام القضيب المعدني الخاص، إلا أن السيد الإمام عارض ذلك، وقد انزعجت. بالطبع فإن أكثر الناس في قم آنذاك، كانوا لا يستخدمون القضيب المعدني لتعليق الستائر بل يستخدمون المسامير لهذا الأمر.

- جاءت شقيقتي في أحد الأيام إلى مدينة قم من طهران، وبعد أن مكثت عندنا فترة من الزمن قررت العودة بالقطار إلى طهران، وارتآيت بدوري أن أوصلها إلى محطة القطار، لأنني كنت أحب كثيراً أن أشاهد المحطة عن قرب، إلا أن سماحة الإمام عارض ذلك ولم يكن يرغب أن أذهب إلى محطة القطار. وقد ذهبت إلى

المحطة بحجة توديع شقيقتي السيدة «نجمة»، وبعدما عدت إلى البيت سألني السيد الإمام: أين كنت؟ أجبت: ذهبت إلى محطة القطار لتوديع شقيقتي السيدة «نجمة».. فانزعج سماحته وطأطاً رأسه وقال: سأكتب لوالدك السيد ثقفي وأخبره بذلك.. وغادر الغرفة.

بعد استماعي لحديث السيد الإمام، بادرت إلى كتابة رسالة لأبي وأخبرته بتفاصيل الحادثة الآنفة حتى أضعه مسبقاً بأجواء الحادثة قبل أن تصلك رسالة السيد الإمام إليه.. وقد تصادف أن مرضت بعد يومين من تلك الحادثة، وأصبت بحمى شديدة ورقدت في الفراش، فجلس السيد الإمام عندي وقال: لقد تراجعت عن قراري في كتابة رسالة لوالدك بعد أن أصبت بالمرض. وحينها ندمت على تصرفي الخطأ وكتابة رسالة لوالدي وإخباره بالحادث مسبقاً.. وكانت الرسالة قد وصلت لوالدي، وقد أوصاني في الرسالة الجوابية أن أراقب أكثر تحركاتي خارج البيت.

شاي التوديع

اعتادت السيدة (أم أحمد) أن تلتزمو مع عوائل العلماء والمرابع في مدينة قُم. وكانت تراعي تقاليد خاصة أثناء استقبال الضيوف، حيث تفتح العاملة باب البيت ما أن يطرق وترافقهم حتى السلم المؤدي إلى باب الغرفة، وتقوم السيدة باستقبال الضيوف وترافقهم إلى داخل الغرفة وتجالسهم حتى النهاية، وتتبادل الأحاديث معهم.. كما أن تقديم الضيافة يتم طبقاً لتقاليد خاصة: أن يقدم الشاي في الشتاء وعصير الفاكهة في الصيف. ويوضع أمام الضيوف صحن للحلويات وآخر للفاكهة؛ وفي ختام الجلسة يقدم مرة أخرى شاي التوديع.

وعند التوديع تقوم السيدة بمرافقه الضيوف حتى أسفل السلالم، ثم

المناسب بالرد على هذه الزيارة وزياراتهن في بيتهن.

ولكن بعض العوائل لم تكن تراعي مثل هذه التقاليد ولا تهتم بأصول الاستقبال والتوديع، وقد تجلس الضيوف لوحدهن في الغرفة دون حضور صاحبة البيت، أو يتأخّر موعد رد الزيارة، لذلك، فإن علاقة السيدة (أم أحمد) مع بعض العوائل تميز بالبرود، إلّا أن علاقتها كانت حميمة وودية للغاية مع السيدة «نصرت آغا» حرم آية الله بروجردي التي كانت بدورها تراعي كثيراً تقاليد الضيافة.

* * *

الهوامش

١ - من المشاكل التي عانى منها الأشخاص الذين كانوا ينفون من مدنهم بسبب نشاطهم السياسي ضد النظام الملكي البائد، هو الوضع المعيشي لأسرهم. لذلك بادر السادة منتظمي وطالقاني ولاهوتي، وبمساعدة ودعم الأخيار والمؤيدين للثورة الإسلامية، إلى تأسيس صندوق تقدم من خلاله المساعدات المالية لعوائل المعتقلين والمنفيين، إلا أن السافاك قاموا بإلقاء القبض على مؤسسي هذا الصندوق، وبالتالي فشلت هذه المبادرة الإنسانية.. وقد ضغط جلاوزة السافاك على هذه الشخصيات من خلال التعذيب داخل السجون للكشف عن أسماء الخيرين والأثرياء الذين كانوا يدعمون هذا الصندوق، إلا أنهم تحملوا كل صنوف التعذيب دون أن يكشفوا عنهم.

فقد قال لي السيد كروبي بهذا الشأن: عندما ثُفيت إلى مدينة كند كاووس، أعطيت مقداراً من النقود التي كنت قد وفرتها، إلى أسرتي لتصرفها في غيابي، وأخذت جزءاً يسيراً منها معني. وعندما وصلت إلى تلك المدينة قام رجل الأمن الذي رافقني، بتسلি�مي إلى رئيس السافاك هناك ولم يأخذني إلى أي فندق في تلك الليلة حتى لا يصرف أي مبلغ، وعاد هو لوحده.

قام رئيس السافاك في مدينة كند كاووس بوضعني في إحدى غرف

بيته وتناولت العشاء هناك. وفي صباح اليوم التالي ذهبت معه إلى مديرية الأمن والسفاك، ووُقعت على سجل خاص بالمنفيين، ثم خرجت من المبني لا أعرف أين أذهب في تلك المدينة الغريبة؟ وتمكنت أخيراً من استئجار غرفة صغيرة بالمبلغ الضئيل الذي كان معي.. والأسوأ في كل ذلك حالة البطالة التي لم أكن أعرف كيف أقضى عليها، حيث كنت أتجول في شوارع المدينة لأعثر على مسجد أو مكتبة أقضى فيها الوقت.

كذلك كان آية الله الشيخ حسن صانعي يحمل ذكريات مرة عن أيام النفي القاسية إلى مدينة مشكين شهر ذات الطقس البارد حيث تهبط درجة الحرارة هناك إلى أدنى من الصفر في الشتاء دون أن تكون لديه آية وسيلة للتدافئة.

كما أن حجة الإسلام علي حاجتي، نفي إلى غرب إيران، وبالاضافة إلى المشاكل التي عانى منها كغيره من الشخصيات السياسية المنفية أصيب بأمراض خاصة بسبب الضرب المبرح الذي تحمله في السجن، وبقي يعاني من آثار ذلك حتى الوفاة.. وفي المدينة التي نُفي إليها ألقى رجال الأمن القبض على شاب معه أحد البيانات الثورية، وخلال التحقيق معه كشف أنه حصل على ذلك البيان من السيد حاجتي، مما دعاهم إلى مهاجمة بيته مساءً وانهالوا عليه ضرباً مستفسرين عن مصدر ذلك البيان، وقد أنكر الشيخ حاجتي علمه بذلك أصلاً. وقام رجال السفاك بمقابلته مع ذلك الشاب دون جدو. وقد قال ذلك الشاب فيما بعد للشيخ حاجتي، أنه اضطر إلى الصاق التهمة به للتخلص من الضغوط التي وجهت له، وأن السفاك يعرفونه كأحد الشخصيات السياسية الناشطة.

٢ - اعتقل آية الله السيد محمود طالقاني، بعد انتفاضة الشعب الإيراني المسلم في الخامس من حزيران عام ١٩٦٤م وإصداره عدة بيانات

ثورية ضد النظام الملكي المستبد، كما تم اعتقاله مرة أخرى بعد إصداره البيان التاريخي المشهور (الدكتاتور يسفك الدماء) وبقي في السجن حتى الأشهر الأخيرة قبل انتصار الثورة الإسلامية حيث أطلق سراحه مع المهندس لطف الله ميشمي في تشرين الثاني عام ١٩٧٨م.

قبل انتصار الثورة الإسلامية كان السيد طالقاني إماماً لمسجد (هدایت) المعروف كأحد مراكز الجهاد والإرشاد الإسلامي في العاصمة، وقد تعرض مراراً للسجن والنفي بسبب جهاده ضد النظام البائد.

تم تنظيم مسيرات تاسوعاء وعاشوراء الكبرى في طهران في عام ١٩٧٨م بدعوة منه وعدد آخر من علماء طهران.. وبعد انتصار الثورة الإسلامية تقلد مهمة أول إمام جمعة لطهران بأمر من سماحة الإمام الخميني (رض)، كذلك أصبح رئيساً لمجلس قيادة الثورة الإسلامية بعد استشهاد آية الله الشهيد مرتضى مطهرى وممثلاً لأهالي طهران في مجلس خبراء الدستور الإسلامي، وقد وصفه الإمام بعد وفاته في العاشر من أيلول عام ١٩٧٩ بأنه كان (الساعد القوي للإسلام).

٣ - كان الهدف الرئيسي من تأسيس المنظمة على يد عدد من المناضلين من أعضاء (حركة تحرير إيران) هو خوض الكفاح المسلح ضد النظام الشاهنشاهي العاجز، وعلى رأسهم السيدين محمد حنيف نجاد وسعید محسن، وكانا من طلاب جامعة طهران وأبرز أعضاء الاتحاد الإسلامي لطلبتها، وكانا ينشطان ضمن لجنة الطلاب الجامعيين لحركة تحرير إيران، إلا أنهما لم يقتربا بالخط السياسي للحركة، وكانا من المنتقددين لهاذا الخط، وفكرا بتأسيس

منظمة جديدة تضم شخصيات معتقدة بالإسلام وواعية للقضايا السياسية المعاصرة، وتطورت الأمور تدريجياً داخل التنظيم وبدأت الصراعات العقائدية بينهم، حتى تعرض عدد من الشخصيات المقاومة الملزمة دينياً داخل التنظيم منهم السيدان: مجید شریف واقفی ومرتضی صمدی لباف، لمحاولة اغتيال غادرة قتل على أثرها السيد مجید شریف واقفی وأصیب السيد صمدی لباف بجروح وأدخل السجن وهو في تلك الحالة.

لم يكن للمنظمة لائحة مدونة حتى عام ١٩٧١م، وكان اثنان من العناصر القيادية المتدينة وهما: أحمد رضائي ومهدي رضائي، ينشران بشكل سري كراسات بعنوان (طريق الحسين).. كما أنهما اتخاذا قراراً بتفجير مقبرة (رضا خان) (والد الشاه المقتول) خلال زيارة الرئيس الأمريكي الأسبق نیکسون للمقبرة في أواخر حزيران عام ١٩٧٢م إلا أنهما استشهادا في نفس السنة.

كذلك كانت المنظمة قد قررت القيام بعدد من العمليات المسلحة ضد النظام الملكي البائد، تزامناً مع احتفالات مرور ألفين وخمسمائة عام على الشاهنشاهية في إيران، لإثبات كذب ادعاء الشاه الذي كان يرفض الاعتراف بوجود معارضين سياسيين له في إيران، إلا أن تغلغل أحد عناصر السافاك داخل التنظيم، كشف هذه العمليات وهو جمت مقراته السرية وتم اعتقال أعداد كبيرة منهم.

في العام ١٩٧٥م ظهرت داخل التنظيم اختلافات أساسية وتخلى عدد من قياداته عن النهج الإسلامي واختاروا الماركسية بدلاً عنه. وقد سمعنا أن أحد قادتهم أعلن في تجمع عقد في (هايد بارك) المعروف في لندن، عن هذا الانقسام والانحراف الكبير وقال: «إن زملاءنا في التنظيم وصلوا إلى هذه النتيجة، وهي أن الإسلام لا يمكنه الإجابة على أسئلة

الجيل الجديد وأن المبدأ الرئيسي لنا اليوم، هو النضال وليس التزام الصلاة والصوم و..

٤ - يعود البناء الأول للمدرسة الفيضية للقرن السادس الهجري، وكانت تعرف بمدرسة (آستانه)، وأعيد بناؤها في عهد السلطان شاه طهماسب الصفوي، وفي القرن الثالث عشر الهجري حل مبني المدرسة الفيضية مكان البناء القديم للمدرسة.

تتكون المدرسة الفيضية من أربعة أواوين بطابقين واربعين غرفة، وكان الإمام الخميني (رض) يسكن في إحداها، وإن أقدم أقسام المدرسة هو الإيوان الجنوبي المزخرف والمتصل بحرم السيدة فاطمة المعصومة (ع).

يعود سبب تسمية هذه المدرسة بالفيضية إلى الملا محسن فيض كاشاني، الذي كان يعتبر من أبرز تلاميذ الملا صدرا وصهره، وسكن في هذه المدرسة لفترة من الزمن ودرس فيها أيضاً. هذا وقد أغلق النظام الملكي البائد هذه المدرسة منذ آذار عام ١٩٦٣ م ومنع الطلاب من دخولها.

٥ - يمكن أن نذكر مؤلفات آية الله الحاج ميرزا أبو الفضل ثقفي تهراني كالآتي :

- شفاء الصدور في شرح زيارة العاشر، وقد طبع مراراً في إيران والهند.

- صدح الحمام في أحوال والدي العلامة، وكان حول حياة والده آية الله ميرزا أبو القاسم ثقفي تهراني. وكان للمرحوم أبو القاسم كتاب في علم الأصول بعنوان (صاحب مطابع الأنوار).

- ديوان شعر باللغة العربية.

- ٦ - من مؤلفات آية الله الحاج ميرزا محمد ثقفي تهراني نذكر الآتي:
- الأسلوب الخالد في تفسير القرآن المجيد، خمسة مجلدات، وطبع مراراً.
 - الحواشي على درر الحاج الشيخ عبد الكرييم حائز، في أصول الفقه.
 - الحواشي على منظومة السبزواري في الحكمة.
 - الحواشي على رسالة خواجة نصیر.
 - عدة حواشی على عدة كتب معروفة أخرى، ولم تطبع.
 - ٧ - نورد هنا قسماً من رسالة الإمام الخميني (رض) لزوجته:
- التاريخ: آذار ١٩٣٣ م.
- المكان: بيروت، لبنان.

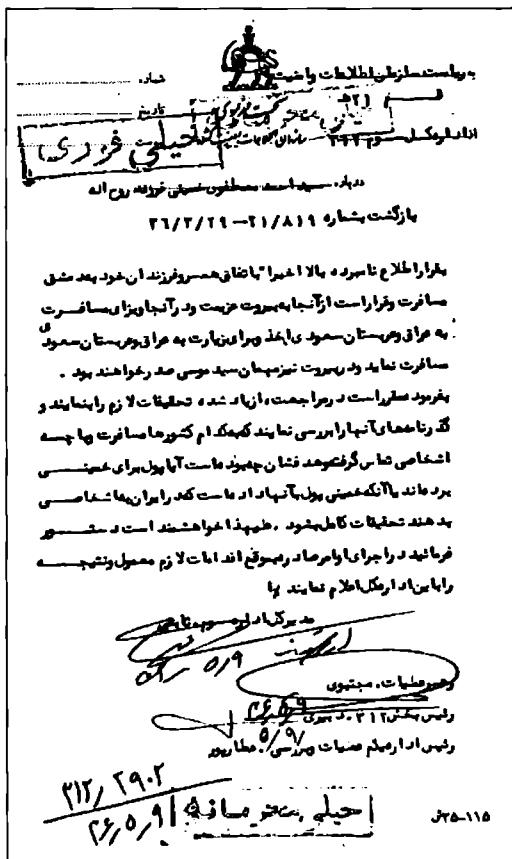
«عزيزي، أفتديك، منذ أن ابتليت بفارق نور عيني العزيزة وقوة قلبي، لم يفارق محياك الجميل مخيلى، فهو منقوش في قلبي، أدعوك يا عزيزي أن تحفظك برعايته ويديم سلامتك، فحالى هنا لا بأس به؛ لكن والله الحمد كل ما حلّ بنا حتى الآن كان جميلاً وحسناً.. وأنا الآن في مدينة بيروت الجميلة، فمكانك خالٍ هنا حقاً، لأن مشهد البحر ووجه المدينة رائع للغاية. إلا أنه للأسف ومائة أسف لأن محبوبتي وعزيزتي لا ترافقني ولن تستمع حتى يترسخ هذا المشهد الرائع في فؤادي. على آية حال، فهذه هي الليلة الثانية التي ننتظر فيها وصول السفينة، يقال إن سفينتنا ستتحرك غداً، إلا أنها ينبغي أن ننتظر السفينة الأخرى لأننا وصلنا متأخرین، فلا نعرف حتى الآن ما يتطلّبها بالضبط، أدعو الله بعزة أجدادي الطاهرين أن يوفق جميع الحجاج لإتمام أعمالهم، ومن هنا فإنني ألقى نوعاً ماماً...» (صحيفة الإمام ج ١ ص ٢).

الفصل السادس

الليلة الأخيرة

لبنان.. مرّة أخرى

بعد الانتهاء من امتحانات السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية واطمئناني إلى النتيجة، قررت أن أستعد لخوض الامتحان النهائي العام



صورة عن تقرير السافاك بشأن رحلتنا إلى لبنان وال العراق

الذي يؤهلني لدخول الجامعة، إلا أن السيد أحمد ارتأى أن نسافر إلى العراق للقاء سماحة الإمام الخميني (رض) والسيدة حرمه، والتشاور حول بعض الأمور. لذلك سافرت برفقة السيد أحمد ونجلي حسن إلى لبنان، بهدف الذهاب من هناك إلى العراق كالمرة السابقة، ولنعد إلى إيران بعد إقامة قصيرة، إلا أن الأمور جرت هناك بشكل آخر.

عندما وصلنا إلى بيروت أخبرنا السيد أحمد أن شقيقه الحاج السيد



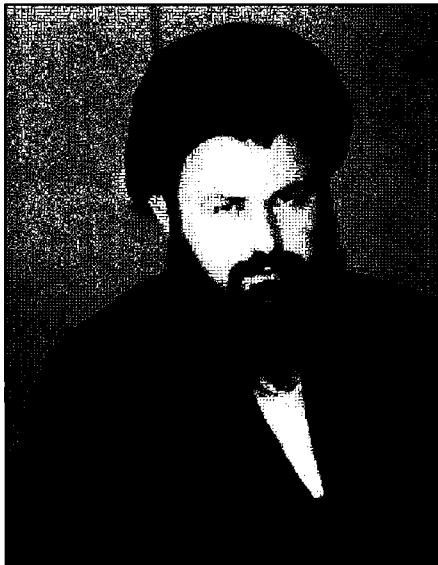
من اليمين: السيد حميد الصدر (ابن خالي)، السيدة بروين، السيد أحمد، نجلي حسن، الإمام موسى الصدر، الخالة «بتول» والمؤلفة

مصطفى وآية الله بجنوردي^(١) موجودان في سوريا؛ فغادر السيد أحمد بكل شوق إلى دمشق ومكث هناك عدة أيام؛ وقد طلبا أن يتوسط الإمام الصدر للحصول على تأشيرة دخول للسعودية.

في أحد الأيام، وبينما كان الحاج السيد مصطفى يجتاز شارعاً بدمشق، لفت نظره أحد الأشخاص من بعده، فخاطب صديقاً له يصاحبه بالقول: «اذهب وأخبر ذلك (الشخص الباكستاني) أن السيد مصطفى الخميني يرغب برؤيتك». سارع ذلك (الشخص الباكستاني) للقاء السيد مصطفى مندهشاً، وعرف الجميع حينها أن ذلك الشخص لم يكن سوى الشيخ علي تهراني^(٢) الذي كان قد هرب من إيران متخفياً بالزي

(١) آية الله السيد محمد بجنوردي (المولود عام ١٩٤٥ م)، استاذ الحوزة العلمية والجامعة، للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهاشم الأول في نهاية الفصل.

(٢) ولد الشيخ علي تهراني، علي مراد تهراني (خانه لنكه) في طهران عام ١٩٣٠ م، تلقى دروسه في العلوم الدينية في قم والنجف الأشرف؛ للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهاشم الثاني في نهاية الفصل.



آية الله السيد محمد موسوي بجنوردي

للحصول على تأشيرة دخول العراق؛ وكان السيد مصطفى وآية الله بجنوردي، قد طلبوا بدورهما من السيد مصطفى أن يحصل لهما على تأشيرة دخول السعودية.

وهكذا، عاد السيد أحمد مبكراً إلى بيروت لإنجاز هذه المهمة، وبعد يومين وصل السيد مصطفى وآية الله بجنوردي إلى لبنان وذهبا مباشرة إلى منزل صديقهما السيد رضا كشميري في منطقة كيفون^(١).

وقد ذهبنا برفة خالي الإمام الصدر والسيد أحمد والدكتور مصطفى شمران، إلى منطقة كيفون للقائهم هناك، وهذه المنطقة الجبلية في غاية الجمال، رغم أن زجاج النوافذ المظلل لأسباب أمنية، كان يحول دون رؤية الطبيعة الخلابة المحيطة بالمنزل.. وفي ذلك اللقاء أخبر

الباكستاني؛ كما أن جميع الحاضرين تعجبوا من كيفية تعرف السيد مصطفى على الشيخ تهراني من بُعد، رغم ارتدائه الزي الباكستاني. وحينها قال الشيخ على تهراني: «لقد اشتقت كثيراً للإمام الخميني (رض)، حيث خرجت من إيران بهذا الزي من أجل ذلك، وأنا أنتظر بكل شوق، لقاء سماحته». وطلب من السيد أحمد أن يطلب من الإمام الصدر التوسط

(١) أخبرني السيد أحمد بعد فترة أن شخصاً مجهولاً راجعه في كيفون وتباً بأحداث مستقبلية أثارت دهشته حينها، حيث كان قد تباً بوفاة الحاج السيد مصطفى المفاجئ بعد عدة أشهر، وأن أمانيه ستتحقق فيما بعد.



السيد حسن

خالي الجميع أن الخطوات التمهيدية
لإنجاز سفرهم للسعودية وال العراق
ستنفَّذ قريباً إن شاء الله.

وفي هذا اللقاء، طلب الحاج السيد مصطفى والسيد بجوردي من السيد أحمد أن يرافقهما في زيارتهما لمكة المكرمة، وكان السيد أحمد قد دعا في رحلته الأخيرة لبيت الله الحرام، أن لا يدعوه الله جلّ وعلا مرة أخرى لحج بيته، بسبب ما واجه من مصاعب في تلك الرحلة، إلّا أنه وافق مباشرة على الفكرة التي عرضت عليه، وغادروا إلى مكة بعد صدور تأشيرة السفر والتذاكر، وبقيت مع حسن في منزل خالي.

بعد يومين غادرنا برفقة خالي وأسرته وخالتى «بتول» إلى دمشق.
وبعد يوم واحد التحق بنا شقيقى السيد صادق والدكتور مصطفى شمران.

وكان لقاءي مع شقيقى صادق، بعد أحد عشر عاماً من الفراق، ملفتاً للغاية، حيث تغير الكثير من الأمور خلال هذه السنوات، فخاطبني بالقول: «عندما سافرت إلى المانيا، كنت بنتاً صغيرة مليئة بالنشاط والحيوية، والآن أمّا لطفل جميلٍ رائع».. وكانت لحظة اللقاء مع أخي صادق، مليئة بالعواطف والأحساس، وقد أثارت انتباه الدكتور شمران الذي قال: «ليتنى كنت أتمكن من تصوير تلك اللحظات الجميلة والمثيرة».

وكان السيد صادق قد جاء إلى دمشق أولاً، وبعدها إلى بيروت للإعداد لإقامة مراسم الأربعينية الدكتور علي شريعتي في لبنان، وقد شرح لنا بالتفصيل مراسم التشييع والبرامج والمراسيم التي أقيمت بهذه المناسبة في مختلف المدن الأوروبية، وأخبرنا أنه وزملاؤه، سعوا كثيراً كي لا يحقق السافاك هدفه المتضمن نقل جثمان الدكتور شريعتي لطهران، لأن الصحف الإيرانية - الحكومية - كانت قد غطّت بشكل واسع، نبأ وفاة الدكتور شريعتي، وأخبرت أنه من المقرر أن تقام للمرحوم مراسم تشييع رسمية في طهران. وكان الهدف من ذلك هو تشويه سمعة الفقيد والمس بشخصيته الثورية بين الناس، لا سيما في أوساط الشباب والثوريين؛ وقال: «حاولت السفاراة الإيرانية في لندن (حيث كان الدكتور شريعتي قد اغتيل هناك في حادث اصطدام سيارة) أن تستلم من المستشفى جثمان



السيدان صادق قطب زاده والدكتور إبراهيم يزدي في مراسم تشييع الدكتور شريعتي (سورية)

الفقيد باعتباره مواطناً إيرانياً يعيش وحيداً هناك، وأن السفارة مسؤولة عن نقله إلى طهران.

إلا أن السيد صادق وزملاءه، نجحوا في الاتصال بنجل الدكتور شريعتي «إحسان» الذي كان يقيم آنذاك في أميركا وعمره ١٨ عاماً، وطلبو منه أن يبعث برقية لأحد المحامين الذي عرّفوه له، ويطلب منه أن لا يقوموا بأي إجراء لنقله للوطن حتى يصل إلى لندن.. كما تحدث السيد صادق، عن الإجراءات التي قاموا بها حتى بعد وصول السيد «إحسان» إلى لندن وإنجاز الإجراءات القانونية الالزمة للحوول دون تحقيق السفارة الإيرانية أهدافها التي أشرنا إليها، وأضاف يقول: «كلفتنا اثنين من أعضاء الاتحاد الإسلامي للطلبة الإيرانيين بمهمة ملزمة جثمان الدكتور شريعتي في المستشفى وفي سيارة الإسعاف، خلال جميع مراحل النقل والتشييع والدفن في دمشق».

بعد أن استمع خالي الإمام موسى الصدر لكلام السيد صادق قال: «لقد تقرر أن تقام مراسم رائعة وكبيرة في أربعينية الدكتور شريعتي، حيث ستنتم دعوة كبار الشخصيات السياسية والثقافية والثورية من شتى أنحاء العالم، للحضور في المراسم وإلقاء الخطابات».

وهكذا استمعنا خلال أيام الزيارة التي قمنا بها إلى لبنان وسوريا، إلى الكثير من التقارير والأخبار حول أوضاع إيران، والأحداث المرتبطة بوفاة الدكتور شريعتي وتبعاتها في أوروبا، وتبادلنا المعلومات والحوارات حولها.. وبعد عدة أيام عدنا جمياً إلى لبنان.

مع الدكتور شمران في صور

ذهبنا في أحد الأيام برفقة شقيقتي صادق والخالة «بتول»، إلى مدينة صور (جنوب لبنان) تلبية لدعوة الدكتور شمران لزيارة «مؤسسة جبل عامل الصناعية» هناك.



الخالة «بتول»، المؤلفة، السيد أحمد وحسن



السيد أحمد وحسن في مدينة صور (لبنان)

وصلنا إلى محل سكن الدكتور شمران داخل المؤسسة، وشاهدنا عن كثب، مدى الارتباط العاطفي بين الفتيان والشباب الساكنين هناك والدكتور شمران، وفي المقابل كان بدوره يبادلهم نفس المشاعر والأحساس.

كذلك دخلنا غرفة عمل الدكتور شمران التي كانت بسيطة للغاية وتضم عدداً من الكتب والأسلحة، وبعد دقائق خرج شقيقى صادق برفقة الدكتور شمران لإعداد طعام لنا، واستغلينا هذه الفرصة وقمنا بترتيب الغرفة وتنظيم محتوياتها والأثاث الموجود فيها.

بعد أن عادا إلى المنزل، تناولنا وجبة العشاء ثم تبادلنا مختلف الأحاديث. وكانت الكهرباء مقطوعة في تلك الليلة كالعادة، واستخدمنا الشموع للإضاءة، حيث أطفت أضواء الشموع طابعاً خاصاً على جلستنا تلك الليلة.

قرأ الدكتور شمران على ضوء الشموع جانباً من كتاباته الشيقية، ثم تحدث إلينا عن شخصية الدكتور شريعتي، وسرد مع السيد صادق، ذكرياتهما عن الفقيد العزيز، وكانت ملفتة وجذابة بالنسبة لي ولخالتي «بتول»؛ بعد ذلك تم انتخاب مقتطفات من كتابات الدكتور شريعتي فرأيت على مسامعنا.. ولا زال قسم منها عالق في ذهني:

«يا لروعة الإيمان، وكم هم تعساء أولئك الذين يسعون لحرمان الإنسان من الإيمان، وكم هم ظالمون، هؤلاء الناس، رغم ظاهرهم بحب الإنسانية».

لولا الإيمان لكانت الحياة بلا معنى، ولولا العشق فأي نار تؤجج الشعور بالحياة، ولولا الدعاء كيف يمكن أن تسير أمور الحياة؟!. ولولا الاعتقاد القلبي بعودة المسيح وظهور الإمام القائم، فما جدوى البقاء؟!. ولو لم يكن الميعاد أو اللقاء فلمَ الذهاب؟!. إنني أتعجب من أولئك الذين يريدون سلب المعبدود من الحياة والوجود، وأن يعيش الإنسان في الفراغ...».

بعد ذلك استجمعت الدكتور شمران قواه وتصفح كتاباً آخر وقرأ:

«طوبى لمحمد (ص) الذي بكى بغزاره في محضر الله - جلّ وعلا - مخاطباً جلالته: إن كلماتك وأيات وحيك وقرآنك لم تطفئ ظمأ قلبي وحرارة شوقي، لذا خذني على مركب وأرني! فأنا من خلف ستار هذه الكلمات أموت من شوق لقائك،.. وهكذا بعث الله ليلاً نجماً صغيراً ليجلس حبيبه على أجنحة الشوق ويسري به من الكعبة المكرمة إلى المسجد الأقصى، وبعدها ليعرج عبر السماوات وطبقاتها.. حتى وصل إلى قاب قوسين أو أدنى، حيث تحرق أجنحة جبرائيل».

ثم نقل الدكتور شمران عن الدكتور شريعتي قوله:

«كنت نائماً حيث وجدت نفسي في صالة كبيرة وسط جموع من الناس وقد قام أحدهم وسألني: ما هي الحياة؟ فقلت بلا تردد أو تأمل: الحياة تعني (الخبز) و(الحرية) و(الثقافة) و(المحبة)».

بعدها قرأ قطعة من كتابه حول (الحرية):

«أيتها الحرية، إني أحبك، وأنا بحاجة إليك، وأعشقك، فالحياة صعبة من دونك. وإن قامتك العالية والحررة منارة معبدي، ليتنى عشت معك، ومت معك، بعد أن استنشق الهواء وأنفس الصعداء في ساحتك أيتها الحرية!.. إنني أكره الظلم، وأكره السجن، وأكره الأغلال، بل وأكره كل شيء وكل ما يُقيّدك.. فحياتي هي من أجلك، فأنا رب الحرية وأستاذِي على (ع) ذلك الرجل الشجاع الذي لا يعرف معنى الخوف والضعف وكان مثالاً للصبر».

وعندما كان الدكتور شمران يصل إلى بعض الفقرات، كان يتأنى ويتأمل قليلاً، ويتنفس بعمق ويدرف أحياناً الدموع، ويتابع قراءاته علينا.. وهكذا قضينا أمسية رائعة استمعنا خلالها لذكريات وقراءات لأفكار الدكتور شريعتي بصوت الدكتور شمران الدافيء.

بعد الانتهاء من قراءة مقتطفات من كتب الدكتور شريعتي، تبادلنا الأحاديث حول مختلف الأمور والشؤون، فقد سأل السيد صادق الدكتور شمران: «لماذا لا تقبل باقتراح خالي الإمام الصدر وتتوافق على التدريس في الجامعة^(١) مع ما تملكه من معلومات عامة وشخصية ودينية؟»، فابتسم الدكتور شمران والقى نظرة ذات معنى على الجميع والتزم الصمت.

لذا بادرت إلى اختراق أجواء الصمت التي سادت المكان،

(١) كان مسؤولاً في الجامعة الأمريكية في بيروت قد طلبوا من الدكتور شمران أن يدرس هناك.

لأتحدث عن فوائد حضور الدكتور شمران في الوسط الجامعي وتأثير شخصيته على الطلاب وتوعيتهم فيما يخص ظلم إسرائيل.

أصغى الدكتور شمران بصلابة لحديثي وعقب قائلاً: «إن حضوري في الجامعة يستلزم وضعًا خاصاً.. فكيف يمكنني أن أحضر الدروس بالزي العسكري، فالأجواء الجامعية تستلزم ارتداء الزي الرسمي العصري الكامل، وربطة العنق مع حمل شنطة راقية تليق بالأستاذ الجامعي العصري؛ وكيف يمكنني أن أدخل محبيطاً معطرًا بالعطور الفرنسية والأجنبية بينما تفوح مني رائحة البارود؟ وكيف يمكنني أن أنتقل من أجواء الجنوب الفقيرة ومن جوار الأيتام وفاقدي المعيل الذين فقدوا والديهم في سبيل الاستقلال والحرية إلى أجواء جامعية يدرس فيها طلاب متنعمون بثروات كسبوها عن طريق النهب والسرقات والسطو الذي ينفذه المسؤولون والجلاؤزة الغربيون ضد هذه الأرض والبلاد».

سادت مرة أخرى المكان أجواء الصمت العميق، وصمت الدكتور شمران ثانية ليختفي في صمته الكثير من الأمور التي حالت دون مواصلة حديثه.

وحيث أنها حاولت أن أسأل الدكتور شمران عن سبب تركه أبنائه في بلاد الاغتراب ليعيش هو في لبنان بعيداً عنهم، مع ما يتميز به من سمات روحية رقيقة ودافئة للغاية^(١). هذا هو السؤال الذي كان الجميع يرغب في إثارته أمام الدكتور شمران ليحصلوا على الإجابة عليه، إلا أنهم لم يسمحوا لأنفسهم طرح مثل هذا السؤال.

صمت الدكتور شمران في البدء، كالعادة، وأحال الإجابة إلى وقت آخر؛ وكنت قد سمعت من البعض قصة مجيء أسرته من أمريكا

(١) كانت زوجته وأبناؤه الأربع قد عادوا إلى أميركا.

إلى لبنان ومن ثم عودتهم إلى هناك؛ حيث أن البعض كان يعتبرهم محقين في قرارهم، لأن تعامل الدكتور الصعب، وتعصبه أحياناً، لبعض الأمور وإصراره على بعض النقاط، سبّبت لهم بعض الآلام والمعاناة، وقد يكون ذلك سبب عودتهم إلى أمريكا.

وكنت أتحمّل الفرصة المناسبة لأحصل على أجوبة الدكتور شمران على علامات الاستفهام الكبيرة، وقد حان ذلك الوقت حين تحدث الدكتور عن غرق نجله في مسبح المنزل في أمريكا، وقال: «بعد أن حصل ذلك الحادث المؤسف، اتصلت زوجتي بي وأخبرتني بالنبأ المحزن، وقد بكينا لحوالي ساعة في الهاتف. وعندما أراد البعض أن يزورني لعزتي بالمصاب، لم أوفق على ذلك وقلت لهم إنها مصيبة خاصة بي ولا أريد أن يشاركني أي أحد فيها عدا الإمام الصدر الذي لم أتجرأ أن أرفض طلبه، وقد ذرفت الدموع الحارة بحضوره».

بعد أن استمعت لكلام الدكتور شمران اغتنمت الفرصة وسألته: «لماذا لم تسair أسرتك حتى تقنعهم للبقاء معك هنا»؟ قال: «الحياة هنا صعبة جداً بالنسبة لهم، لأنهم عاشوا حياةً مرفهة في أمريكا ولم يتمكنوا من أقلمة وضعهم مع الظروف السائدة هنا، كما أنني لم ولن أسمح لنفسي أبداً أن أهين لهم حياةً مرفهة هنا إلى جوار جموع اليتامي والمستضعفين في الجنوب اللبناني».

قلت له: «سمعت أن زوجتك لم تطلب منك الكثير، بل إنها زارت الأسر المستضعفة في مدينة صور وبادرت مراراً إلى معالجة جروحهم والألمهم»، فقال: «نعم حصل ذلك، وقلت لها: إن كل آلامهم ومعاناتهم هي بسبب ظلم واعتداءات حكومتك، وأن كل ما تقدميه لهذه الأسر من خدمة لن يعوض ذلك وستظلين مدينةً لهم».

لم أقنع بإجابات الدكتور شمران؛ فسألته: «يقال إن زوجتك كانت

قد قالت لك إن الخبر الموجود هنا لين وعجين ومعدتي لم تعتد على مثل هذا الخبز.. يمكنني أن أعدّ الخبز المناسب لنا إن أعددت لي الموقف المناسب، ولكنك رفضت ذلك؟!.. فقال: نعم حصل ذلك.. فأنا أعيش إلى جوار أشخاص لا يحصلون على مثل هذا الخبز إلا بصعوبة، وأن أطفالهم ينتظرون طويلاً حتى يحصلوا على رغيف صغير من هذا الخبر، لذا لم أكن أتحمل أن تشكو زوجتي وأبنائي من مثل هذا الخبر»!!.. فسألته: «ما هي ضرورة أن تسكن أسرتك في منزل متواضع وبسيط في الجنوب اللبناني ويحرم أبناؤك من مواصلة التحصيل العلمي؟ ألم يكن من الأفضل أن تراعي ظروفهم وتعطيهم قليلاً من الحق؟ وألم يكن من الأفضل أن تدرس اقتراح خالي الذي قدمه لك، وأن تستأجر لهم شقة تلبيتهم في بيروت، وبذلك يتمكنون من مواصلة دراستهم وتكون أنت قريباً منهم».. حينها علت شفتيه ابتسامة مرّة وقال: «لم أكن أطيق أن أعيش حياة مزدوجة».

قلت له: «إذن كان هناك طريق ثالث، وهو أن لا تركهم في أمريكا وحدهم، بل تسافر إلى هناك بين فترة وأخرى لتلتقي بهم حتى لاتنقطع بينكم أواصر المودة، لأن أبناءك وبالتالي بحاجة إلى محبة أبيهم»..

فقال: «أجل، أقبل ذلك، إلا أنني لم أكن أبداً، أمتلك الوقت الكافي لمثل هذه الزيارات، لأن عملي هنا كثير للغاية، وكلما كنت أفك أن أغادر لبنان لعدة أيام وأسافر إلى أمريكا، فإن عيون الأطفال والمحرومين، كانت تلاحضني وتشعرني من تركهم أبداً.. كذلك فإن محبة الأبوة واحتضان أبنائي لي حين وجودي معهم، لربما كان يضعف اندفاعي الإنساني ويؤثر على عودتي إلى لبنان لأواصل رسالتي هنا».. بعد ذلك صمت الدكتور شمران قليلاً ليقول: «واخيراً وبعد عدة سنوات،

أخبرتني زوجتي أنها تريد الزواج من شخص يماثلها في الأخلاق والسلوك، وكانت مسرورة لذلك».

وهكذا انتهت رحلتنا القصيرة وعدنا إلى بيروت، وقد عاد السيد أحمد وال الحاج السيد مصطفى في نفس الليلة من مكة المكرمة إلى دمشق، وكان السيد مصطفى ي يريد العودة سريعاً إلى العراق، وعاد السيد أحمد إلى بيروت، وبعد عدة أيام ذهبنا برفقة الدكتور شمران إلى مدينة صور؛ وهناك طلب السيد أحمد من الدكتور شمران أن يرافقه إلى مناطق المواجهة العسكرية ليقضي عدة أيام مع المناضلين الفلسطينيين هناك، حيث تلقى دورة عسكرية مكثفة معهم.

بعد عودتهما إلى صور، تحدث الدكتور شمران للإمام موسى الصدر عن تفاصيل الرحلة وما شاهده عن كثب من سلوك ومعنويات السيد أحمد وأخلاقه العالية، لا سيما شجاعته المتميزة واستعداده التام.. فقال الإمام الصدر مخاطباً الدكتور شمران: «أعتقد أنك لم تلتزم الحذر والحيطة لأن السيد أحمد ضيفنا هنا، وكان لا بدّ أن لا تجازف بهذا الشكل».. فأيد الدكتور شمران كلام خالي الإمام الصدر قائلاً: «ذهبنا مع السيد أحمد إلى سطح مبني المؤسسة، وفجأة اتجه السيد أحمد نحو حافة سطح المبني وبدأ بالسير على الحافة، فطلبت منه أن يتبعه قليلاً عن تلك المنطقة، إلا أنه قلب جسمه رأساً على عقب، فجأة، وبدأ السير على كفي يديه بشكل متوازن!!، فقلقت كثيراً واضطربت بشدة وقلت له: «خشيت عليك»، وبدأت أفكّر بمحنة سقوطك من السطح واحتمال أن يتهمني الجميع بأنني من رماك من هناك»^(١)!!.

(١) كان السيد أحمد قد قام بنفس العمل فوق برج المتوكل أطراف مدينة سامراء شمال بغداد (ملوية سامراء) مما أدى إلى إثارة دهشة واستغراب كل من شاهد ذلك.



السيد أحمد



السيد أحمد والدكتور مصطفى شمران
عند المنطقة الحدودية اللبنانية -
الإسرائيلية (منطقة الطيبة)



السيد أحمد في منطقة الطيبة
العسكرية



السيد أحمد برفقة عدد من المقاتلين في منطقة الطيبة العسكرية



السيد أحمد في منطقة الطيبة العسكرية



السيد أحمد برفقة مقاتلي «حركة أمل» اللبنانيّة في منطقة الطيّة

التعرّف على السيدة «وفا»

تعرفت خلال هذه الزيارة على سيدة نقلت لي ذكريات رائعة ومدهشة خاصة، أعجبت بها بعد أن استمعت لجوانب من تلك الذكريات؛ فقد كانت أنموذجاً للمرأة المسلمة الحرة التي تركت حياتها المرفهة من أجل تحرير المسلمين من الظلم والجور المسلط عليهم، وقدمت كل شيء في هذا السبيل، وضحت بالغالي والنفيس من أجل ذلك، وسأذكرها هنا باسمها المستعار «وفا».

قالت لي السيدة «وفا»: في السنوات الأولى بعد احتلال فلسطين، قررنا مع مجموعة من الأصدقاء، أن نقوم بأعمال في سبيل مقارعة الصهاینة والتصدي لهم. قضينا أياماً وساعات طويلة في دراسة ومراجعة أفضل الطرق والأساليب الكفيلة بذلك والتي يمكنها أن توصلنا إلى ذلك الهدف.. وكان هدفنا الرئيس يكمن أن نسلب الصهاینة المحتلين أمنهم وهدوءهم، ونوصل في المقابل، مظلومية الشعب الفلسطيني إلى أسماع

العالم ونفهمهم أن هناك شعباً مظلوماً يعيش في ركن من أركان الكرة الأرضية، ظلم من قبل فئة حاقدة سلبته أرضه ووطنه وبيته وشردته ظلماً في أصقاع هذه المعمورة».

«بعد ذلك أسلينا أول مجموعة مقاومة ودرستنا ببرامج عملياتنا، حيث أرسلنا في المرحلة الأولى رسائل إلى مختلف الدول وطلبنا العون من كل أحرار العالم، فاجتازت نداءاتنا الحدود الجغرافية ووصلت إلى أوروبا وأسيا وأفريقيا.. وحتى أمريكا. فقد وصلنا أول رد على هذه الرسائل من اليابان، حيث التحقت بنا مجموعة من الشباب البوذيين المؤمنين بفلسفة كاميکاز^(١) لكي يدعموننا في عملياتنا الاستشهادية».

وأضافت تقول: «كذلك فإن مجموعة أخرى كانت قد قدمت من إيران.. حيث اتصل بنا في البدء، أحد الشباب واسمه المستعار (مظفر) وعمره اثنان وعشرون عاماً، وكان من المعارضين للشاه البائد، لذا كان يعيش في العراق وينطلق من هناك في نضاله ضد السافاك والنظام الايراني، ولكي لا تكشف شخصيته الحقيقة، حصلنا له على جواز سفر بطريقتنا الخاصة، وقد اعتدنا على استحصال إقامة لمواطني الدول الصديقة للكيان الصهيوني.. هذا وقد دخل مظفر الأرضي الفلسطيني المحتلة وحصل على المتفجرات اللازمة لتنفيذ عمليته الاستشهادية من

(١) كاميکاز: في السابع والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٤٤ م وفي آخر يوم من الحرب البحرية في خليج (لي تي) في الفلبين، ذَكَّ طيار ياباني طائرته المليئة بالمتفجرات بإحدى قطع الأسطول البحري الأميركي مما أدى إلى غرقها، واستمرت مثل هذه العمليات حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية، وعرفت بعمليات (كاميکاز) أي الرياح السماوية التي حملها الله مثل هذه المهمة. وقبل سبعة قرون، فإن مثل هذه الرياح العاتية كانت قد هبت على السفن التي كانت تحمل المغول لاحتلال اليابان، وأغرقتها في البحر وصانت اليابان منهم. وقد أطلق اليابانيون هذا الاسم على هجمات طيارיהם الانتحارية.

الداخل الإسرائيلي وصنع منها حزاماً ناسفاً ارتداه ودخل إحدى دور السينما الكبرى في مركز مدينة تل أبيب. وخلال عرض الفيلم، وقف في إحدى زوايا صالة العرض رافعاً صوته ومعرفاً بنفسه ومشيراً إلى هدفه الرئيسي، مذكراً بالمذابح الوحشية التي ترتكب بحق الأطفال الفلسطينيين، وطرد أبناء الشعب الفلسطيني من أرضهم وبيوتهم ومدنهم، فضلاً عن اغتيال الكثير من القادة والمناضلين الفلسطينيين في شتى أنحاء العالم، وذلك قبل أن يفجر الحزام الناسف وسط جموع الإسرائيليين هناك، وكان يريد من خلال تلك العملية أن يوصل مظلومية ضحايا الجرائم الإسرائيلية إلى أسماع الجميع».

وقالت السيدة «وفا»: «رأيت السيد مظفر في آخر لحظة قبل أن يغادرنا، إذ جاءني مسؤول المجموعة وسألني: «ألم تشرحي لمظفر تفاصيل العملية وأنه سيقتل خلالها»، قلت له: «بلى».. فقال: «إذن لماذا خاطبني عند توديعه قائلاً: إلى اللقاء؛ حتى ظنت أن أنه يأمل في العودة بعد انجاز هذه العملية وسيلتقي بنا، فقلقت بهذا الشأن وسألته عن سبب قوله ذلك فأجاب: كنت اعني اللقاء في الجنة».

«خلال سردها لذكرياتها وأشارت السيدة «وفا» إلى أسماء عدد من المناضلين الإيرانيين، وكانت أعرف بعضاً منهم.. كذلك شرحت لي تفاصيل عدد من عمليات خطف الطائرات التي كانت تهدف إلى إيجاد الخوف والرعب - ولو لعدة ساعات - في قلوب المحتلين، وأن يتذوقوا طعم الأسر والذل ولو لفترة قصيرة.. وبالتالي إيصال نداء الشعب الفلسطيني المظلوم إلى أسماع العالم؛ وكانت بعض هذه العمليات تؤدي أحياناً، إلى تحرير عدد من المناضلين من السجون الإسرائيلية، وهذه كانت لحظات طيبة وحلوة للغاية».

وأخبرتني أنه: «كان من المقرر أن تنفذ أول عملية من هذا النوع

من قبل ثلاثة من المناضلين من نيكاراغوا وأثيوبيا وفلسطين، إلا أنه بسبب منعهم من ركوب الطائرة، فإن العملية فشلت، فقد قتل الشاب النيكاراغوي وألقي القبض على الشابين الآخرين وسجنا لعدة سنوات».

«كذلك فإن عملية أخرى من هذا النوع، خططت بدقة أكبر ونفذت بنجاح، حيث اشتراك فيها أربعة عشر مناضلاً، وتم خلالها اختطاف طائرة كانت تحمل عدداً كبيراً من المسافرين الإسرائيليين وأخذها إلى مطار مهجور، وكان الهدف من هذه العملية إطلاق سراح عدد من المناضلين الفلسطينيين في السجون السويسرية، وما أن حطت الطائرة على المدرج، أحاطت بها أعداد كبيرة من رجال الأمن والجيش المدججين بالسلاح، كما استقرت أعداد أخرى من المدرعات على المدرج.. وحينها رفع رئيس المجموعة النقاب عن وجهه وأعلن بصوت مرتفع وقاطع: إن هدفنا هو تحرير الفلسطينيين الأبراء من السجن ولن نسلم أنفسنا قبل تحقيق مطالبنا المحققة حتى لو أدى ذلك إلى أن نقتل جمياً».

«ولإثبات حسن نوايانا أطلقنا سراح الأطفال والنساء والمسنين. وأنذر أن حذاء أحد الأطفال كان قد فقد ولم نعثر عليه، مما اضطرنا لأن نلبسه حذاء أصغر أعضاء المجموعة الخاطفة وهو حذائي، ولبس حذاءً كبيراً أخذناه من أحد المسافرين.. مما أظهرني بشكل غير طبيعي أصحح قائد مجموعتنا الذي كان حاسماً وجاداً للغاية.. وهكذا نجحت تلك العملية وأطلق سراح عدد من الفلسطينيين من السجون السويسرية».

«والملفت في العملية أن قائد الشرطة طلب ضماناً منا أن لا نقتل الرهائن بعد إطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين، فأجابه قائد المجموعة بكل حسم: إني أضمن لك ذلك، وقبل قائد الشرطة ذلك الضمان».

بعد عودتنا إلى إيران نقلت قصة عملية اختطاف الطائرة المذكورة إلى أحد الأصدقاء المناضلين الذي بدوره قال: «في العام ١٩٧٠ تم اختطاف عدة طائرات في إيران، واحدة اختطفت في آبادان من قبل طالب جامعي وآخر طالب ثانوية، وحطت الطائرة في مطار بغداد وطالبا بإطلاق سراح عدد من المعتقلين السياسيين، كذلك تم في تشرين الثاني من نفس السنة، اختطاف طائرة أخرى متوجهة من دبي إلى إيران وحطت في بغداد».. لا شك، أن مثل هذه العمليات أزعجت الشاه البائد وأرعبته بشدة.

مرة أخرى، في النجف الأشرف

بعد حوالي أسبوعين انطلقنا برفقة السيد أحمد ونجله حسن وشقيقه صادق إلى بغداد؛ وأثناء الرحلة نقل لي شقيقه صادق جوانب من ذكرياته عن زيارته السابقة للعراق، فقال: «في أول رحلة سافرت خلالها للعراق كلفت من قبل الإتحاد الإسلامي الطلابي أن التقى سماحة الإمام، حيث وصلت النجف الأشرف وقررت أن اعرف بنفسي لسماحته لأحد أعضاء الإتحاد الإسلامي الطلابي في أوروبا. وبعد أن سلمت على سماحته، رفع رأسه وألقى نظرة علي وأجابني على سلامي، وبعد تبادل كلمات الترحيب سألهني: «هل أنت السيد صادق أم السيد جواد؟».. فتعجبت من ذكائه وفطنته الشديدة، ثم سألهني عن والدي وقال سماحته: «أتذكرك عندما كنت طفلاً حيث كان والدك يجلبك مع أخوتك إلى الحمام العمومي^(١)، وكان يغسلكم بنفسه بكل حنان ورأفة، وكان يحذر كثيراً حتى لا يدخل الماء ورغوة الصابون إلى اعينكم».

(١) أكثر البيوت في تلك الأيام لم يكن فيها حمام خاص، لذا كانت الحمامات العمومية تشد في أنحاء متفرقة من المدن للاستحمام، يمكن مراجعة الهاشم الثالث في نهاية الفصل.